جمهورية العراق
رئاسة ديوان الوقف السني
كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة
قسم الدراسات العليا
قسم الدعوة والخطابة والفكر

المنهج النبوي في استيعاب المخالف

دراسة دعوية

أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية الإمام الأعظم الجامعة

وهي من متطلبات نيل درجة الدكتوراه/ في العلوم الإسلامية، تخصص الدعوة

تقدم بها الطالب

يعرب صبحي طاهر محمد الموصلي

إشراف

أ. د. أسماء عبد القادر العاني

١٤٤٧هـ ٢٠٢٥م

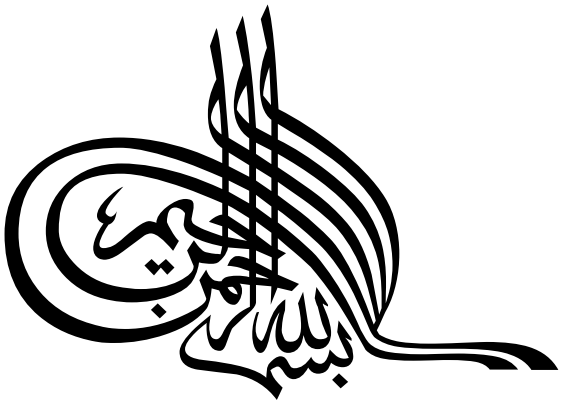

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ

سورة النحل: الآية ١٢٥

الإهداء

- إلى مَن أوتي جوامع الكلم، هادي الأمم سيدنا محمد عليه الصلاة الأكمل والسلام الأزكى.
- إلى من أرفع رأسي فخراً حين أذكرهُ، إلى من سالت الدماء من أجله فتطهر (وطني الغالي).
- إلى من جرع الكأسَ فارغة ليسقيني قطرة حب، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير (الشهيد أبي رحمه الله تعالى).
- إلى من كان دعاءُها سر نجاحي، إلى من علمتني وعانت الصعاب لأصل إلى ما أنا عليه، إلى من يسعد القلب بلقياها (أمي حفظها الله تعالى).
- إلى رمز الصبر والوفاء والمحبة (زوجتي العزيزة).
- إلى من هم أقرب الي من روحي، إلى من أرى التفاؤل بعينهم والسعادة في ضحكتهم (إخوتي حفظهم الله تعالى).

أهدي أطروحتي هذه

الباحث

شكر وامتنان

الحمد والشكر لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وجنّبنا الكفر والإلحاد، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه. يا رب لك الحمد والشكر حمداً كثيراً دائماً أبدا كما ينبغي لجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانك.

أتوجه بشكري وامتناني إلى أستاذتي الفاضلة (أ. د. أسماء عبد القادر العاني) المشرفة على إعداد هذه الأطروحة لما بذلت من جهد كبير في متابعة المراحل التي مرت بها عملية إعدادها، إذ كان لتوجيهاتها وملاحظاتها القيّمة التي أبدتها الأثر البالغ في إنجاز هذا الجهد بالشكل الذي هو عليه الآن، فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كلية الإمام الأعظم "رحمه الله" الجامعة عمادةً وإداريين وأساتذة وموظفين؛ كونها منارة للعلم، ومقبلاً لطلبة العلم الشرعي ينتهلون فيها ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم. والشكر موصول لمشايخي وأساتذتي ولمن علّمني، وله حق عليّ.

وأتقدم بالشكر الى جميع زملائي الذين لم يتهاونوا في تقديم يد العون والمساعدة والتشجيع والنصيحة جزاهم الله خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان سلفاً إلى لجنة المناقشة الذين سيتفضلون بإقالة عثراتي بتوجيهاتهم وارشاداتهم السديدة.

الله أسأل القبول لي ولهم

فهرس المحتويات

الإهداء .....أ

شكر وامتنان .....ب

فهرس المحتويات .....ج

التمهيد ٦

التعريف بمفاهيم البحث ٦

توطئة: ٧

أوّلاً: المنهج النبويّ: ٧

أ- تعريف المنهج: ٨

ب- النبوة والنبي: ٩

ج- المنهج النبوي تعريفه، خصائصه..... ١٢

ثانياً: استيعاب المُخالِف: ١٦

أ- طبيعة مصطلح المُخالِف: ١٦

ب-ضرورة استيعاب المُخالِف في الإسلام: ٢٠

الفصل الأول ٢٥

المنهج النبوي في استيعاب المشركين والمنافقين العرب ٢٥

مدخل: ٢٦

المبحث الأول..... ٢٩

منهج الحوار العقلي والعاطفي والحسيّ..... ٢٩

الْمَطّلب الأوّل ٣٣

منهج الحوار العقلي..... ٣٣

المطلب الثاني ٥٢

الحِوَار العاطفيّ والحسّي بِالْكَلِمَة وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ٥٢
المبحث الثاني ٥٨
تحريم الاعتداء الجسدي واستخدام القوة إلا بحقه..... ٥٨
توطئة ٥٨
المطلب الأول ٥٩
دعوة النبي ﷺ لحفظ الدماء..... ٥٩
المطلب الثاني ٦٣
نماذج من تحمّل الرسول ﷺ للأذى الجسدي والصبر عليه..... ٦٣
المبحث الثالث..... ٧٣
المنهج النبوي في العفو والتسامح والمودة وصوره..... ٧٣
المطلب الأول ٧٧
الإحسان في المنهج النبوي..... ٧٧
المطلب الثاني ٨٥
صور العفو والتسامح في المنهج النبوي..... ٨٥
المبحث الرابع ٨٩
دلالات استيعاب المشركين والمنافقين في الخطاب الدعوي المعاصر ٨٩
المطلب الأول ٩٣
استفادة الداعية من سيرة النبي ﷺ في التعامل مع مخالفي العقيدة اليوم..... ٩٣
المطلب الثاني ٩٥
تطبيقات دعوية معاصرة على منهج العفو والحوار ٩٥
خلاصة الفصل..... ٩٩
الفصل الثاني ١٠٢
المنهج النبوي في استيعاب أهل الكتاب ١٠٢

توطئة: ١٠٣
المبحث الأول..... ١٠٨
منهج الكلمة السواء ١٠٨
المطلب الأول ١٠٨
ماهية الكلمة السواء..... ١٠٨
المطلب الثاني..... ١١٥
نماذج الكلمة السواء مع اليهود والنصارى..... ١١٥
المبحث الثاني..... ١٢٤
منهج الحوار والمحاججة ١٢٤
المطلب الأول ١٢٤
ماهية الحوار والمحاججة..... ١٢٤
المطلب الثاني..... ١٢٩
الحوار والمحاججة في أحاديث النبي ﷺ لأهل الكتاب ١٢٩
المبحث الثالث ١٣٩
المساواة في الحقوق والواجبات..... ١٣٩
المطلب الأول ١٣٩
خصوصية المساواة في الإسلام..... ١٣٩
المطلب الثاني..... ١٥٠
المساواة في المنهج النبوي..... ١٥٠
المبحث الرابع ١٦١
آفاق المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب في المجتمعات المعاصرة ١٦١
المطلب الأول ١٦١
أسس المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب وانعكاساتها في الواقع المعاصر .. ١٦١

المطلب الثاني..... ١٦٤
أمثلة معاصرة على نجاح المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب والدعوة بالحكمة .. ١٦٤
خلاصة الفصل:..... ١٦٥
الفصل الثالث ١٦٦
المنهج النبوي في استيعاب ملوك الأمم ١٦٦
توطئة:..... ١٦٧
المبحث الأول..... ١٦٩
المضامين الاستيعابية في الرسائل العالمية..... ١٦٩
المطلب الأول ١٦٩
الملامح العامة لرسائل النبي ﷺ..... ١٦٩
المطلب الثاني..... ١٧٤
ملامح الاقناع في مضامين الرسائل..... ١٧٤
المبحث الثاني..... ١٨٩
المواصفات الدبلوماسية للرسل والمبعوثين..... ١٨٩
المطلب الأول ١٨٩
المبعوثون في الإسلام..... ١٨٩
المطلب الثاني..... ١٩٤
صفات السفراء في المنهج النبوي..... ١٩٤
المبحث الثالث..... ٢١٧
التوقيت النبوي في إرسال الرسائل والمبعوثين..... ٢١٧
المطلب الأول ٢١٧
الوقت النبوي لإرسال المبعوثين..... ٢١٧
المطلب الثاني..... ٢٢٢

خصائص التوقيت الدعوي..... ٢٢٢
المبحث الرابع..... ٢٣٣
الدروس الدعوية المعاصرة من الرسائل النبوية إلى الزعامات ٢٣٣
المطلب الأول ٢٣٣
الدبلوماسية الدعوية النبوية وأثرها المعاصر ٢٣٣
المطلب الثاني..... ٢٣٤
الإعلام الدعوي العالمي في ضوء الرسائل النبوية..... ٢٣٤
خلاصة الفصل:..... ٢٣٦
الخاتمة ٢٣٧
الخاتمة ٢٣٨
التوصيات:..... ٢٤١
فهرس المصادر والمراجع ٢٤٢
فهرس المصادر والمراجع ٢٤٣

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلقد تميز المنهج النبوي في الدعوة الإسلامية بالشمول والرحمة، والقدرة على استيعاب مختلف الطبقات والفئات البشرية، بما فيهم المخالفون للنبي ﷺ في العقيدة والفكر والانتماء، سواءاً كانوا من المشركين أو المنافقين أو أهل الكتاب أو حتى زعماء الأمم. ولم يكن هذا الاستيعاب مجرد تسامح سلبي أو تنازل عن ثوابت، بل كان منهجًا متكاملًا يجمع بين الثبات على المبدأ، والحكمة في الدعوة، والرحمة في الأسلوب، والتدرّج في المعالجة.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الخطاب الدعوي الإسلامي، خاصة في التعامل مع المخالفين – فكريًا أو دينيًا أو ثقافيًا – تتجدد الحاجة إلى استلهام هذا المنهج النبوي وتفعيله في السياق المعاصر، ليكون دليلًا للدعاة والمربين والمصلحين في مجتمعاتهم، ويقدّم بديلًا رشيدًا عن أساليب العنف أو الانغلاق أو الإقصاء التي تسيء إلى صورة الإسلام.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "**المنهج النبوي في استيعاب المخالف: دراسة دعوية معاصرة**"، لتقدّم قراءة تحليلية تأصيلية لهذا المنهج، مع إبراز آفاق الاستفادة منه في الخطاب الدعوي المعاصر.

أهمية الموضوع:

تتجلّى أهمية هذا الموضوع في أمور عدة، من أبرزها:

١. الحاجة الماسّة في الواقع الدعوي المعاصر إلى خطاب راشد في التعامل مع المخالفين.

٢. إبراز رحمة النبي ﷺ وحكمته في التعامل مع من خالفه، رغم اختلاف مواقفهم ومستويات عدائهم.

٣. كشف الجانب الإنساني العميق في المنهج النبوي، والذي يُصلح أن يكون نموذجًا عمليًا في مجتمعاتنا المتنوعة.

أسباب اختيار الموضوع:

١. غياب الوعي الدعوي المنضبط عند بعض الدعاة في التعامل مع المخالفين.

٢. انتشار صور من العنف اللفظي والفكري في الخطاب الإسلامي الحديث.

٣. ضعف الدراسات التي تجمع بين التحليل التاريخي والتأصيل الدعوي المعاصر لهذا الموضوع.

مشكلة البحث:

- ما ملامح المنهج النبوي في استيعاب المخالف؟

أسئلة البحث:

- ما المقصود بالمنهج النبوي؟ وما خصائصه العامة؟
- من هو "المخالف"؟ وما أبعاده في السياق الإسلامي والدعوية؟
- كيف تعامل النبي ﷺ مع مختلف أصناف المخالفين؟
- ما المبادئ والأساليب التي اعتمدها في هذا التعامل؟
- كيف يمكن الاستفادة من هذا المنهج في واقعنا الدعوي المعاصر؟

أهداف البحث:

١. التعريف بالمنهج النبوي.

٢. تعامل النبي محمد ﷺ مع المخالف.

٣. استنباط الوسائل الدعوية في المنهج النبوي في معاملته مع المخالف.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج التحليلي التأصيلي، القائم على جمع النصوص والمواقف النبوية، وتحليلها، واستخلاص القواعد منها، مع مقاربة دعوية معاصرة تربط بين هذا المنهج وبين تحديات الخطاب الدعوي الحالي. كما استُخدم المنهج الوصفي والنقدي في استقراء الدراسات السابقة ومقارنتها.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات في موضوع الحوار، والعفو، والدعوة بالحكمة في السيرة النبوية، لكن القليل منها جمع بين التحليل المنهجي الشامل للمخالفين في السيرة، وبين التوظيف الدعوي المعاصر لهذا المنهج، وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة.

ومن الدراسات السابقة وجدت بحثاً يسمى عنوانه الاعتدال والوسطية في السيرة النبوية، التعامل مع الاخر انموذج الدكتور عبدالله حنفيش حمد وكذلك فقه الخلاف مع المدعوين من خلال هدايات السيرة وأثرها في الدعوة الى الله وبناء الحضارة الاسلامية للدكتورة علياء علي بكر فلميان.

وايضاً كتاب معالم الدعوة الاسلامية في القصص القرآني للدكتور عبدالوهاب الدليمي وكتاب من معالم المنهج النبوي في الجدل مع غير المسلمين للدكتور سهل بن عبيد بن عبد الله الحربي.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على مواقف النبي ﷺ مع المخالفين في حياته الشريفة، دون التوسع في تعامل الصحابة أو الخلفاء بعده، وركّزت على الجانب الدعوي والتربوي في هذه المواقف، دون الدخول في تفاصيل الفقه السياسي أو الحربي.

هيكلية البحث:

اشتملت الدراسة على تمهيد، وثلاثة فصول رئيسة، وخاتمة:

التمهيد: يتناول المفاهيم الأساسية المتعلقة بالمنهج النبوي، ومفهوم المخالف.

الفصل الأول: المنهج النبوي في استيعاب مشركي ومنافقي العرب.

الفصل الثاني: المنهج النبوي في استيعاب أهل الكتاب.

الفصل الثالث: المنهج النبوي في استيعاب ملوك الأمم.

الخاتمة والتوصيات: تتضمن أهم النتائج والرؤى الدعوية المعاصرة المستخدمة.

ونختتم بالصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التعريف بمفاهيم البحث

أولاً: المنهج النبوي

ثانياً: استيعاب المُخالِف

توطئة:

لا شكّ أنّ حياة سيدنا الرسول ﷺ كانت تطبيقاً عمليّاً لكل حُكم من أحكام الشّريعة، فخرّجت لنا هذه الحياة في شكل بديع، شمل كلّ المتغيرات التي من الممكن أن تقابل الفرد أو الجماعة، أو الأمة ككلّ.

وسيدنا الرسول ﷺ تعاملَ في حياته مع الآخرين المُخالفين، ومرّ بكلّ الظروف التي من المحتمل أن يتعامل معها المسلمون، فكانت حياته مَنهجاً تعليمياً لكلّ مُسلِمٍ في كلّ زمانٍ ومكانٍ ليستطيع عبرَهُ التّعاملَ مع الآخر.

في الواقع قد أخرجت السّنة المُطهَّرة كنوزاً هائلةً من فنون التعاملِ، ومن آدابِ العلاقاتِ، فلا يخلو أيُّ قولٍ أو فعلٍ له ﷺ من خُلُقٍ كريمٍ، وأدبٍ رفيعٍ، وصلَ به إلى ذُروةِ الكمالِ البشريّ؛ فكان النبيّ الأكرمُ ﷺ مثالاً وقدوةً يجب على المسلمين التمثّلَ بها في تفصيلاتِ حياتهم جميعها.

ولا بدّ قبل الخوض في غمار البحث (المنهج النبوي في استيعاب المخالف – دراسة دعوية –) وتفصيلاته أن يتمّ توضيح المفاهيم الأساسيّة التي يرتكز عليها البحث؛ وهي: المنهج النبويّ، ومفهوم الآخر المُخالِف.

أوّلاً: المنهج النبويّ:

يجب تفكيك مصطلح المنهج النبوي إلى تفصيلاته الفرعيّة والتي تتجلّى في مصطلحي المنهج والنبي، ثمّ بعد ذلك إعادة تجميع هذا المفهوم للوصول إلى المعنى العام الذي نقصده.

أ- تعريف المنهج:

المنهج في اللغة مصدر مشتق من الفعل (نهج) بمعنى: طرق أو سلك أو اتبع، والنهج والمنهج، والمنهاج تعني: الطريق الواضح.

والمنهج هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصب إلى نتيجة معلومة"[١].

وفي الاصطلاح: هناك تعريفات عدة للمنهج؛ منها أنّه: طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة برهانية أو معرفة علمية، أما علم المنهج أو (المنهجية) العلم الذي ينتمي في جذره نظرية المعرفة[٢]. أو هو: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، من أجل الكشف عن الحقيقة"[٣]. وبذلك من الممكن القول أن علم المنهج ينقسم إلى قسمين:

أ- منهج فكري: يقصد به نظرية المعرفة[٤] التي يستند إليها المنهج في بناء اسسه النظرية.

---

(١) المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، تحقيق: مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الدعوة، الجزء ٢، الصفحة ٩٥٧.

(٢) ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: دعبد المنعم حنفي، الطبعة ٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، الصفحة ١٧.

(٣) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة ٣، الصفحة ١٦٩.

(٤) نظريّة المعرفة (بالإنجليزية: Epistemology) هي دراسة لطبيعة المعرفة، الشّرح التبرير، وعقلانيّة الاعتقاد أو الإيمان. يوجد جدل كبير حول مراكز نظريّة المعرفة التي تتفرع إلى أربع مناطق:التحليل الفلسفي لطبيعة المعرفة ومدى ارتباطها بمفاهيم مثل الحقيقة، والمعتقد والتّبرير، مشاكل ومواضيع التّشكيك المختلقة، مصادر ومجالات المعرفة والمعتقدات المُبرّرة، معايير المعرفة والتّبرير. يُنظر: المورد الحديث: قاموس إنكليزي عربي (بالعربية والإنجليزية) منير البعلبكي؛ رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ١، ٢٠٠٨م، الصفحة ٤٠٢.

ب- منهج عملي: يتضمن مجموعة الوسائل والشروط والاجراءات التي يسلكها الباحث للوصول إلى حقيقة أو معلومة جديدة في مختلف فروع العلوم والمعارف[1].

وفي الواقع إنّ المنهج هو "مجموعة الركائز والأسس المُهمّة التي توضّح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم"[2]. وتبين لي من هذه التعريفات أنها تدل على الركائز التي يستند إليها الأشخاص للوصول إلى نتيجة واضحة ومحددة.

ب- النبوة والنبي:

إنّ النبوة هي وسيلة من الوسائل الّتي يرسل الله (عز وجل) بها تشريعاته إلى الناس، وهذه الطريقة تُظهِر مدى عناية الله بعباده، وحرصه على أن يبلّغ كل شخص الدعوة، لكي يصل إلى طريق الخير والسعادة.

وفي اللغة النبوة مشتقة من النبأ، وهو الإخبار؛ وأيضا هي بمعنى العلو والارتفاع، وكل رسول نبي، وإن لفظ النبي مخففة من النّبِئ والتي بدورها مشتّقة من النبأ وهو الخبر؛ فالنبي هو المُخبر عن الله عز وجل. وفي رأي آخر أنها مأخوذة من النبي، التي تعني الدرب الواضح. وهناك رأي أنها مأخوذة من النبوة وهي الارتفاع[3].

النَّبيُّ: هو مَن أنبَأَ عن اللهِ تعالى، مُشتَقٌّ مِنَ النَّبَأِ: وهو الخَبَرُ ذو الفائِدةِ العَظيمةِ، فتُرِكَ هَمزُه لكثرةِ الاستعمالِ، والنَّبيُّ فعيلٌ بمعنى مُفعِلٍ، أي: مُنْبِئٌ عن اللهِ برسالتِه، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى مفعولٍ، أي: إنَّه مُنَبَّأٌ من اللهِ بأوامِرِه ونواهِيه. وبعضُهم يَجعَلُ اشتِقاقَه مِنَ النَّبْوةِ والنَّباوةِ، وهي الارتفاعُ عن الأرضِ، وذلك لارتفاعِ قَدْرِ النَّبيِّ، وأنَّه

(١) ينظر: مناهج البحث العلمي، علي عبدالواحد وافي، دار النهضة، القاهرة، مصر، الصفحة ١٧.

(٢) مناهج النقد الأدبي، عبد الله خضر حمد، دار القلم، لبنان، ٢٠١٧م، الصفحة ١٢.

(٣) لسان العرب لابن منظور، الجزء٧، مادة نبأ، الصفحة ٧٥.

شَرُفَ على سائرِ الخَلْقِ، فأصلُه على هذا غيرُ الهَمزِ، وأصلُ (نبأ): يدُلُّ على الإتيانِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ[1].

وفي الأحوال جميعها فإن الدلالات المختلفة لكلمة النبي تدل على معنى يمكن أن يتقبله العقل؛ ومن الرأي الأنسب لدينا أنّها مأخوذة من الخبر، فالنبي هو من يخبر عن الله سبحانه وتعالى[2].

وأما النبي في الاصطلاح؛ فله تعريفات كثيرة، حيث تم تعريفه على أنه هو "الَّذي ينبئ عَنِ الله جلَّ جلاله وَإِنْ لم يكن معهُ كتاب"[3].

وفي مكان آخر جاء النبي بوصف " مِن أوحى إليه ملك أو أوحي في فؤاده أو حذر بالحلم الصالح"[4].

[فالنبي شخص له مكانة دينية عظيمة يُخبر عن الله تعالى دون وساطة بينه وبين البشر، وقد يحمل وينقل شريعة للناس كافة مثل سيدنا محمد ﷺ أو قد لا يكون له شريعة مثل سيدنا يحيى عليه السلام].

لا شَكَّ أنَّ ثمَّةَ فَرقًا بين النَّبِيِّ والرَّسولِ، ومِمَّا يدلُّ على ذلك: عَطفُ النَّبِيِّ على الرَّسولِ في قَولِ الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ... ﴾[5].

---

(١) يُنظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، الجزء ٥، الصفحة ٣٨٥.

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ١٩٧٩م، تحقيق "زاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي"، المكتبة العلمية، بيروت، الجزء ٥، الصفحة ٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري، الجزء ٣، الصفحة ٢٢.

(٤) التعريفات، الجرجاني، الصفحة ٢١٤.

(٥) سورة الحج: الآية ٥٢.

قال الرَّازي[١]: (عُطِفَ النَّبِيُّ على الرَّسولِ، وذلك يوجِبُ المغايرةَ، وهو من بابِ عَطفِ العامِّ على الخاصِّ)[٢].

وأيضًا وصْفُ بَعضِ رُسُلِه بالنُّبُوَّة والرِّسالة معًا، كقَولِه تعالى في حقِّ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[٣].

قال الشِّنقيطيُّ[٤]: (إنَّ ما اشتهر على ألسِنَةِ أهلِ العِلمِ مِن أنَّ النَّبِيَّ هو من أُوحِيَ إليه وَحيٌ ولم يؤمَرْ بتبليغِه، وأنَّ الرَّسولَ هو النَّبِيُّ الذي أُوحِيَ إليه، وأُمِرَ بتبليغِ ما أُوحِيَ إليه..)[٥].

ومِمَّا قيل في الفَرْقِ بين النَّبِيِّ والرَّسولِ: أنَّ من جاءه الملَكُ ظاهرًا وأمَرَه بدَعوةِ الخَلْقِ فهو الرَّسولُ، ومن لم يَكُنْ كذلك بل رأى في النَّومِ كَونَه رسولًا أو أخبره أحدٌ من الرُّسُلِ بأنَّه رسولُ اللهِ، فهو النَّبِيُّ الذي لا يكونُ رسولًا، وقيل: الرَّسولُ هو مَنْ أُوحِيَ إليه بشرعٍ جديدٍ، والنَّبِيُّ هو المبعوثُ لتقريرِ شَرعِ مَن قَبْلَه، فعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ

---

(١) الإمام فخر الدين الرازي: هو أبو عبدالله بن عمر بن الحسن بن الحسين البدري. ولد سنة ٥٤٣ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ، ويعد من كبار المفسرين ومن أئمة علم الكلام، ومن أبرز مؤلفاته مفاتيح الغيب، ينظر: سير أعلام النبلاء، الجزء ٢١، الصفحة ٥٠٠-٥٠٤.

(٢) يُنظر: تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، الجزء ٢٣، الصفحة ٢٣٦. مفاتيح الغيب.

(٣) سورة مريم: الآية ٥١.

(٤) الشيخ الشنقيطي: هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، ولد سنة ١٣٢٥هـ وتوفي سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م في المدينة المنورة، ويعد من كبار علماء الأئمة في علم التعبير واصول الفقه، من أشهر مؤلفاته أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الجزء ١١، الصفحة ١١٣-١١٤.

(٥) يُنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م، الجزء ٥، الصفحة ٢٩٠.

اللهُ عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((كانت بنو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كُلَّما هلك نبيٌّ خلَفَه نبيٌّ))(١).

قال ابنُ حَجَرٍ: (كانوا إذا ظهر فيهم فسادٌ بعث اللهُ لهم نبيًّا يُقيمُ لهم أمْرَهم ويزيلُ ما غَيَّروا من أحكامِ التَّوراةِ)(٢).

الفرق بين الرسول والنبي أن الرسول هو من أُرسل بوحي ومعه كتاب يتضمن شريعة جديدة، أما النبي فهو من أُوحي إليه من غير أن يُكلف بشريعة مستقلة، بل يبلّغ ما أُنزل قبله أو يجدد العمل به، سواء أُعطي كتابًا أم لا، كما في حال يوشع عليه السلام. فالنبي أعم من الرسول من هذه الجهة. وقيل إن الرسول هو من نزل عليه كتاب أو أتاه المَلَك بالوحي، وأما النبي فهو من يُلهمه الله بالأحكام أو يتبع شريعة رسول سابق.

ج- المنهج النبوي تعريفه، خصائصه

مرّ فيما سبق تفصيل وتعريف مفهومي المنهج، والنبوة، ويجب بعد ذلك جمع المفهومين في مفهوم واحد وتعريفه؛ أي ما هو المنهج النبويّ؟

١. تعريفه:

يمكن أن يُعرَّف المنهج النبوي بأنه عبارة عن "مجموعة من الطرائق والإجراءات التي اتّبعها سيدنا محمد ﷺ وعمل بها واعتمد عليها، ويُقصَد بها هنا- وفقاً

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب احاديث الانبياء صلوات الله عليهم، باب ماذكر عن بني اسرائيل، الجزء ٤، الصفحة ١٦٩، حديث رقم (٣٤٥٥).

(٢) يُنظر: فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، قام بإخراجه وتصحيحه. محب الدين الخطيب [ت ١٣٨٩ هـ]، المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ – ١٣٩٠ هـ، الجزء ٦، الصفحة ٤٩٧.

لطبيعة الموضوع وحدوده- ما يدخل في باب الجدل مع غير المسلمين، من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب: يهوداً ونصارى(١).

وعليه يمكن لنا أن نقول بأن المنهج النبوي هو الطريق الواضح والطريقة العميقة في التعامل مع المخالفين – على اختلاف أنواعهم – وفق توجيه من الله تعالى، ووفق فهم النبي ﷺ وعرضه للخطاب.

إنّ المنهج النبوي هو "الطريق الواضح البيّن المستقيم الذي سلكه النبي ﷺ بتوجيه من ربّه جلّ جلاله لفهم النصوص الشرعية، وتصحيح العقيدة وتعليم التشريع الإسلامي للناس كافّة"(٢).

٢. خصائصه:

وأما خصائص المنهج النبوي:

أ. "**أنه منهج يقود إلى السعادة في الدارين** وهو منهج أصيل يسعد الإنسان في دنياه وآخرته"(٣).

وليس من الغريب أن يقود منهج سيدنا محمد ﷺ إلى السعادة؛ فلقد أظهر القرآن الكريم تفضيل سيدنا محمد ﷺ على غيره بخمس خصال، حيث أوتي جوامع الكلام وذلك أنه جاء في الحديث الشريف: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي

(١) من معالم المنهج النبوي في الجدل مع غير المسلمين، د. سهل بن عبيد بن عبد الله الحربي، مجلة أبحاث، كلية التربية جامعة الحديدة، العدد ١، ٢٠٢٣م، الصفحة ٤٧٨.

(٢) المنهج النبوي في تصحيح العقيدة، محمد بن سلمان بركة، إشراف: سعد بن عبد الله بن حسن عاشور، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٦، الصفحة ٥.

(٣) أثر النهج النبوي في صناعة المواقف، مجلة كلية العلوم الإسلامية، يحي حسين أحمد، المجلد السابع، العدد ١٣، ٢٠١٢م، الصفحة ٥.

أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً"(١).

قال جلّ وعلا ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢).

ب. نلاحظ افتتاح الآية بتأكيد **شمولية الدعوة المحمدية**؛ وقد جاءت "هذه الجملة معترضة بين قصص بني إسرائيل، جاءت مستطردة لمناسبة ذكر الرسول الأمي، تذكيرا لبني إسرائيل بما وعد الله به موسى عليه السلام ، وإيقاظا لأفهامهم بأن محمدا ﷺ هو مصداق الصفات التي علمها الله موسى"(٣).

ت. ومن خصائص المنهج **النبوي أنه يسعى إلى بناء شخصية مؤمنة بالله**؛ إذ اهتمّ سيدنا ﷺ ببناء شخصية المسلم منذ اللحظات الأولى لتكوينه حتى يعيش حياته في سعادة ومن أجل إيصاله إلى بر الأمان عبر طاعة الله تعالى عن محبة ورضا وقلب مطمئن، من أجل تطبيق المنهج الذي أراده الله تعالى، فأرشد المسلمين إلى ما فيه صلاحهم كما اهتمّ بترسيخ العقيدة، فأول ما يسمع الإنسان عند ولادته كلمات الآذان التي تعلن وحدانية الله تعالى، فالشهادة هي أول ما يدخل بها في الإسلام والتلقين بها أول ما يسمعه المولود عند دخوله إلى الدنيا(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كِتَابُ التَّيَمُّم، بَابُ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَاءً وَلاَ تُرَابًا، حديث رقم ٣٣٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور – محمد الطاهر بن عاشور،دار سحنون، تونس، د.ت، الجزء ١٠، الصفحة١٤٠.

(٤) بناء الشخصية من خلال التربية، خالد محمد محرم، ظار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، الصفحة ١٤٦ .

ث. والخاصية الأهم هي **شمولية المنهج النبوي لكل زمان ومكان:** جسد سيدنا محمد ﷺ المعاني القرآنية المتصلة بسلوكه التربوي القويم الذي يمثل أسوة حسنة لكل مؤمن في شتى مناحي الحياة الأسرية الخاصة والاجتماعية العامة والاقتصادية والسياسية، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[1]، ومن يطالع كتاب الأدب في صحيح البخاري واللباس والإسلام ونحوه نجد باب التربية مفتوحاً على مصراعيه على نحو جدير بإخراج الشخصية المقتدية بالنبي الأعظم في سلوكه العام والخاص.

فالمنهج النبوي في التعامل مع القضايا المختلفة يشمل عناصر تتمثل في أهدافٍ غايتها إخراج الشخصية المسلمة المقتدية بالنبي ﷺ ومن محتوى يشمل سيرة النبي ﷺ وسنته بما يتضمنان من مواقف مختلفة تستوعب مجالات الحياة والطرائق المتنوعة في سبيل تحقيق أهداف المنهاج ومحتوياته، وعن التقويم فهو مرهون بدلالة مدى التمثل عملياً بشخصية النبي ﷺ وجعله المثل الأعلى مصداقاً لقول الحق تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2][3].

ويمكن القول إنّ "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلّقوا وتضجّروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، الجزء ١، الصفحة ١٦١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١ .

(٣) ينظر: دراسات في أصول التربية الإسلامية، أحمد الدغيشي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٧م، الصفحة ٤١ -٤٢ .

الأحزاب: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ (أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ؟ ولهذا قال: (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)"[١].

ثانياً: استيعاب المُخالِف:

الاستيعاب لغةً: مصدر استوعب الشيء يستوعبه استيعاباً إذا استقصاه كله وأخذه جمع ولم يترك منه شيئاً، والاستيعاب في اللغة هو الاستقصاء والشمول والحصر[٢]. وأعني بالاستيعاب قدرة الدعاة على اجتذاب الناس وربحهم على اختلاف عقولهم وانتماءاتهم وتوجههم.

والاستيعاب هو شمول الشيء واستغراقه بجميع اجزائه في أمر ما، مثل استيعاب اليدين وشمول غسلها للمرفقين في الوضوء[٣].

فالناس يختلفون اختلافاً نوعياً في كل شيء في التفكير والعيش والذكاء والقدرات كافة، فيجب على الداعية الناجح أن تكون لديه القدرة على التأثير بدعوته وفكرته في الناس على اختلاف مشاربهم وطباعهم، وبذلك يكون الاستيعاب قدرة شخصية وصفة ايمانية تساعد الدعاة في مسيرتهم الدعوية، وبالنتيجة يعتبر الاستيعاب هو المؤهل الأول في شخصية الداعية[٤].

أ- طبيعة مصطلح المُخالِف:

جاء في لسان العرب: "وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا. وكل ما لم يتساو، فقد تخالف واختلف. وقوله عز وجل: والنخل والزرع مختلفا أكله، أي في حال اختلاف

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الجزء ٣، الصفحة ٣٩٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، الجزء ٦، الصفحة ٤٨٧.

(٣) حاشية بن عابدين، الجزء ١، الصفحة ١١٥.

(٤) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، فتحي يكن، دار النهضة، الطبعة ١، الصفحة ٩.

أكله إن قال قائل: كيف يكون أنشأه في حال اختلاف أكله وهو قد نشأ من قبل وقوع أكله؟ فالجواب في ذلك أنه قد ذكر انشاء بقوله خالق كل شيء، فأعلم جل ثناؤه أن المنشئ له في حال اختلاف أكله هو، ويجوز أن يكون أنشأه ولا أكل فيه مختلفا أكله لأن المعنى مقدرا ذلك فيه كما تقول: لتدخلن منزل زيد آكلا شاربا أي مقدرا ذلك، كما حكى سسيبويه في قوله مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد، والاسم الخلفة. ويقال: القوم خلفة أي مختلفون، وهما خلفان أي مختلفان"[١].

عرفه الجرجاني[٢] (ت٨١٦ه): "الخلاف: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو إبطال باطل"[٣]. وعرفه الفيومي[٤] (ت: نحو ٧٧٠ه): "تخالَفَ القوم: اختلفوا، إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق"[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، الجزء ٩، الصفحة ٩١

(٢) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف، من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفًا؛ منها: "التعريفات"، و"شرح مواقف الإيجي"، وغيرها، توفي سنة ٨١٦هـ، ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م، الجزء ٥، الصفحة ٧.

(٣) كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، الصفحة ١٠١.

(٤) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير)، وُلِد ونشأ بالفيوم (بمصر)، ورحل إلى حماة (بسورية) فقطنها ... توفي نحو ٧٧٠هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلي، الجزء ١، الصفحة ٢٢٤.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، كتب الخاء، مادة خلف، المكتبة العصرية، الصفحة ٩٥.

وعرفه الكفوي (ت: ١٠٩٤ هـ)[١]: "الاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفًا، والمقصود واحدًا، وفرقٌ بينه وبين الخلاف"[٢].

وتحدد صورة المخالف على وفق معيارين أو موقفين، الأول: معرفي على ضوء نصوصه ومدونته المعرفية والثقافية، والثاني: اخلاقي موضوعي عن طريق تأويل تلك النصوص إلى هوية الأنا، أي بنقلها نقلاً محايداً وموضوعياً يراعى فيه عادات وتقاليد وثقافة تلك الشعوب المنقول إلينا تاريخها وثقافتها.

وبناء على ذلك لايمكن تصور وجود الآخر بمعزل عن تحقيق الأنا، فلا بد من توفر شروط الاختلاف والتمايز حتى يمكن التفريق بينهما فكلاهما يحدّد غيره ويحيل إليه، فمبجرد قول عبارة صورة الآخر يتبادر مباشرة إلى الأذهان مفهوم الذات أو الأنا.

الاختلاف والمخالفة أن ينهج كل شخص طريقا مغايرا للآخر في حاله أو في قوله. والخلاف أعم من (الضد) لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة،[٣] قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٤]﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾[٥].

---

(١) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب (الكليَّات)، كان من قضاة الأحناف، عاش ووَلِيَ القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتُوفِّيَ بها سنة ١٠٩٤هـ؛ ينظر: الأعلام للزركلي، الجزء ٢، الصفحة ٣٨.

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ، مؤسسة الرسالة – بيروت، فصل الألف والخاء، الصفحة ٦٠.

(٣) أدب الاختلاف في الإسلام، د. طه جابر فياض رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر، ١٤٠٥هـ، الجزء ١، الصفحة ٢٣.

(٤) سورة هود: الآية ١١٨.

(٥) سورة الذاريات: الآية ٨.

وعلى هذا يمكن القول بأن (الخلاف والاختلاف) يراد به مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف.

ومن المسلّمات أن الثقافة العربية والإسلامية ليست منغلقة على نفسها، ولا متحجرة، وإنما هي ثقافة منفتحة ومتسامحة وقادرة على التعايش مع مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية أخذاً وعطاءاً، سواء أكان ذلك سلباً أم إيجاباً، لتدلل على أصول هذه الثقافة وعلى طبيعتها القابلة للتطور والعطاء على وفق المعطيات العلمية الحديثة وشيوع وسائل الاتصال التي سهلت التواصل مع الآخر والانفتاح عليه.

وانطلاقًا ممّا سبق كلّه، يُقصد بـ"الآخَر" في هذا البحث كلُّ من لم يَدخل في دائرة الانتماء العقديّ للإسلام، أي كلُّ من خالف هذا الدِّين في أصوله ومبادئه العقديّة والتشريعيّة. ويشمل هذا المفهوم فئتين رئيسيّتين: أولاهما المنافقون، وهم أولئك الذين يُظهرون الإسلام في أقوالهم وأفعالهم، لكنّهم يُبطنون الكفر والعداء للدِّين وأهله، ممّا يجعلهم أكثر خطورة في بعض المواطن من الكافرين المجاهرين؛ لأنهم ينخرطون في المجتمع المسلم ويعملون على زعزعته من الداخل. وثانيتهما الظاهرون بالكفر، وهم من المشركين، أي من عبدوا مع الله غيره، أو من أهل الأديان الأخرى ممّن لم يؤمنوا برسالة النبيّ محمد ﷺ، سواء كانوا من أهل الكتاب أو غيرهم.

وهذا التحديد للـ"آخر" لا يُقصد به حصر النظر في الأفراد بصفتهم الشخصيّة، بل هو توصيف منهجيّ يُسهم في فهم طريقة الخطاب النبوي في التعامل مع من خالف الإسلام، بحسب طبيعة الخلاف وظروف المرحلة، وذلك ضمن سياقٍ يُفرّق بين من كان في حالة حربٍ أو عداء، ومن كان في حالة سِلْمٍ أو عهد، وبين من يُرجى إسلامه أو هدايته، ومن قامت عليه الحُجّة.

ومن هنا، فإنّ مفهوم "الآخر" في هذا البحث ليس توصيفًا اجتماعيًّا أو عرقيًّا أو ثقافيًّا عامًّا، بل هو مفهوم عَقَديّ دعويّ يُبنى على معيار الإيمان والإسلام، ويتحدّد وفق ضوابط الشريعة في النظر إلى المخالفين، ومراتبهم، وطرائق التعامل معهم.

ب- ضرورة استيعاب المُخالِف في الإسلام:

إنّ استيعاب الآخر لا يعني بالضرورة تقبل رأيه والموافقة على كلامه، بل يقتضي ذلك أن يكون احترام الانسان حق الاختلاف في الرأي منضبطاً بحدود الدين والشريعة كما قررها الاسلام فيعامل غيره بتوقير نابع من اخلاقه وايمانه لا متأثراً بتصرفات الآخرين أو أساليب تعاملهم.

إن حسن المعاملة والتزام الأخلاق الحسنة التي يأمر بها الشرع وتجنب الأخلاق السيئة من سب وشتم وسخرية وغيرها وجعل القدوة التامة في كل ذلك رسول الله " ﷺ؛ إذ تتميز شخصية المسلم أنه رجل ذو خلق كريم، وتعامل حسن، وسلوك حميد، منطلقاً بالاقتداء بالرسول الكريم الذي جاء فيه قوله تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم "، حيث زخرت سنة النبي الكريم بالحث على التزام الأخلاق، والتأدب بآداب الإسلام، قال الرسول الكريم :"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً[(١)].

لقد دعا الاسلام المجتمع الانساني الى ترسيخ قيم المحبة والاخوة والتعاون باعتبارها أساساً راسخاً للبناء الاجتماعي ووسيلة لضمان استقرار المجتمع، ويوطد أركان الرخاء والصلاح والإصلاح والدعوة الإسلامية ذاتها دعوة من شأنها تعويد الصلة الروحية بين الناس ورفع لواء الإسلام بين المجتمع واشاعة الألفة والانسجام للوصول إلى هذا الهدف فقد أعار الله تعالى أهمية كبرى لعلاقة الجار بجاره ورعاية الحقوق بينهما فدعا إلى حسن الجوار والإحسان في المعاملة والرفق والمحبة في التعامل، ويستعمل الإسلام في هذا المجال طريقته القويمة وتعاليمه الحكيمة في شحذ الهمم عسى أن يهتدي الناس وينتصحوا بهذا النهج ليبقى المجتمع بمنأى عن الجفاء والتقاطع والتدابر قال

---

(١) رواه ابو داؤد، باب الدليل على زيادة الايمان، الجزء ٥، الصفحة ٤٢، رقم الحديث ٤٦٨٢٨ .

تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾[1].

فجاءت الآية الكريمة عامة وموضحة ما يجب على الإنسان من حق الجوار ففرض من القرآن الكريم على المسلم الاحسان إلى الجار سواء كان بعيداً أو قريباً. وأمر القرآن الكريم الإحسان إلى الجار وذي القربى[2].

وقانون الإحسان السماوي ومنطق العدالة ومنطق الأخوة معاً وقانون الإحسان[3].

إن حسن المعاملة يقتضي ترك السخرية واجتناب التحقير، وصون قدرهم، فالشر والرذيلة هو أن يحقر الإنسان أخاه، ومن درجة التحقير والإذلال السخرية من قومية أخرى أو عشيرة أخرى، وما إلى ذلك من أشكال التحقير الناجمة عن التعصب القومي أو العشائري أو التمييز العنصري، وكلها مذمومة ومنهي عنها؛ إذ أن التقدير والإعزاز هو الخلق السليم والمأمور به في التعامل في العلاقات بين الشعوب والقوميات والعشائر والجماعات والأعراف والطوائف، وينبغي للمرء في معاملته للناس فضلاً عن تقديرهم، واجتناب تحقيرهم أن يقدر المعروف والخير والإحسان الذي يقومون به مهما كان صغيراً[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) نفحات من القرآن والسنة في منبر الجمعة، السبعاوي، سعد عبد المجيد سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧، الصفحة ٢٣٩ .

(٣) الترجيح المصلحي من خلال القرآن الكريم، عبد العالي ملوك، دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٣، الصفحة ٣٢٨.

(٤) ينظر: فن التعامل مع الناس، رضا العلوي، دار الأوجام، بيروت، ١٩٩١، الصفحة ٢٤٨.

فعلى الرغم من أفعال المُخالِف غير أن الفكر الإسلامي يرفض استعمال الأخلاق السيئة لمواجهة الآخر ويعمد دائماً إلى المنهج العقلاني القائم على الأخلاق الحميدة(١).

ج- المنهج النبوي وأثره في الواقع المعاصر:

لقد أثبت النهج النبوي في استيعاب المخالف صلاحيته المتجددة لكل عصر، بما في ذلك العصر الحديث الذي يشهد تصاعدًا في النزاعات الفكرية والدينية، وتنامي خطاب الكراهية والاستقطاب. ففي الوقت الذي تتّجه فيه كثير من التيارات الدينية والسياسية إلى الإقصاء والحدّية، يبرز النموذج النبوي كمرجعية فكرية وأخلاقية تُعيد ترتيب العلاقة مع "الآخر" على أساس من الرحمة والعدل والاعتراف بالاختلاف بوصفه سُنّة كونية، لا تهديدًا وجوديًا.

فالنبي ﷺ لم يضيّق على غير المسلمين في دولته، بل ضمن لهم الحقوق، وأقرّ بالتعدد، وحاورهم، وأقام العلاقات على أساس (أُمِرتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتَّى يشهدوا أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأن يستقبلوا قِبلتَنا، ويأكلوا ذبيحتَنا، وأن يُصلُّوا صلاتَنا، فإذا فعلوا ذلك حُرِّمت علينا دماؤُهم وأموالُهم إلَّا بحقِّها، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين)(٢) (كما في وثيقة المدينة). واليوم، يعاني العالم من انقسامات حادة على أسس دينية وثقافية، ويتنامى العنف الناتج عن سوء فهم الدين أو توظيفه سياسيًا. وهنا تأتي الحاجة الملحّة لإحياء ذلك النهج، لا بوصفه خطابًا وعظيًا فقط، بل كمصدر عملي للسياسات العامة ومناهج التعليم والثقافة.

---

(١) ينظر: الدكتور يوسف القرضاوي، السنة مصدر للمعرفة والحضارة، دار الشروق للطباعة والنشر، الصفحة ١٤٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الايمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، الجزء ١، الصفحة ١٤، رقم الحديث ٢٥.

وقد دعا عدد من المفكرين المعاصرين، كطه عبد الرحمن[1]، إلى إعادة قراءة السيرة النبوية بوصفها "اجتهادًا عمليًا في تأسيس التعايش على قاعدة الإيمان الحرّ لا الإكراه"[2]. كما تبنّت وثائق دولية مستلهمة من هذا النهج، كـ"وثيقة مكة المكرمة" (٢٠١٩م)، مبادئ التسامح الديني والمواطنة الشاملة، في خطوة نحو إحياء القيم النبوية بروح معاصرة تُقارب الواقع بلغة حقوقية وإنسانية.

كما أن وثيقة الأخوّة الإنسانية، التي وُقعت في أبو ظبي عام ٢٠١٩م، بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان، تُعدّ مثالًا عمليًا على استثمار النهج النبوي في بناء جسور التفاهم الإنساني والديني، حيث تؤكد على «حرية المعتقد، ورفض الإكراه، والحوار بوصفه الطريق إلى السلام» – وهي مبادئ أصيلة في الخطاب النبوي. وقد عبّر الشيخ أحمد الطيب عن ذلك بوضوح حين قال: "ما أحوج العالم إلى هدي محمد ﷺ في تعايشه مع من يخالفه دون نزاع أو خصومة"[3].

وهكذا، فإن استلهام هذا النهج النبوي في المؤسسات التعليمية والسياسات الثقافية والدينية، لم يعد ترفًا نظريًا، بل ضرورة حضارية لضمان السلم الأهلي والتماسك الاجتماعي في عالمٍ متعدّدٍ ومترابط.

---

(١) طه عبدالرحمن: فيلسوف مغربي ولد سنة ١٩٤٤م، متخصص في المنطق والفلسفة واللغة، ويعد من أهم المفكرين الاسلاميين. ينظر: موقع الجزيرة الاخبارية على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ينظر: روح الدين، طه عبد الرحمن، بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة ١، ٢٠١٢م، الصفحة ١٥١

(٣) يُنظر: نص الوثيقة، بند ٤، https://www.vaticannews.va/ar/pope/news/2019-02/ar-pope-francis-uae-document-human-fraternity.html

الفصل الأول

المنهج النبوي في استيعاب المشركين والمنافقين العرب

المبحث الأول: منهج الحوار العقلي والعاطفي والحسي

المبحث الثاني: استيعاب الاعتداء الجسدي واستخدام القوة

المبحث الثالث: استخدام العفو والصفح والمودة

المبحث الرابع: دلالات استيعاب المشركين والمنافقين في الخطاب الدعوي المعاصر

مدخل:

إنّ المنهج النبويّ أسلوب وطريقةٌ للعيشِ تتلاءمُ مع كلّ الظّروف، وهو صالحٌ لكلّ زمان ومكان، والمنهاج النبوي الذي رسم معالمه الوحي الرباني، وحدد وظائفه ومقاصده النبي الكريم ﷺ لأنه المُخبر عن الله تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[1]، بمعنى أنّ الله جلّ وعلا أوحى إلى نبيه بالأوامر والنواهي[2].

فالمنهج النبوي صلاحيته لكل زمان ومكان نابعة من مرونة قواعده، وشمولية مقاصده، وشرف ونبل وسائله، وهو موافق لما اصطلح عليه القرآن الكريم "الصراط المستقيم"، نظرا لما تتميز به ملامح العبقرية في هذا المنهج، وصلاحيته لتنقية السلوك الإنساني من شوائب التعصب والتحجر، وغوائل الانفلات والتحلل، ولما يتميز به من طرافة وجدة ورصانة وتأصيل.

لقد ساعد المنهجُ النبوي الناس على التحرر من وصمة الجاهلية الحديثة فهذه الجاهلية تفضيل الرأي البشري على الوحي، والزيغ عن الشريعة الإسلامية والمنهاج، إلى شرعة المصالح ومنهاج الشهوة، وابتغاء الفتنة"[3]، والمنهاج النبوي هو الذي يحرر الإنسان ويعصمه من أن يظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، ويعصمه من حكم الجاهلية ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة النجم: الآية ٤.

(٢) ينظر: تفسير البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة ٤، الجزء ٧، الصفحة٤٠٠.

(٣) الإسلام والقومية العلمانية، عبد السلام ياسين، دار لبنان للطباعة والنشر، ٢٠١٢م، الصفحة ١٦٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٠.

ولذا، وانطلاقاً ممّا سبق كلّه تحاول الدراسة الحاليّة الحديثَ عن منهج النبيّ صلوات الله عليه في التّعامل مع المشركين والمنافقين، وكيف حاول استيعابهم بالحوارِ، واللينِ، وعدم ردّ الإساءةِ بالإساءةِ؛ بل بالعفو والصفح، وذلك في ثلاثةِ مباحثٍ.

ومن الجدير بذكره وتوضيحهِ قبل الخوضِ في مضمار الفصل، هو توضيح الفروق الدقيقة بين المنافقين والمشركين، لبيان خصائص وسمات كلّ فئة بدقّة.

فأما النفاق فهو إظهار الإنسان غير ما يضمر، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر، والمنافقون هم جماعة من عرب المدينة وما حولها، أعمى الله بصائرهم، فأظهروا الإسلام وأضمروا الكفر خوفاً على حياتهم(١).

وتعدّ هذه الفئة أكثر الفئات خطراً على المسلمين؛ لأنّهم يُظهِرون الإيمان والمساندة للمسلمين في حين أنّهم يدعمون الباطل بكلّ الوسائل، ويكفرون بالله في قلوبهم، حيث حاول المنافقون في عهد النبي ﷺ صدّ الناس عن دينهم بكل وسيلة أتيحت لهم " فخذلوا رسول الله ﷺ وفتوا في أعضاد المسلمين ورغبوهم في ترك متابعة رسول الله ﷺ، وكانوا يبرزون كلما وجدت فرصة لهم، ويعملون عمل الجبان النذل، فإذا دعا ﷺ إلى القتال اندسّوا بين المسلمين فخوّفوهم بين الحرّ والقرّ، وكبروا من شأن عدوهم ليمنعوهم من الخروج"(٢).

أما المشركون هم الذين أشركوا مع الله تعالى غيره في العبادة أو الألوهية أو الربوبية، فهم لا يعبدون الله وحده، بل يُدخلون معه شريكًا من صنم أو وثن أو نبي أو مخلوق أو قوة كونية، فيجعلونه ندًّا لله تعالى.

---

(١) يُنظر: الكفر والمكفرات، أحمد البيانوني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٩٩٠م، الصفحة ٤٧.

(٢) النهج المحمديّ، عبد العزيز المسند، دار العمير للثقافة والنشر، السعودية، ١٩٨٦م، الطبعة ٢، الصفحة ١١٣.

الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش فيكون الكفر أعم من الشرك. والكفر مشتق من "كفر" أصل يدل على الستر والتغطية، والكفر: ضد الإيمان، يقال كفر بالله كفراً، وسمّي الكفر بذلك لأنه تغطية الحق، والكفر: جحد النعمة، وهو ضد الشكر، وقد كفره كفوراً وكفر لنا، ويقال: كفرت الشيء أكفره كفراً أي سترته، يقال للقبر وظلمة الليل والرماد إذا غطته الرمال (كفر ومكفور) لأنه يغيب فيه الشيء، ويطلق الكافر على: البحر لتغطيته اليابسة، وعلى السلاح إذا غطى صاحبه، وعلى الليل لأنه يغطي النور بظلمه وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره، والكافر هو الزارع لأنه يغطي البذور بالتراب والكفار هم الزرّاع قال تعالى:﴿ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾[1][2].

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الطبعة ١، الصفحة ٥٤٧.

المبحث الأول

منهج الحوار العقلي والعاطفي والحسيّ

الفرق بين الحوار والجدل:

بين ان الحوار يختلف عن الجدل من حيث المصدر والاسلوب فالحوار يهدف الى الفهم والوصول الى الحقيقة في إطار من الاحترام بينهما والجدل ركز على الزام الخصم وقد ينقلب الى خصومة.

مشروعية الحوار:

الحوار مشروع في الاسلام وهو وسيلة اساسية للدعوة الى الله عز وجل يقوم على الحجة والمنطق والرفق بالمخاطب ويهدف الى الهداية وقد جاء الحكم صريحا في القرآن الكريم ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]. والحوار والجدل بالتي هي احسن احسن مشروع وهي طريقة النبي محمد ﷺ مع المخالفين"[2]. والحوار وسيلة دعوية قائمة على احترام عقل المخاطب"[3].

مشروعية الحوار

يعد الحوار من اهم اليات التواصل الانساني اذ يمثل وسيلة مركزية لبناء المعرفة والتفاهم بين الافراد ويسهم في تطوير التفكير النقدي وتعزيز التفاعل المعرفي بين المتحاورين"[4].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، الجزء ٣، الصفحة ٤٣٥.

(٣) طه جابر العلواني، اداب الاختلاف في الاسلام، الصفحة ١٣.

(٤) ينظر: د. ايمان ابراهيم مجالات استخدام الحوار في التربية وتنمية الوعي الفكري، الصفحة ٣٥.

اهمية الحوار

اضحت اهمية الحوار في جميع مجالات الحياة الاجتماعية من الحقائق الواضحة التي لاتخفى على احداث لم يعد الحوار ترفا عقليا بل تحول الى ضرورة حياتية وتظهر اهميته بصورة كبيرة في المنهج النبوي الذي تعامل مع المخالف"[١].

اهداف الحوار:

اقامة التفاهم والتواصل بين الرسول محمد ﷺ والمخاطب والتعريف بالدين الصحيح وترسيخ العقيدة الاسلامية وتصحيح المفاهم الخاطئة وازالة الشبهات والتعليم والتربية بالحكمة والموعظة الحسنى وتحقيق السلم المجتمعي وتعليل النزاعات بين الخصوم"[٢].

ضوابط الحوار القرآني:

ان القرآن الكريم وضع ضوابط واضحة للحوار مع الاخرين تتضمن الالتزام بالحكمة والموعظة الحسنى واقامة الحجة والبرهان والاعتراف بالاختلاف كجزء من سنة الله في خلقه مع مراعاة احترام الطرف الاخر واستعمال اساليب راقية في النقاش وتظهر هذه الضوابط من خلال النصوص القرآنية التي تأمر بالعقلانية والرفق وعدم الجدال العقيم والسعي نحو الوصول الى الحق بنية صادقة[٣]. قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[٤].

---

(١) ينظر: مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية ٢٠٢٥، اهمية الحوار، الصفحة ٢.

(٢) ينظر: د. خليل محمد ايوب اسلوب الحوار في الحديث النبوي الشريف، الصفحة ٢٠-١٢٣.

(٣) ينظر: م. م. احمد حميد عباس الحوار القرآني مفهومه وضوابطه، الصفحة ٥٠.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

ضوابط الحوار في السنة النبوية

يمثل الحوار في السنة النبوية منهجاً موضوعياً على مجموعة من الضوابط الاخلاقية والعملية التي تحقق التواصل البناء بين المتحاورين وتؤكد احترام الاخر والالتزام بالحكمة والرفق واقامة الحجة والبرهان والابتعاد عن الجدال العقيم كما يتحلى ذلك في العديد من نماذج الحوار النبوي مع اصحابه والمشركين واهل الكتاب وهذه ضوابط تجسد القيم الانسانية التي رسمها النبي ﷺ في تعامله مع الاخرين وتظهر في الاخلاق التي ارتضاها ﷺ في الحوار(١).

منهج النبي محمد ﷺ في الحوار

الاخلاص في النية وابتغاء الحق ومن ضوابط الحوار النبوي ان يكون الهدف هو الوصول الى الحوار ونفع الناس.

الحكمة والرفق في الكلام، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾(٢). وهذا دليل قاطع على ان الحوار يجب ان يتضمن بالحكمة والرفق وهذا ماطبقه رسول الله ﷺ في احاديثه وسيرته العطرة.

الاعتراف بالاختلاف واحترام الاخر من منهج النبي ﷺ انه كان يعترف باختلاف الناس في العقائد والافكار.

الصبر وعدم استعجال النتائج الصبر من اهم الضوابط في الحوار انه كان ﷺ يتحلى به حتى يصل الى الفهم المعتاد.

---

(١) ينظر: عزة محمد مطاوع الشاوي الحوار مع الاخر اخلاقياته ونماذجه في ضوء السنة النبوية صفحة ٦٥.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

التدرج في الحجة والاستدلال النبي ﷺ كان يبدأ الحوار من حيث يصلح الطرف الاخر ويتدرج نحو الحجة المبنية على الدليل(١).

لم يفرض الإسلام نفسه بالقوة كما يدعي المغالطون، بل سعى جاهداً الى دعوة الناس للدخول به عبر استخدام لين القول والفعل، فكان الحوارُ أحد أبرز الوسائل التي جاء بها القرآن الكريم، والتزمَ بها النبي ﷺ لتشجيع الناس على الدخول بدين الإسلام دون إجبار.

وعند متابعة المنهج النبوي في استيعاب المشركين والمنافقين، نجده يلجأ إلى الحوار في أغلب الأحيان، وقبل توضيح نماذج وأسس هذا الحوار؛ لا بدّ من توضيح ماهية الحوار:

أ- تعريف الحوار: في اللغة:

الحوار مصدر حاور الذي يأتي على "حوارا ومحاورة وحويرا ومحورة، بضم الحاء، بوزن مشورة أي جوابا. وأحار عليه جوابه: رده. وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة الحوير، تقول: سمعت حويرهما وحوارهما. والمحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب؛ وتقول: كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي خويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا حوارا أي ما رد جوابا. واستحاره أي استنطقه"(٢).

(١) ينظر: ثقافة الحوار في السنة النبوية محمد عبدالله رزمان، دار الكتاب للطباعة والنشر، الصفحة ٦٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ، باب فصل الحاء المهملة، الجزء ٤، الصفحة ٢١٨.

ب- تعريف الحوار اصطلاحا:

هناك عدة تعريفات للحوار في الاصطلاح منها أن يتمّ ترجيع الكلام بين طرفين او عدة أطراف، وهو أسلوب من أساليب الحديث المتداولة بين الناس، الذي يتسم بأنه متكافئ؛ حيث يأخذ الجميع نصيبه من الكلام، كما يجب أن يتصف بالرقي والابتعاد عن اللغة المعادية والخِصام، وهو من أعلى سمات الأدب الرفيع(١).

كما جاء الحوار على أنّه مناقشة بين طرفين أو أطراف، ولها مقاصد وغايات كثيرة؛ منها إزالة الخطأ في الكلام، وتأكيد ما هو حق، وتصحيح الفاسد من الأفكار والآراء(٢).

وبعد ذلك يمكن أن نستنتج أنّ الحوار كما أرى يعني المناقشة التي تجري بين عدد من الأشخاص لا يقلّ عن اثنين، ويمكن أن يتسع ليشمل أمة كاملة؛ مثل محاورة النبي محمد ﷺ لإقناع الناس كي يهتدوا لدين الإسلام وبكلّ تأكيد كان الخطاب الحواريّ على أنواع، ولكل نوع سماته وخصائصه.

الْمَطْلب الأوّل

منهج الحوار العقلي

تميّز الإسلام منذ بزوغ فجره بمنهج فريد في الحوار، يقوم على احترام العقل البشري، واستدعاء الحجة، وتقديم البرهان، وفتح المجال للتفكير والنقاش. فلم يكن الإسلام دين قسر وإكراه، بل جاء يخاطب العقول ويستنفر الفطرة، ويعتمد في دعوته على الإقناع لا الإلزام، وعلى البيان لا العدوان.

---

(١) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ، الجزء ١، الصفحة ٢٢.

(٢) ينظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ابن حميد، صالح بن عبد الله، دار المنارة للنشر والتوزيع- جدة ، الطبعة الاولى ١٩٩٤، الجزء ١، الصفحة ٦.

وقد سلك القرآن الكريم هذا المنهج في مخاطبة المخالفين، سواء أكانوا من المشركين أو أهل الكتاب أو حتى المنكرين لوجود الله، فجاء بأسلوبٍ يجمع بين الدعوة بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن، مستندًا إلى أدلة عقلية ونقلية تؤسس للإيمان، وتفكك شبهات الخصم دون تعالٍ أو إهانة.

أمثلة من القرآن الكريم:

١. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١].

٢. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٢].

٣. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣].

إن هذا المنهج لا يتوقف عند إثبات العقيدة، بل يتجاوزها إلى مجالاتٍ شتى من الأخلاق، والمعاملات، والحقوق، حيث يربّي الإنسان على التحاور لا التصادم، والتفاهم لا التنازع. وهو ما جعله صالحًا لكل زمان ومكان، متميزًا عن كثير من النظم الفكرية التي لم تتحمل وجود المخالف[٤].

وقد تجلى هذا المنهج في سيرة النبي ﷺ، فكان يحاور اليهود والنصارى، ويجالس وفود المشركين، ويجادل المنافقين، دون أن يغلق باب الحوار أو يقطع جسر التواصل، ما دام ذلك في إطار احترام الحقيقة وطلب الهداية. يقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

(٢) سورة النساء: آية ٨٢.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٢٠.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2].

وقد طبق النبي ﷺ هذا المنهج تطبيقاً عملياً على المشركين، وكان وقع ذلك شديد عليهم، إذ إنه ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة وقد تهزم العساكر الكبار؛ والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة، وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم أنما أسلموا بقيام البراهين على صحة النبوة عندهم فكانوا أفضل ممن أسلموا بالغلبة؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3] ولا شكّ في أن هذا إنما هو بالحجّة؛ لأن السيف مرّة لنا ومرة علينا وليس كذلك البرهان بل هو لنا أبداً ودامغ لقول مخالفينا ومزهق له أبداً[4].

نفهم من ذلك أنّ الحوار العقلانيً هو الحوار القائم على تقديم الأدّلة المنطقية، وإعطاء الحجج والبراهين التي لا تقبل الشك، فما الطريقة والأسلوب الذي اعتمده النبي الأكرم في الحوار العقلاني مع المشركين والمنافقين؟

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٤) يُنظر: الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الظاهري، تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، نسخة الشاملة لا يوجد طبعة، الجزء ١، الصفحة ٢٥.

بعد تتبع السيرة النبوية في حوار النبي ﷺ نجد أنّ النبي الأمين ﷺ اعتمد على مخاطبة المشركين بحوار يهدف إلى جعل عقولهم تتقبل دين الإسلام قبل قلوبهم، فكان حواراً فيه الكثير من الفكر والمنطق(١).

وأما مع المنافقين؛ فنجد أنّ "الجدال في السنة مع المنافقين كالجدال معهم في القرآن، يركز على فضحهم وكشف نواياهم وهتك أستارهم، ثم تهديدهم وتوعدهم بما أعده الله لهم من الخزي والنكال في الدارين، فلم تكن المناظرة تجدي مع من انتكست فطرته، وفسدت طبيعته، ومرضت نفسه، يُظهر للولاء وقد أبطن العداء، ويعلن الوفاق وقد أضمر الخلاف، يظهر ذلك على فلتات ألسنتهم، وعند مواقف الشدة والتمحيص؛ ولهذا كثيراً ما كان الصحابة يلتمسون من رسول الله ﷺ أن يمكنهم من قتل من أظهر نفاقه، لكنه ﷺ كان يترك ذلك اتقاء مفسدة هي أعلى من كيدهم ومكرهم؛ وهي سوء نظرة العرب إليه، أنه يقتل أصحابه، فيكون ذلك صادا لهم عن الإيمان ومانعاً لجماعتهم من الدخول في الإسلام"(٢).

نلاحظ النبي ﷺ درأ مفسدة أكبر بمفسدة أصغر، وعمد معهم في كثير من الأحيان إلى الحوار لأنه كان حريصاً على فوزهم ونجاتهم في الآخرة.

ومن نماذج مخاطبة الرسول ﷺ للمشركين بحوار عقلاني:

في مكة قبل الهجرة، بعثت قريش مرسالاً إلى سيدنا محمد ﷺ مفاوضا له قصد التخلي عن رسالته، وكان ذلك حين أسلم عمه حمزة ﷺ، وأخذ أصحاب الرسول

(١) يُنظر: السيرة النبوية، ابن هشام، الجزء ١، الصفحة ٤٢٠.

(٢) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، دار إشبيليا، الطبعة ١، الجزء١، الصفحة ٦٤٣.

يزيدون، فقال عتبة[1]، وهو في نادي قريش، والرسول جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمَه وأَعرضَ عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا. قالوا: نعم يا أبا الوليد قم إليه فكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى الرسول وقال: يا محمد إنك واحد منا ذو شرف ونسب، وإنك قد أتيتَ قومك أمرا عظيما فاسمع مني ما اقترح عليك فأجابه الرسول ﷺ: قل يا عتبة فإني أسمع[2].

قال عتبة: يا ابن أخي، إذا كنت جئت بهذا الدين من أجل المال، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أثرانا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك هلوسة من الجن، طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. قال: أفرغت يا عتبة؟ قال عتبة: نعم، فقال له: فاسمع مني– قال عتبة: افعل.

فقرأ عليه النبي ﷺ من سورة فصلت: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[3]، وعتبة منصت إليه وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها، فلما انتهى الرسول إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ

(١) الوليد بن عُتَبة بن ربيعة العبشمي القرشي الكناني (٦٨ ق هـ – ٢ هـ / ٥٥٥م – ٦٢٤م) من كبار وسادة وحُكَماء قبيلة قريش في الجاهلية، وأحد وُجهاء مكة، انتهت إليه سيادة بني عبد شمس من قريش، كان عُتَبة موصوفا بالرأي والحلم، خطيباً، نافذ القول، ضخم الجثة، عظيم الهامة، توفي أبوه ربيعة بن عبد شمس وهو صغير فنشأ يتيما في حجر ابن عمه حرب بن أمية بن عبد شمس. وقد شهد عُتَبة حرب الفجار بين قبائل كنانة وقبائل قيس، ينظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٢) سيرة ابن هشام، الجزء ١، الصفحات ٢٩٣–٢٩٥.

(٣) سورة فصلت: الآيات ١–٣.

صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[1]، انتفض عتبة من مكانه ووضع يده على فم الرسول وهو يقول له: قومَك يا محمد لا تدع عليهم[2].

ثم قال له: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك. ذُهل عتبة من كلام الله الذي سمعه وسكت ولم يدر بماذا يجيب، ثم استأذن بالانصراف ورجع إلى أصحابه خائبا بعد أن كان يظن أن النفوس كلَها تُشترى بالمال، أو السيادة أو السلطة، ولما عاد إلى قومه قالوا له: نحلف بالله إنك عدت بغير الوجه الذي ذهبت به يا عتبة. ما وراءك يا رجل ؟ لماذا أنت مذهول هكذا؟

فقال عتبة: لقد سمعت قولا والله ما سمعت قبله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا هو بالكِهانة، يا معشر قريش أطيعوني وأخلوا سبيل هذا الرجل، فإن تصبه العرب فقد أراحكم منه غيرُكم، وإن ظهر أمرُه على العرب فمُلكه مُلككم وعِزه عِزكم وكنتم أسعد الناس به.

قالت قريش: تبا لك يا رجل! والله لقد سحرك بلسانه. فقال عتبة: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[3].

ونلاحظ حوار النبي محمد ﷺ الذي خاطب به عتبه واستعمال الكنية – أبا الوليد– والنداء الهادئ، مجيباً عليه بعد أن تحدّث طويلاً وأفرط في الحديث، وذكر كلاماً يثير الحليم، ويهيج العفيف، ويغضب الحر، ويستحق في مقابلها ردّاً مساوياً لها، في الجفوة والقسوة والإيلام، لكنّ الرسول الأكرم عليه صلوات الله لم يُقاطعه ولم يتكلّم بانفعال، إنّما قدّم في ردّه برهاناً على أنّه لا يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه، شهادة رائعة

---

(١) سورة فصلت: الآية ١٣.

(٢) سيرة ابن هشم، الجزء ١، الصفحات ٢٩٣–٢٩٥.

(٣) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت، ١٤١١هـ، الجزء ١، الصفحات ٢٣٤، ٢٣٥.

الدلالة على أنّ الإسلام لا يرجو للبشرية إلا توجيهها إلى طريق الخير والصلاح، بما يحقق لها السعادة والأمن والتكريم في الدنيا والآخرة(١).

وفي الواقع هذا الحوار الموجود في قصة عتبة بن ربيعة يعطينا أروع مثال في أدب الحوار وحسن الإنصات، وترك الخلاف المذموم المؤدي إلى انقطاع التواصل مع المخاطب. لقد استمع النبي إلى كلام عتبة، ولم يقاطعه حتى أتم كلامه بالرغم من أنه يعرف مسبقا معرف زائره منه. وعليه يمكن أن نستنتج سمات الحوار العقلاني لسيدنا ﷺ، والتي تتمثل في حسن الإنصات وإعطاء الفرصة في الكلام للمخاطب لكي يقول كل ما عنده دون مقاطعته، ومن ثم مواجهة المتحاور وعدم الإعراض عنه وخفض الجناح له وعدم التعالي عليه. إعطاء الحق للآخر في التعبير ومخاطبته باللغة التي يفهمها حتى وإن لم نتفق معه في ما يقوله، فليس من الضروري أن يتبنى الآخر ما أقوله.

وعليه يمكن القول أنّ الإقناع يُعدُّ فعلاً مؤثراً في الرأي العام أو في وجهة النظر، إذ يتم عن طريق المناقشات أو التفسيرات، فهو ولكونه محاولة واعية تستهدف تعديل السلوك والفكر عن طريق التّحكّم في دوافع الأفراد قبل تقرير غاياتهم أو أهدافهم. الإقناع هو قدرة التأثير في الآخر؛ فهو يستهدف بالدرجة الأساس، إحداث تغيير في اتجاهات الجمهور أو آرائه أو سلوكه، ولكي يحدث مثل هذا التغيير فإن الأمر يقتضي تقديم عدد من الحجج أو الأدلة أو الشواهد التي تثبت صحة القضية التي اشتملت عليها الرسالة الاتصالية أو تدحضها بصورة كليّة(٢).

---

(١) ينظر: دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعة جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ، الطبعة ٢، الصفحة ٢٣٣.

(٢) يُنظر: الصورة والاقناع، محمود شمال حسن، دار الافاق العربية، بغداد، ٢٠٠٥م، الصفحة٣٠-٣١.

والإقناع فن لا يجيده إلا من يمتلك أدواته، حيث يعدّ من مهارات التواصل[١] الأساس للنجاح في الحياة، كما نجد أن الأشخاص المقنعين يتمتعون بقدرة فريدة في استمالة قلوب الآخرين نحو طريقة تفكيرهم، ويعدّ الإقناع أفضل وسيلة لنشر الدين، ذلك أنه يخاطب العقول، والأرواح، ويحرّك الفطرة الإنسانية، والشعور العميق داخل الإنسان؛ قال تعالى: ﴿...فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[٢].

كذلك ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه في الحديث: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عَقَلَه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب، فقال له النبي ﷺ: (قد أجبتك). فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمُشدِّدٌ عليك في المسألة، فلا تجدْ عليَّ في نفسك. فقال: (سل عما بدا لك) فقال: أسألك بربك ورب مَن قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: (اللهم نعم). قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: (اللهم نعم). قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: (اللهم نعم). قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: (اللهم نعم). فقال الرجل: آمنت بما جئتَ به، وأنا رسول مَن ورائي مِن قومي، وأنا ضِمامُ بن ثَعلبَة أخو بني سعد بن بكر[٣].

---

(١) فن الاقناع، د. رقية بنت محمد المحارب، موقع صيد الفرائد.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٣.

(٣) ضمام بن ثعلبة السعدي: ابن سعد بن بكر بن هوازن، عرف هو أول من وفد على النبي ﷺ من الاعراب، وهو وافد بني سعد ورئيسهم. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، الجزء ٣، الصفحة ٣٩٥.

فأسلوب الحوار الذي قام به الرسول ﷺ جعله يغير من فكره وينقل ذلك إلى قبيلته، وبذلك نشر الحق في المجتمعات. كما رسم الرسول ﷺ صورة رائعة في حواره مع حاطب بن أبي بلتعة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وخلاصته: أن الرسول ﷺ لما أجمع المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم. ثم أعطاه امرأة –زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب–، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشًا، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به. وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فقال: (أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم). فخرجا حتى أدركاها بالخَليقة، خَليقةِ بني أبي أحمد فاستنزلاها، فالتمساه في رحلها، فلم يجدا فيه شيئًا. فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك: فلما رأت الجد منه قالت: أعرِض، فأعرَض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه. فأتى به رسولَ الله ﷺ، فدعا رسولُ الله ﷺ حاطبًا، فقال: (يا حاطب ما حملك على هذا؟). فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت امرءًا ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله ﷺ: (وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[1].

(١) رواه البخاري، باب ما جاء في العلم، المجلد الرابع، الصفحة ٥٩، رقم الحديث (٣٠٠٩).

وفي حواره مع المنافقين استعمل ﷺ الحجة والإقناع كذلك، من مثل حواره مع مسيلمة الكذاب[١]: كما جاء عن ابن عباس ﷺ، قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي ﷺ المدينة فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته فقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شمّاس، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريدة، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، قال: "لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن أتعدى أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت، وهذا ثابت يجيبك عني".

ثم انصرف عنه، فقال ابن عباس ﷺ: فسألت عن قول النبي ﷺ: "إنك أرى الذي أريت فيك ما أريت؟"، فأخبرني أبو هريرة: أن النبي ﷺ قال: "بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي، فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة"[٢].

عن عبيد الله بن عتبة قال: بلغنا أن مسيلمة الكذاب قدم المدينة فنزل في دار بنت الحارث، وكان تحتها بنت الحارث بن كُرَيْزٍ وهي أم عبد الله بن عامر، فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وهو الذي يقال له: خطيب رسول الله ﷺ، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب فوقف عليه فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خليت بيننا وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك، فقال النبي ﷺ: "لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه، وإني لأراك الذي أريت فيك ما أريت، وهذا ثابت بن قيس وسيجيبك عني".

---

(١) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ من المعمرين مات سنة ٢٢هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، الجزء ٧، الصفحة ٢٢٦.

(٢) رواه البخاري في "المغازي" في قصة الأسود العنسي، كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم الحديث (٤١١٤).

فانصرف النبي ﷺ. قال عبيد الله بن عبد الله: سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر، قال ابن عباس: ذكر لي.. فذكرها[١].

هذا مسيلمة المنافق قد اشترط شروطاً لاتّباع النبي ﷺ فيما يدعو إليه، قال القاضي عياض: "وكان مسيلمة إذ ذاك يرفع للإسلام ظاهراً، ويشترط شروطاً، وإنما ظهر كفره وارتداده بعد ذلك"[٢].

ولقد حاور الأمين ﷺ هذا المنافق حواراً فيه الحجّة والبرهان، قال ابن حجر رحمه الله: "وأراد استئلافه بالإحسان بالقول والفعل، فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه إليهم ليقيم عليهم الحجة، ويعذر إليه بالإنذار والعلم عند الله تعالى"[٣].

ثم أعرض النبي ﷺ عنه، واختار له ثابت رضي الله عنه ليقيم عليه الحجة، قال القرطبي[٤] رحمه الله تعالى: "وقوله ﷺ: (وهذا ثابت يجيبك عني) يعني: ثابت بن

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، الجزء ٥، الصفحة ١٧٠، رقم الحديث (٤٣٧٣).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، شرح صحيح مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون البستي، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر، ١٩٩٨، الطبعة ١، الجزء ٧، الصفحة ٢٣٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، رقم كتبه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف عليه : محب الدين الخطيب، تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، الجزء ٨، الصفحة٩٠.

(٤) الامام القرطبي: ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري القرطبي، ولد في قرطبة في أواخر القرن السادس الهجري وتوفي سنة ٦٧٠هـ، ويعد من كبار المفسرين وأئمة الفقه المالكي، من أهم مؤلفاته كتاب الجامع لأحكام القران. ينظر: سير اعلام النبلاء، جزء ٢٣، الصفحات ٣٢٠-٣٢٣.

قيس بن شماس[١]، خطيب رسول الله ﷺ، فكأن النبي ﷺ وجد على مسيلمة في نفسه، فأعرض عنه إعراض المحتقر له، المصغر لشأنه، وأحال على ثابت لعلمه بأنه يقوم عنه بجواب كل ما يسألونه عنه، إذ كان من أفضل الناس وأكملهم عقلاً، وأفصحهم لساناً، وكان مع ذلك جهورِي الصوت، حسن النغمة، فكان يقوم بالحجة، ويبالغ في إيراد الخطبة"[٢].

إن للإقناع هدفاً يرجى من ورائه، ومن الصعوبة أن يتطور المجتمع ويتقدم إن لم يأخذ بوسائل الحضارة، وهنا نلمح دور الإقناع وضرورته، ونشعر بأهميته في أمور الحياة المتعددة، فالإقناع ليس من الضروري أن يكون في صورة مباشرة وموجهة للشخص بعينه، والإقناع بشكل عام يلزم ضرورة تواجده في مجالات الحياة كافة فهو وسيلة وأسلوب فالناس يتصرفون مع بعضهم بأساليب تجعل من سلوكهم مقبولاً لدى الآخرين ومقنعاً، والإقناع يدخل في كل مجالات الحياة الاجتماعية، وقد يتفاضل الناس في الإقناع وفي امتلاك القدرة عليه فهو في النهاية عمل بشري يتفاوت الناس في درجة إتقانه وحسن الإعداد له، فيجب أن يرتب الداعية نفسه ويعدها بحسب نوع الإقناع وموضوعه وظروفه والموجه إليه، لأجل ذلك يرتب أفكاره لأن الإعداد الجيد للأفكار والنظر فيها يحقق درجات عالية من النجاح. فقد ارتبطت عملية الإقناع بالعلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات، وتلعب دوراً كبيراً في تحديد

---

(١) ثابت بن قيس بن شمّاس، بن ثعلبة بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن الحارث بن الخزرج، يكنّى أبا محمد، قتل باليمامة شهيداً وشهد له النبي ﷺ بالجنّة. ينظر: معرفة الصحابة، ابن منده، الصفحة ٣٣٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الشيخ الفقيه الإمام العالم أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، الجزء ١٨، الصفحة ١٤٦.

استجابة الناس للرسائل الإعلامية إذ يلعب الإعلام دوراً هاماً في التواصل ونقل الأحداث في المجتمع، وهذا يدخل ضمن إطار العلاقات الاجتماعية التي قد تعد متغيراً أساسياً في عملية الإقناع والتأثير(١).

الإقناع يلعب دورًا بارزًا في عملية التواصل، حيث يؤثر على الطرف الآخر ويساهم في تحقيق الأهداف المشتركة، يعزز الإقناع خلال التواصل قدرة المتلقي على تنسيق أفكاره والعمل نحو تحقيق تلك الأهداف، ويعود ذلك بالفائدة على كل الأطراف المشاركة، بالإضافة إلى تعزيز الشعور بالألفة والقرب، فكلما كان لدينا مهارات إقناع قوية، كلما كنا أقرب إلى أذهان وقلوب الآخرين، وتلعب الثقة بالنفس دورًا كبيرًا في الإقناع والتأثير على الآخرين، فإذا كنت تثق بنفسك، ستتمكن من التواصل بفعالية وتحقيق ما هو مطلوب منك، وتعزز الثقة بالنفس الإرادة والمعنويات الإيجابية، مما يسهم في التفوق في الحياة، بالإضافة إلى ذلك، يعزز الإقناع الشعور بالانتماء خلال التواصل الاجتماعي، ويساعد في تخفيف التأثير الانفعالي أثناء التواصل(٢).

إن النبي ﷺ قطع أطماع مسيلمة في النبوة من بعده، وأنه لن ينالها، وأقام عليه الحجة بأنه إن لم يدخل الإسلام حقيقة فسيهلكنه الله تعالى، وأحال إجابة مسيلمة إلى ثابت بن قيس رضي الله عنه حتى يفحمه، فهو الخطيب المُفوَّه، وعنده القدرة على بيان الحجة، وهذا أمر مهم لابد من توفره فيمن يتصدر لإقامة الحجج على المدعوين، وذلك حتى ينفذ إلى قلوبهم فيستميلها(٣).

---

(١) ينظر: نظريات الاتصال، بشير العلاق، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، الصفحة ٧٣.

(٢) ينظر: الإقناع الاجتماعي، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الصفحة ١٩٣.

(٣) ينظر: الإقناع الاجتماعي، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الصفحة ١٩٣.

ومن الضروري وبكل تأكيد أن يكون المحاور متسلحاً بكل ما يملك من قوة معرفية، ويمتك ما يمتلكه من حجة وبرهان يستطيع عبره أن يجابه الطرف الآخر بكل ثقة. والحجة مهمة جداً، ومن دونها لا يستطيع الإنسان أن ينجح في أي حوار؛ لأنها الوجه الذي يمكّن الإنسان من الفوز في المخاصمة، وهو رجل محجاج أي جدل، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته(١).

والحجة وجه الظفر عند الخصومة والفعل حاججته فحججته واحتججت عليه وهكذا، أما ابن منظور فيرى أن الحجة هي البرهان. أما اصطلاحا فقد عرفه أبو هلال العسكري بأنه "ظهور الحجة"(٢).

في الواقع إنّ الإقناع يعتمد بشكل أساسي على الحجّة، وهو كان ولا يزال من أهم الوسائل وأكثرها تأثيراً على الآخرين، وهو الأداة التي من خلالها يتم إثارة المتلقي وإقناعه مما يؤدي إلى تغيير معتقده وموقفه واتجاهه وبالتالي سلوكه، والنتيجة تكوين رأي عام متفق مع غرض أو موضوع الإقناع بعد استمالة الجماهير واستقطابها، وبشكل عام يبدأ الإقناع من الفكرة ومن ثم كيفية التعبير عنها وكيفية نقلها سواء عن طريق المناقشات والحوارات أو من خلال الخطب والرسائل، والأهم من ذلك كله أن يكون المرسل متمتعا بالقدرة على الإقناع لتحقيق الأثر المطلوب(٣).

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، باب الحاء، الجزء ٢، الصفحة ٢٢٨.

(٢) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دون تاريخ، الصفحة ١٢٢.

(٣) ينظر: دراسة آليات الإقناع والحجاج في رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، مهدي عابدي، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي، المجلد ٩، العدد ٣٦ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٩)، جامعة آزاد الإسلامية.

وقد أكّد القرآن الكريم أنّ الحجة والبرهان والإقناع هي أهم الوسائل في شدّ الناس وجذبهم إلى الإسلام، وليست الوسائل الأخرى، مع الحرص الشديد على أن يكون الحوار اخلاقياً، يتسم بالأدب حتى لو كان الطرف الآخر عكس ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى موجها هذه الامة: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

وتعني الآية أنّ رسولنا الكريم ﷺ وأصحابه الأفاضل رضوان الله عليهم كانوا يذكرون الأصنام بسوء ويذكرون عيوبهم ،مما أزعج المشركين، وهددوا الرسول والصحابة بفعل المثل؛ أي أنهم سيشتمون رب المسلمين، ولذا جاء الأمر الإلهي يمنع المسلمين بسب الأصنام؛ لأن المشركين جهلة.

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً يعني: أنهم قد يتطاولوا على الله جل وعلا بسبب جهلهم، ولذا يجب الحذر من ذلك خوفاً من كلامهم الجاهل على الله[2].

فهنا الحوار يجب أن يقوم على الحجة والبرهان؛ لأن الكلام والانفعال قد يحدث آثاراً عكسية لدى الطرف الآخر فيجعله يتطاول على الله دون علمه بمدى خطورة هذا الفعل، فالخطاب العقلاني القائم على العقل والمنطق هو الحل الأنسب.

قَالَ ابْن عَبَّاس: أَرَادَ بِهِ كلمة لَا إِلَه إِلَّا الله. قَالَ مُجَاهِد: أَرَادَ بِهِ الْإِسْلَام. وَقيل: هُوَ الْقُرْآن وَمَعْنَاهُ: فقد تمسك بتمسك، أَي: لَا انْقِطَاع لَهَا بدعائك إِيَّاهُم إِلَى

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٨

(٢) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الجزء ١، الصفحة ٤٧٤.

الْإِسْلَام بحرصك على إسْلَامهمْ[١]. وقمة احترام الراي الآخر ما ورد في كتاب الله قوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

يقول الطبري رحمه الله عن هذه الكريمة: إن الله يعلم علم اليقين ان الرسول صاحب الحق والمشركون أصحاب الجهل، ولكنه جل وعلا لم يقل : أنّا على هدى، وأنتم على ضلال. فكذلك قوله: "إلا لنعلم"، معناه عندهم: إلا لتعلموا أنتم، إذ كنتم جُهالا به قبل أن يكونَ. فأضاف العلم إلى نفسه، رفقًا بخطابهم[٣].

هذا هو التواضع الذي لا يحده حد، عندما يملك الرسول ﷺ الحق واليقين ولكن لا يتكبر به، بل يحاول أن يجذب المشركين بالحوار الهادئ الإيجابي، ويستمع لقولهم ثم يدحضه بالحجة، ويبين لهم ضعف حججهم، لأن ذلك هو الغاية الكبرى من إرسال الله للرسل، أن يجعل الناس يؤمنون بالدين بكل إرادة واختيار.

نلاحظ أن(الحجة) وهي البرهان، وهي الدليل المبين لغرض المحاجة، وهي التي تظهر صحة أحد النقيضين، فالحجة هي المستند وكل ما يثبت صحة الأمر أو القضية مع الخصم[٤]، والحجاج أداة الإقناع، وهي عملية عقلية تهدف إلى التأثير في الأخر وتغيير موقفه إزاء أمر معين من خلال تقديم الحجج والأدلة التي تخدم الغرض

---

(١) ينظر: تفسير القرآن، أبو المظفر: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت: ٤٨٩هـ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة ١، الجزء ١، الصفحة ٢٦٠.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الإمام الطبري، محمد بن جرير الطبري، الجزء ٢، الصفحة ١٦٢.

(٤) ينظر: أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، محمد علي قوجيل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ٢٠٠١م ١٤٢٢هـ، الصفحة ٩٣.

بعد تكوين سلسلة من الاستنتاجات العقلية، والحجاج من أهم ميزات كلام الإمام سواء الشفوي أو الكتابي.

فيما يتعلق بالحجة فهي خطاب العقل بالدلائل والبراهين، وهي أسلوب له مقاصد دلالية، ويقوم بتوظيف اللغة للتأثير في الآخر، والحجاج هو البرهان الصادق، فهو ليس مصطلحا عابرا، وإنما علما يقتضي إعطاء الأدلة الحقيقية، وهو بكل توضيح خطاب العقل.

وهدف الحجة والبرهان في الحوار هو الوصول إلى الاقناع من أجل إبراز الجانب التأثيري والاقناعي، لأنه كاشف لقناع المعنى، وعبرا يفضي السامع إلى حقيقة الأمر والغاية منها تكون الفهم والإفهام، فالحد الذي يبلغ فيه المرء الإفهام يكون ذلك هو البيان؛ فالبيان مفهوم عام لغوي هدفه تحقيق الفهم والإفهام والمعنى مع التركيز على الجانب التواصلي بين المتكلم والسامع، ويعد البيان من آليات البلاغة التي تستعملها لتحقيق الغاية الإفهامية، ولم يكتف الجاحظ بتعريف البيان فقط بل ان القول يفصل في الكلام والشروط التي تكون تتوجب متوفرة فيه حتى يصبح أكثر بلاغة، بأنه مجموعة أدوات قادرة على استجلاء غموض المعاني واستيعاب الفكرة التي يطرحها المتكلم أو المرسل لتحقيق الاستجابة المطلوبة وهذا ما يحقق البعد الاتصالي عبر الفهم والإفهام[1].

ولا يقف الأمر عند قضية الفهم والإفهام بل تجاوزها إلى قضية أخرى أساسية وهامة وهي إبراز الوظيفة الإقناعية للحوار العقلاني بوساطة استمالة القلوب. أما إذا نظر المتلقي إلى القائم بالاتصال باعتباره غير ملم بالمعلومات الكافية فسيرفض توقعاته وبالتالي تفشل الرسالة في إثارة ردود أفعال عاطفية، لأن التعرض السابق للمعلومات يؤدي إلى نوع من التحصين العاطفي مما يزيد من الإثارة العاطفية.

---

(١) ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، الصفحة ١٧٥

والنبي عليه أعظم الصلاة والسلام لم تنقصه الحجة ولا البرهان، وحاول إقناع المشركين والمنافقين بشتى الوسائل، ولكن إعراض المشركين كان سببه الجحود والعناد.

ويمكن القول إن الجحود: مصدر مشتق من الفعل جحد، أصل يدل على قلة الخير، والجحود ضد الإقرار، وما جاء جاحد بخير، والجحود هو الإنكار مع علمه بما ينكره، يقال: جحده. حقه جحداً جحوداً؛ أي لم يعترف به. وما أنت إلا جاحد؛ أي قليل الخير، يقال عام جحد: أي قليل المكر، وجحد النبت إذا قلّ ولو يطل(١).

ويعني هنا نكران الحق مع الإقرار به في النفس. قيل " الجحود نفي ما في القلوب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه"(٢).

ولقد أكّد القرآن في غير موضع أن كثير من المشركين منذ بداية الزمان اقتنعوا بالإيمان، غير أن غرورهم منعهم من الدخول فيه مثل فرعون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٣).

فرعون تعالى بنفسه وتكبر على أوامر ربه، فكفر بالله وتعدي على خصوصيات الله تعالى– فادعى لنفسه الربوبية، ومن ثم الألوهية، وجحد الشريعة التي عرفوها، هذا الجحود والعناد أوصله إلى حد الإفساد في الأرض ، وارتكاب كل محظور؛ لأنه بكبره هتك جميع الحدود وتجاوز المعقول.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، الجزء ١، الصفحة ٤٢٥.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، الصفحة ٨٦.

(٣) سورة القصص: الآية ٤.

شخصية فرعون بوصفها الشخصية السيئة التي يجب على المؤمن الحقيقي أن يبتعد عن صفاتها، لأنها شخصية جاحدة عنيدة، ترفض الحق على الرغم من معرفتها به.

وفي المنهج النبوي كان ﷺ يستعمل المنهج الحواري القائم على البرهان والحجة والدليل، فقد كان يستعمله انتهاء أحياناً بمعنى أنه لم يكن فعلاً لإثبات الحق، وإنما رد فعل لدحض الباطل، بعد أن كان المشركون يستعملون هذا المنهج نفسه، حين يقول لهم شيئاً فيجادلونه، وحينها يكون أكثر من اللازم أن يرد عليهم بنفس المنهج.

ومن ذلك أن الرسول ﷺ قال خطاباً لمشركي قريش مفاده أو نصّه: "يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير"(١).

وخلاصة القول هنا، خاطب النبي عليه الصلاة والسلام المشركين والمنافقين بالحوار العقلاني والحجج القوية وذلك ليردهم إلى الصواب والرشاد والهدى، وكلّ ذلك ليحق الحق، ويبطل الباطل، فيذعنوا منقادين للإسلام. فمال على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، ٢٠٠١م، مسند بني هاشم، رقم الحديث ٢٨٣٤.

(٢) سورة يونس: الآية ٣١-٣٢.

وكذلك قول رسول الله ﷺ عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ لأبي: يا حصين[1]؛ كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة، ستة في الأرض، وواحداً في السماء، قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء، قال: يا حصين؛ أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، قال: فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي[2].

إنّ إقامة الحجج على المخاطبين لها آثار وفوائد متعددة، منها: الاحتكام والرجوع إلى الدليل، والبعد عن التمسك بالمواقف من غير حجة ولا دليل، بإقامة الحجج يتحقق معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ثم إظهار الحق والكشف عن الباطل والرجوع إلى الحق والانقياد والاذعان له، لنصل إلى كف عدوان المبطلين، وتثبيت المؤمنين على الحق.

المطلب الثاني

الحِوَار العاطفيّ والحسّي بِالْكَلِمَة وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

توطئة:

إن قوّة الدين الإسلامي وسلامة قواعده وتنوّع أساليبه أوجدت مجالاً للحوار والإبداع في المجتمع المسلم، فعلى المسلم معرفة القواعد التي بني عليها الدين في تعامله مع غيره. عندما يريد أي شخص، كائناً من كان هذا الشخص أن يدعو إلى شيء معين ديني أو دنيوي، فإنه عليه أن يدعو إليه بطريقة تحبب الناس فيما يدعو وتحبب الناس في الشخص ذاته؛ لأن الإنسان عندما يدعو إلى شيء غير أخلاقي أو

(١) عمران بن حصين: ابن عبيد بن خلف صاحب رسول الله ﷺ، أسلم سنة ٧ للهجرة، سير اعلام النبلاء، الجزء ٢، الصفحة ٥٠٨.

(٢) رواه الترمذي، ابواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، الجزء ٥، الصفحة ٤٦٨.

غير قانوني فإن الناس بطبعهم سوف ينفرون ويبتعدون من هذا الشخص ومن هذا الموضوع ومن هذا الفكر[١].

الرسول محمد ﷺ عندما دعا إلى الإسلام وأراد تثبيت الأسس الإسلامية والدعائم الإسلامية والدعوة إلى الدخول في الإسلام دعا إلى ذلك بطرق عقلانية أخلاقية إنسانية؛ لأنه يدرك أن هذا هو الصواب و أن هذا هو الحل الأمثل لانتشار الإسلام، وهو الحل الأمثل لشمولية الإسلام إلى أكثر من منطقة في العالم؛ فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير[٢].

والإسلام يحمل قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين. ولذلك فإن الرسول محمداً ﷺ أول ما جاء في دعوته، وقبل أي شيء وقبل أي كلمة أو تركيب أو دعوة تحدث عن النظم الأخلاقية بقوله ﷺ ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٣] جاء الإسلام ليزيح أي خُلق سيء كان في الجاهلية، ويبني مكانه خُلق حسن، ويحافظ على كل خُلق حسن كان عند العرب قبل الإسلام[٤].

ومن أبرز هذه القيم والأخلاق استعمال الكلمة اللينة اللطيفة في الحوار، وهذا أهم ما يميّز النهج النبوي الشريف.

---

(١) ينظر: خاتم النبيين، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، الصفحات ١٤٦-١٤٨.

(٢) ينظر: مدخل لمعرفة الاسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الصفحات ٨٩-٩٢.

(٣) رواه الإمام أحمد عن ابي هريرة، الجزء ١٤، الصفحة ٥١٢، رقم الحديث ٨٩٥٢.

(٤) مقاصد الشريعة الاسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الصفحة ٦٣.

الأخلاق أمر عظيم عند المسلمين، وميزان يرفع المسلم إلى أعظم درجات الجنان، والله سبحانه وتعالى كذلك في كتابه العزيز تحدث عن الأخلاق بشكل عام وعن أخلاق سيدنا محمد ﷺ بشكل خاص بقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

إنّ مقاصد الحوار في الشريعة الإسلامية كثيرة، ومنها الوعظ والإرشاد، وهذا الحبيب ﷺ يعظ اصحابه موعظة تذرف منها العيون وتوجل منها القلوب.

عن الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ[2] قال: وَعَظَنَا رسول اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ فقال رَجُلٌ إِنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ قال أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذلك مِنْكُمْ فعليكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ[3].

وقد أعطانا الله للدعوة والحوار بالموعظة الحسنة قاعدة لكل من سار في هذا الطريق يتوافق مع المنطق العقلي؛ إذ لا يمكن أن تقوم دولة مدنية أو إسلامية إلا على أساس الصلابة والمتانة ولا يمكن أن تستقل إلا بقوة تدعى العدالة، فالعدالة هي الرمز الإسلامي الاستقلالي الأول وهي التي دعا الله تعالى إليها ورسوله الكريم ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ... ﴾[4].

---

(١) سورة القلم: الآية ٤

(٢) العرباض بن سارية: صحابي جليل من أعيان أهل الصفا، سكن حمص وروى الاحاديث. سير اعلام النبلاء للإمام الذهبي، الجزء ٣، الصفحة ٤٢٠.

(٣) سنن الترمذي، حديث صحيح، بَاب ما جاء في الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ ، رقم الحديث ٢٦٧٦، الجزء ٥، الصفحة ٤٤.

(٤) سورة النحل: الآية ٩٠.

ولنقف على هذا الحوار الذي دار بين سيد الخلق ﷺ وبين شاب وكيف كان سعة صدر الرسول ﷺ لهذا الشاب وكيف حاوره بالموعظة الحسنة انها استراتيجية الحوار لكل محاور ومناظر. عن أبي أُمَامَةَ قال ان فَتًى شَابًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عليه فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فقال أدنه فَدَنَا منه قَرِيباً قال فَجَلَسَ قال أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ قال لاَ والله جعلني الله فداءك قال وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قال أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قال لاَ والله يا رَسُولَ اللَّهِ جعلني الله فداءك قال وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قال أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ قال لاَ والله جعلني الله فداءك قال وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قال أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قال لاَ والله جعلني الله فداءك قال وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قال أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قال لاَ والله جعلني الله فداءك قال وَلاَ الناس يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قال فَوَضَعَ يَدَهُ عليه وقال اللهم اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فلم يَكُنْ بَعْدُ ذلك الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شيء[1].

يقول ابن الجوزي[2]: " ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذا وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رَجُلُ ارْفُقْ فَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ فَقَالَ تَعَالَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا ليناً لعله يتذكر أو يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم"[3].

إنه الرفق واللين بحسن الدعوة والحوار والترفق بالناس حتى يعودوا الرب الناس بقلوب سليمة طيبة. وهكذا كانت " مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل ، وسأل رجل علياً رضي الله عنه فأجابه فقال

(١) مسند الإمام أحمد، الجزء ٣٦، الصفحة ٥٤٥، رقم الحديث ٢٢٢١٢.

(٢) ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي القريشي البغدادي الحنبلي، ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ.

(٣) ينظر: المنتظر في تاريخ الملوك والامم، الجزء ١٠، الصفحة ١٨٣.

ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا كذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم"[١].

وقد أكّد رسول الله ﷺ أهمّيّة الكلام ودوره وتأثيره، حين قال: "إنّ من البيان لسحراً"[٢]. فالكلام هو كلّ ملفوظ، واللفظ أيّ النّطق بكلمة دالّة على معنى، ولو جزء معنى، بخلاف القول فهو الكلام المفيد معنى[٣]. كما يُعدّ نعمة عظيمة من نِعَمِ الله تعالى على الإنسان القادر على النُّطق والتَّعبير وتِبيان الأمور والتَّفاهم والتَّجاوب مع الآخرين، فينسى بطول الألفة هذه الهبة، وعظمة هذه النِّعمة فيردَّه القرآن إليها ويوقظه لتدبُّرها في مواضع شتّى.

بناءً على ما سبق ذِكره يُمكن القول إنَّ هذا معنى الكلام وأهمّيّته في الفكر الإسلاميّ، وتوضيح سبب اهتمام الإسلام بالكلام بصورة عامّة. أمَّا بعد إضافة مفردة الطّيّبة إلى الكلمة، يكتسب المعنى دلالات جديدة، ويتميّز المقصود بخصوصيّة أكبر بسبب تحديد نوع من أنواع الكلام، ألا وهو الطّيّب. بالإشارة إلى أنَّ الكلام الطّيّب يأخذ أهمّيّته من القرآن الكريم والمواضع الّتي يرد فيها هذا المصطلح، حيث ذكره الله سبحانه وتعالى في آياتٍ من القرآن، فضلاً عن ذِكره المراد منه كالتّوحيد والتّحميد والذّكر[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، الجزء ١، الصفحة ٤٤.

(٢) صحيح البخاري، في كتاب الجمعة، باب الخطبة، رقم الحديث (٥١٤٦).

(٣) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، لبنان، ٢٠٠٠م، الطبعة ١، الجزء ٢٦، الصفحة ٢٥١.

(٤) يُنظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثّعالبي، عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف. (١٩٩٧)، دار الألمعيّ للمطبوعات، لبنان، الطبعة ١، الجزء ٣، الصفحة ٢٥.

انطلاقاً ممَّا سبق ذِكره، يمكن القول إنَّ الحوار العاطفي والحسي مع المشركين هو حوار بالكلمة الطّيّبة، وهو يقوم على النية الحسنة بأن الحوار يراد به وجه الله حتى يوفقه الله جل جلاله، كما انّ المحاور لا يستهزئ بالمقابل او ينتقص منه بل يحترمه فيكون الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.

المبحث الثاني

تحريم الاعتداء الجسدي واستخدام القوة إلا بحقه

توطئة

لم يدعُ الإسلام إلى استخدام القوة في جميع مناحي الحياة، بل لجأ إلى محاولة بناء مجتمع متحضر، وذلك يتطلب الحرية، وعدم الإجبار ولذلك كان السبيل في بناء الحضارة الإسلامية التي تقوم على الانفتاح على الآخر وتقبّله.

والحضارة العربية الإسلامية جعلت من أولى دعائمها الإيمان بالله الواحد الخالق، ومن هذه الدعامة تفرعت بقية الأمور الاعتقادية، وعلّمت الإنسان أن يأخذ من هذه الدنيا العلم والمعرفة، وأوجبت إنهاض العقل، للتعرف على حقائق الكون والحياة، وجعلت من دعائمها احترام العقائد الأخرى، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

نظر الإسلام للإنسان على أنه إنسان قبل كل شيء وقبل كل ما يحمله من اختلافات عرقية أو جنسية أو ثقافية، محترماً إنسانيته، حتى قيل: "الإسلام دين الإنسان"[2]، وقيل :"إذا كان هذا هو الإسلام، فكلنا مسلمون؟"[3]، وجعلت حضارتنا من العلم في كلّ مجالاته فريضة على المسلمين، ورفعت مكانة العلماء، كقوله تعالى: ﴿ ... قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) الحضارة الإسلامية، برهان زريق، دار كنعان للنشر، دمشق، ٢٠٠٧، الصفحة ١٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سورة الزمر: الآية ٩.

وجعلت التكافل الاجتماعي سمة الإيمان: ﴿ ... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وجعلت الدعامة الأخلاقية من أسمى أسسها، وأقامت الرقيب عليها ألا وهو إيمان الفرد بالله، فإن غابت عين السلطة، فنور إيمانه رقيب دائم، لما فيه خير للبلاد والعباد، حتى شملت رعايته ورحمته للحيوان والنبات. فالإنسان تُسخر له المادة في حضارتنا، ولذلك وجب الأخذ من مظاهر التقدم العلمي المعاصر ووسائله، فحضارتنا العربية الإسلامية لم تكن في يوم من الأيام انطوائية، أو بمعزل عن الحضارات الأخرى، بل اقتبست كل نافع ومفيد ولكن ذلك لم يكن على حساب المبادئ الثابتة التي تحفظ لنا الإنسان من اخطار الانحلال والاضمحلال والقيم الروحية المقدسة. وانطلاقاً من كل ذلك، كان منهج النبي عليه أعظم الصلاة والسلام منهجاً يقوم على الدعوة إلى الخلق النبيل في التعامل، وعندما تعرض للأذى من قبل المشركين لم يبادلهم الأذى، بل رد إساءتهم بالإحسان[2].

وسيتم مناقشة استيعاب المنهج النبوي في التعامل مع الإساءة من المخالف، وذلك خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

دعوة النبي ﷺ لحفظ الدماء

أوصى الحبيب الأمين ﷺ المسلمين وصايا كثيرة، ولعلّ أهم توصياته للمجتمع الإسلامي هي دعوتهم إلى الحرص على الدماء وتحريم القتل بغير سبب،

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) ينظر: الحضارة الإسلامية، برهان زريق، دار كنعان للنشر، دمشق، ٢٠٠٧م، الصفحة ١٩.

والانتباه من الفتنة التي تشجع على انتهاك الأرواح بحجج واهية، وما يتبع ذلك من تحليل أموال وأعراض الآخر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ" يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: «القَتْلُ القَتْلُ "[1].

فالقتل الكثير من علامات قيام الساعة، وكذلك الحديث عن أعراض الناس، وأخذ أموالهم.

عَنْ أَبِي بَكَرَةَ رضي اللّه عنه وَغَيْرُهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بِمِنًى: " أَلَا إِنَّ دِمَائَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"[2].

لقد دخل الإسلام على مجتمع يعيش بالقوة والاعتداء والثأر، الثأر عادة جعل للثأر هذا التأثير في رسم شكل الصلات بين القبائل هو انعدام الصلة الموحدة أو القانون الجنائي فمن يقتل له أخ أو قريب فعليه أن يثأر له بنفسه[3] أو مع قبيلته وفي كثير من الأحيان فأن الثأر يتولد عنه الرغبة في الانتقام ومن ثم ثأر جديد[4] وفي مثل هذه الحالات قد يستمر العداء سنين طويلة تتجدد فيها المنازعات وتُسفَك فيها

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، الجزء ٩، الصفحة ٤٩، رقم الحديث ٧٠٦١.

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، شرح رقم الحديث ١٧٣٩، الجزء ٢، الصفحة ١٧٦.

(٣) ينظر: تاريخ العرب، فيليب حتي، وآخرون، تح: جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، الطبعة ١٢، ٢٠٠٧م، الصفحة ٥٥

(٤) ينظر: الدعوة الإسلامية وحياة البداوة منذ البعثة وحتى حروب الردة، عبد الله، شهلة برهن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م، الصفحة ٢٧.

الدماء[١]، والعرب في طلبهم للثأر يختارون في بغيتهم أن يكافئ دم المقتول بدم من قتله في المنزلة والدرجة والمكانة، فدم السيد لا يكافئه إلاّ دم سيد مثله، وغاية الأمر في ذلك ردع سادات القبائل عن تحريض العبيد أو غيرهم على قتل خصومهم وأعدائهم وبذلك فهو عنصر ردع للحد من غلواء البعض وتقييد لنزعاتهم واندفاعاتهم العدوانية[٢].

وقد كان للثأر آثار تفوقت في الصلات بين القبائل على أثر الدين والشاهد على ذلك حدوث حروب وأيام بسبب الثأر في (الأشهر الحرم)[٣] على الرغم من أن الكثير من القبائل كانت تُحَرّم القتال في هذه الأشهر[٤] وكانت عملية المطالبة بدم المقتول منوطة بالدرجة الأساس برأس سيد القبيلة يقف وراءه جميع أفراد قبيلته[٥] ليس الرجال فقط بل حتى النساء حيث كُن في الغالب يحرضن أفراد قبيلتهن ويُعَيّرنَ القاعد والمتقاعس[٦]، ولا يقتصر الأمر في هذه المسألة على المطالبة بدم من يُقتل منها بل

---

(١) ينظر: البطولة في الشعر العربي قبيل الإسلام، محمد اليوزبكي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٨م، الصفحة ٨٨.

(٢) ينظر: البطولة في الشعر العربي قبيل الإسلام، محمد اليوزبكي، الصفحة ٨٨.

(٣) كان العرب قبيل الاسلام يحرمون القتال في أربعة أشهر ويسمونها الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ينظر: تاج العروس، الزبيدي، الجزء ٨، الصفحة ٢٤١، وسمى العرب الحروب التي حدثت في هذه الأشهر بحروب الفجار. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، الجزء ١، الصفحة ٥٢٣.

(٤) ينظر: العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب يحيى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، الطبعة ٢، الصفحة ٣٠٧.

(٥) ينظر: الجزيرة العرب قبيل الإسلام، برهان الدين دلو، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧، الصفحة ١٦٥.

(٦) ينظر: العرب في العصور القديمة، لطفي يحيى، الصفحة ٣٠٧.

أنها تهب للدفاع عن أي فرد من أفراد قبيلتها إن قام بالاعتداء وقتل شخصاً من قبيلة أخرى سواء كان على حق أم باطل.

هذه العادة التي فتكت في القبائل، واهلكت الشباب، ويتمت العيال بسبب بعدهم عن تعاليم القران، قتل اخ من عائلة ثم يقتل اخ من العائلة الاخرى دون ذنب ومن الإسراف في القتل، لما في ذلك من الظّلم والبغي والعدوان، هناك من الثارات ما تستمر لسنين ويذهب ضحيتها الكثيرون وهذه من عادات الجاهلية(١)، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٢).

وضعت الشريعة الاسلامية الحل الوافي الشافي لأولياء المقتول الا وهو القصاص يقتصر فيه على الجاني فلا يؤخذ غيره بجريرته، في حين أنّ الثّأر لا يبالي وليّ الدّم في الانتقام من الجاني أو أسرته أو قبيلته وبذلك يتعرّض الأبرياء للقتل دون ذنب اقترفوه، كما ان القاتل اذا عرف انه سيقتص منه وفق الشريعة يكون الحكم رادع له ولا يجرأ على ارتكاب الجريمة بينا الثأر يثير الفتن والعداوات واستمرار القتل وزهق الارواح، فكتب اللّه علينا القصاص، وهو المساواة، والمعادلة في القتلى، وأخبر أنّ فيه حياة(٣) ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤).

---

(١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، الجزء ٥، الصفحات ١٤-٢٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٢.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي، الصفحات ٣٥-٣٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

ومعنى هذه الآية الكريمة: " لَا خِلَافَ أَنَّ الْقِصَاصَ فِي الْقَتْلِ لا يقيمه إلا أولو الْأَمْرِ، فُرِضَ عَلَيْهِمُ النُّهُوضُ بِالْقِصَاصِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ وَغَيْرُ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَاطَبَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقِصَاصِ، ثُمَّ لَا يَتَهَيَّأُ لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى الْقِصَاصِ، فَأَقَامُوا السُّلْطَانَ مَقَامَ أنفسهم فِي إِقَامَةِ الْقِصَاصِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحُدُودِ. وَلَيْسَ الْقِصَاصُ بِلَازِمٍ إِنَّمَا اللَّازِمُ أَلَّا يُتَجَاوَزَ الْقِصَاصُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحُدُودِ إِلَى الِاعْتِدَاءِ"[1] فإنّه يحقن دم غير الابرياء من أولياء الرّجلين، لانه النفس الانسانية لها حرمتها إلا في أمور وضحتها الشريعة وحدود أكدت عليها وفق ضوابط واضحة وجلية تهدف إلى المحافظة على الدين وحماية المجتمع.

المطلب الثاني

نماذج من تحمّل الرسول ﷺ للأذى الجسدي والصبر عليه

استوعب المنهج النبوي طبيعة الحياة التي كانت قبل الإسلام، وأدرك أنّ التغيير لا يأتي فجأة، إنما هو عبارة عن تطور تدريجي في الفكر والثقافة، وقد تسامح النبي الكريم ﷺ في كثير من الأحيان مع أذى الكفّار، ومحاولاتهم الاعتداء عليه وأذيته بالكلام وبالقول.

لقد كان المشركون والمنافقون يؤذون النبي ﷺ بالكلام والأفعال وكان يصبر عليهم، بحيث كان لهم الحرية في تعاملهم معه، فقد أذوه وصبر عليهم، فكان يدعوا لهم بالهداية، وممّا دلّ على ذلك لما جاء أحد الصحابة إلى النبي ﷺ مع بعض أصحابه إلى النبي ﷺ بالمدينة، فقالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن دوساً – وهي إحدى قبائل العرب– عصت وأبت، أي: رفضت الدخول إلى الإسلام، فادع عليهم، فلما سمع

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ابو عبدالله بن محمد بن احمد الانصاري القرطبي، الجزء ٢، الصفحة ٢٤٩.

الحاضرون ذلك قالوا: هلكت دوس؛ لأنهم ظنوا أن النبي ﷺ سيدعو عليهم، فيستجيب الله له، فقال النبي ﷺ: " اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وأْتِ بهِمْ"(١).

أي إهدهم يا رب للإسلام وأتي بهم للمدينة أي مهاجرين، وتحقق ذلك وأسلم الكثير منهم، فكان تصرفه ﷺ مع غير المسلمين بالحلم الرأفة والتسامح ، فلم يأمره بأن يذهب لهم ويقاتلهم أو يترع أموالهم بل دعا الله لهم بالهداية، وترك لهم الحرية.

لقد عفا النبي ﷺ عن الجاهلين الذين تصرفوا معه بالسوء ومن صور ذلك الإعراض ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كأني انظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"(٢).

في هذا الحديث طلب من الله أن يغفر لهم بأن لا يعاقبهم الله من المسخ والعذاب وغيره في الدنيا، فقد كانت تصرفات قومه معه سيئة جداً، ولكنه تركهم ولو لم يكونوا أحراراً ما فعلوا ذلك مع الرسول الكريم، فلم يرد أذاهم بأذى حتى بالدعاء، وهذا ما يؤكّد أنّ منهج الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام هو منهج التسامح والسلام، والابتعاد عن القوة والأذى عند المقدرة(٣).

إن عصرنا اليوم بحاجة إلى المنهج النبوي في استعمال اللين واستيعاب الآخر، حيث تعاني الأمة المسلمة من بلاءات بسبب تشريع القتل للكفار دون وجه حق في حين أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة واللطف واللين. إن الإسلام هو دين

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، رقم الحديث (٤٠١٣)، الجزء ٤، الصفحة ١٥٩٦.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث (٣٢٧٨) الجزء ٦، الصفحة ٦٠٢

(٣) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء ٦، الصفحة ١٥٢.

الرفق والرحمة والعطف والين جاء به نبي الرحمة ليهدي به الناس أجمعين ويخرجهم من الظلمات الى النور ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

ومعنى هذه الآية "أرسل ﷺ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع، فإنما أتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها، ومثاله: أن يفجر الله عينا غديقة ، فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه؛ حيث حرمها ما ينفعها، وقيل: كونه رحمة للفجار، من حيث أنّ عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال"[2].

فديننا ليس دين إرهاب كما يصوره أعداء الإسلام، ليس دين قتل وتسليب ليس دين ظلم فهو الرحيم بالمؤمنين وهذا نبي الرحمة ﷺ "عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فجاء النبي ﷺ فقال: " من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)[3].

وهذا من علائم الدعوة إلى عدم استخدام القوة في المنهج المحمدي من حديث النبي ﷺ انه حتى الرفق بالحيوان فما بالك بمن يقتل مسلما يقول لا اله الا الله، وهنا نستشهد بحديث اسامة بن زيد رضي الله عنه، "عن أسامة بن زيد بن حارثة

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، الجزء ٣، الصفحة ١٣٩.

(٣) سنن أبي داود، أبواب النوم، باب في قتل الذر، رقم الحديث (٥٢٦٨)، الجزء ٤، الصفحة ٣٦٨.

يحدث قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قال قلت يا رسول الله إنما كان متعوذا قال فقال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قال فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم"[١].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٢]. على من يتصدر الفتوى ان يكون صاحب رؤيا بما يجري حوله من مؤامرات على دين الله وان يختلط بالمجتمع ويحارب افكار التطرف الدخيلة على الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بقصد بناء مجتمع بعيد عن الافكار المدمرة مجتمع سليم معافى.

حيث جاء المنهج المحمدي العظيم ليبعد الناس عن القتل بدون مبرر او عذر شرعي، كما كان الحال في الجاهلية، ووصفُ الله تعالى للجاهليَّة بـ"الأولى" قيل في بيان المراد منها أقوال؛ قال الزمخشري: هو الكفرُ قبل الإسلام، وأما الجاهلية الأخرى: فهي جاهليَّة الفسوق والفجور في الإسلام، فكأن المعنى: ولا تُحدِثْنَ بالتبرج جاهليَّة في الإسلام، تتشبَّهن بها بأهل جاهليَّة الكفر[٣].

(١) رواه مسلم، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، الجزء ١، الصفحة ٩٦.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٣) الكشّاف ، الزّمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (د.ت)، الجزء ٣، الصفحة ٥٤٦.

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن مِن أبغضِ الناس إلى الله تعالى مَن يطلب في الإسلام بقاء سُنن الجاهليَّة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: ((أبغضُ الناس إلى الله ثلاثة: ملحدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنةَ الجاهلية، ومطَّلبُ دم امرئٍ بغير حقٍّ لِيُهَرِيقَ دمه))[1].

ومعنى: ((ومبتغٍ في الإسلام سنَّة الجاهلية))؛ أي: طالب في ملَّة الإسلام إحياءَ مآثر أهل زمن الفترة قبل الإسلام وإبقاءها، أو أشاعتها، أو تنفيذَها، وذلك شاملٌ لكل ما كانت عليه الجاهليَّة من الطرائق والسير؛ من أَخْذِ الجار بجاره، والحليف بحليفه، والطعن في الأنساب، والفَخْر في الأحساب، والتعايرِ، والنِّياحة، وضرب الخدودِ، وشق الجيوب، وأكل الرِّبا، ونحو ذلك، ويلتحقُ بذلك ما كانوا يعتقدونه؛ كالطِّيرة، والكهانة، والاستسقاء بالنُّجوم، وغير ذلك[2].

وأمر بشَتْم المنتسب إلى الجاهليَّة، والدَّاعي إلى إحياء سُننِها، واتِّباع سبيلها، شتمًا صريحًا لا كناية فيه؛ زجرًا له عن دعوته، وتنكيلًا به.

لقد استوعب المنهج النبويّ أفعال المخالفين، ومن الصور التي تُظهر أنّ غير المسلمين كانوا على حرية في عهد النبي ﷺ ما قاموا به من أفعال للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام تؤذيه بحيث تركهم في تلك اللحظة، ولم يرد عليهم بالسوء مع استطاعته ذلك، فقد ورد أن الله تعالى ارسل إليه ملك الجبال ليعذّب أهل مكة، ويطبق عليهم الجبال؛ حيث يقول ﷺ إن جبريل عليه السلام قال له: "إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني

---

(١) أخرجه البخاري في الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، رقم الحديث (٦٤٨٨)، الجزء ١٢، الصفحة٢٢٠.

(٢) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، (١٣٧٩هـ)، الجزء ١٠، الصفحة ٩٩.

ملك الجبال فسلم علي، ثمّ قال: يا محمّد فقال ذلك فيما شئت، أن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"[١].

فالله جلّ وعلا يخبر نبيه أنّه سيفعل بالمشركين والمنافقين ما يريده لأنهم أذوه وعذبوه، غير أنّ النهج المحمديّ لا يرد الأذى الجسدي بالأذى، بل صبر النبي الكريم ﷺ على الأذى والاعتداء، طمعاً في هدايتهم لذا ردّ على ملك الجبال.[٢] وقال: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً "[٣].

فكان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالصبر على غير المسلمين ومحاولة الدعاء عليهم، أو التأمر لهم ودعوة أصحابه للتعادي معهم، ولكنه أمرهم بالصبر، فكانوا يتصرفون في الأرض بالظلم والفساد في ذلك الوقت، وتعدى الأمر إلى قتلهم المسلمين. إنّ المنهج النبويّ في حلّ الصراع هو منهج قائم على التسامح، والصراع مأخوذ من الصرع: الطرح بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان صارعه صرعاً فهو مصروع وصريع، والجمع صرعى والمصارعة معالجتها أيها يصرع صاحبه[٤].

---

(١) الأخشبين هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله. مختصر صحيح مسلم، عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين المنذري، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، الجزء ٢، الصفحة ٣١٣.

(٢) الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن التوربشيني، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ٢٠٠٨م، الجزء ٤، الصفحة ١٢٦٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم ٢٩٩٢، الجزء ١١، الصفحة ٨.

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء ٣، الصفحة ٤٣٠

وورد في القرآن الكريم مرة واحدة، (صرعى) يقول تعالى: ﴿ ... فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ﴾[1]، والمعنى هنا الطرح بالأرض ،وهو يخص الإنسان[2].

الصراع هو حالة سببها تعارض حقيقيتين ومتخيل للاحتياجات والقيم والمصالح، يمكن أن يكون الصراع داخلياً في الشخص نفسه أو خارجياً بين اثنين أو أكثر من الأفراد. يساعد الصراع كمفهوم على التفسير الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية، مثل الاختلاف الاجتماعي وتعارض المصالح والحروب بين الأفراد والجماعات أو المنظمات. ومن الناحية السياسية يمكن أن يشير الصراع إلى الحروب أو الثورات أو النضالات، وهذه تنطوي على استعمال القوة كما هو الحال في الصراع المسلح، والصراع في بيئة الاجتماعية تمكن تأثير التوترات عند ترتيب التعامل معها. لقد جسّد النبيّ محمد ﷺ أسمى صور الصبر والصفح عند تعرّضه للأذى الجسدي، إذ لم يكن سلوكه رد فعل انتقامي، بل تجلٍّ لقيم الرحمة والعفو التي شكّلت معالم منهجه في التعامل مع الآخرين، حتى في أحلك الظروف. ومن أبرز هذه النماذج ما وقع له في الطائف، حين خرج إليها النبي محمد ﷺ بعد فقد عمّه وزوجته، يرجو من ثقيف النصرة، فقابله سادتهم بالسخرية، وسلّطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم، فرجموه حتى أدميت قدماه. ومع ما ناله من جراح الجسد والروح، لم يدعُ عليهم، بل قال في دعاء مؤثّر: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين...)[3]. فلم يكن الغضب لنفسه، بل كان همه أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٧.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، الجزء ٣٠، الصفحة ٦٢٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، الجزء ٣٠، الصفحة ٦٢٢.

ومن صور الاستيعاب ما رواه أنس بن مالك عن أعرابي جذب النبي ﷺ بردائه بشدّة حتى أثّرت في عنقه، وقال له: "مر لي من مال الله الذي عندك"، فتبسّم النبي وأمر له بعطاء(١).

فرغم غلظة الأعرابي، استقبل النبي ﷺ الموقف بسعة صدر، وتحويل الغضب إلى عطاء. ويُعدّ موقفه يوم فتح مكة أرقى نموذج للعفو المحمدي، حين قال لمن طالما آذوه: "ما تظنّون أني فاعل بكم؟" قالوا: "خيراً، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم"، فقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد، ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة، فمكث فيه نهاراً طويلاً ثم خرج فوجد بلالا وراء الباب قائما، فسأله أين صلى ﷺ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه قال عبد الله: فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة. وعن أبي يوسف في هذه القصة أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: " ما ترون أني صانع بكم؟ " قالوا: خيرا. أخ كريم وابن أخ كريم. قال: " اذهبوا فأنتم الطلقاء". فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٢) ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي، إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب اعطاء من سأل بفحش وغلضة، الجزء ٣، الصفحة ١٠٣، رقم الحديث ١٠٥٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٢.

(٣) رواه الإمام احمد، مسند عبدالله بن عمر، الجزء ١٠، الصفحة ٦٧، رقم الحديث ٥٨٠٥.

فالنبي الكريم لم يقتل المشركين، ولم يرد لهم الأذى الذي فعلوه بحقه، وهو نبي الله، وأعظم من في البشرية، لم يؤذ المشركين، لم يقتلهم، بل قال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) بايع رسول الله ﷺ أهل مكة نساء ورجالاً في الصفا. وهدم الأصنام التي كانت على الكعبة، فحرب مكة لم تكن حرباً انتقامية، وإنما كان يوماً مباركاً تعظّم فيه الكعبة، وتعز قريش الاسلام[1]. ثم أعلن عفوه عن دماء الجاهلية، وأمر بهدم الأصنام وتعظيم الكعبة لا الانتقام من قريش.

بهذه النماذج يظهر أن النبي ﷺ لم يكن يستوعب الأذى فقط، بل كان يحوّله إلى فرصة تربوية لصناعة السلوك الراقي، وغرس القيم في النفوس، وإقامة ميزان الرحمة، الذي جعله الله سمةً رسالية: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

هناك نماذج كثيرة منها حادثة وضع السلى على ظهره أثناء السجود، روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُصلّي عند الكعبة، فاجتمع عليه أشقى قريش، ووضع عقبة بن أبي معيط سَلَى (أمعاء) جزور على ظهره الشريف وهو ساجد، فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها وأزالت الأذى، ودعت على من آذى أباها. ومع ذلك، لم يردّ النبي عليهم بقول أو فعل، بل واصل صلاته[3].

صبر النبي على الأذى الجسدي في موضع العبادة، وامتصاصه للعدوان بالصبر والثبات دون ردّ عنيف، درسٌ تربوي عظيم في الحِلم.

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، الجزء ٤، الصفحة ٥٧؛ دلائل النبوة، البيهقي، الجزء ٥، الصفحة ٢٠٢.

(٢) سورة الانبياء: الآية ١٠٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل المرأة اباها الدم عن وجهه، الجزء ١، الصفحة ٥٨، رقم الحديث ٢٤٣.

أيضاً أذى عبد الله بن أبيّ رأس المنافقي كان عبد الله بن أبيّ بن سلول يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، وكان يؤذي النبيّ ﷺ بالقول، حتى قال: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ... ﴾[1]، يقصد بذلك طرد النبيّ ﷺ من المدينة. ورغم ذلك، لم يُعاقبه النبي ﷺ، بل لما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإذن بقتله، قال النبي: "دعه يا عمر، لا يتحدّث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه[2].

تغليب النبي للمصلحة العامة، وحرصه على صورة الإسلام الناشئة، رغم جرحه الشخصي العميق من المنافقين. قتل عمه حمزة والتعامل مع قاتله وحشي حمزة بن عبد المطلب، أحبّ الناس إلى النبي ﷺ، قُتل في أُحد على يد وحشي بن حرب، وتم التمثيل بجثمانه. وبعد الفتح، جاء وحشي مسلماً، فأدخله النبيّ في الإسلام، وقَبِل توبته، رغم ألمه لفقد عمّه. لكنه قال له: "غيب وجهك عني"[3].

قبول توبة من آذى النبي ﷺ أعظم الأذى، دون ردّ دموي أو انتقامي، بل بميزان الرحمة والمغفرة، مع الجمع بين العدالة (غيب وجهك) والفضل (قبول التوبة) وكما في محاولة قتل النبي ﷺ في طريق الهجرة، لحق سراقة بن مالك بالنبي ﷺ يريد قتله طمعاً في المكافأة، فغاصت قدما فرسه في الأرض مراراً، فلما استغاث، عفا عنه النبي، وأمنه، وأعطاه عهداً مكتوباً بالأمان[4].

الدلالة: التعامل الرحيم حتى مع من أتى للقتل، وتحويل العدو إلى حليف بالمروءة والعفو.

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٢٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والادب، باب نصرة الاخ ظالماً أو مظلوماً، الجزء ٨، الصفحة ١٩، رقم الحديث ٢٥٨٤.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، الجزء ٣، الصفحة ٣٠٢، بسند حسن.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء ٢، الصفحة ١٠٢.

المبحث الثالث

المنهج النبوي في العفو والتسامح والمودة وصوره

العفو لغة: مصدر عفا يعفو عفواً هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب علية[١].

العفو اصطلاحا: هو التجافي عن الذنب او هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه[٢].

العفو واثره على الدعوة:

ان القائم بالدعوة الى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايسلم في غالب الاحيان من مس الناس له بالاذى سواء بالقول ام بالفعل قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾[٣]. وهنا يرد سؤال ماهو تصرف الداعية حيال ما يمسه من اذى المدعيين ان يدفع عن نفسه مايضره والكمال من هذا الباب حال سيدنا محمد ﷺ وهذا دليل على قوة النفس وثبات الايمان والعفو عند القدرة يدل على سمو النفس وقوة اليقين وهو ليس ضعفاً بل قوة ايمانية تترك اثراً عميقاً في نفوس المدعوين[٤].

عفو النبي محمد ﷺ عن الافراد

يعد العفو من ابرز القيم الاخلاقية التي تجلت في السيرة النبوية المطهرة وقد مارسه الرسول الاكرم محمد ﷺ ممارسة عملية تجاه افراد اساؤو اليه شخصيا او حاربو

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، الجزء ١٥، الصفحة ٧٢.

(٢) ينظر: شرح المصابيح لابن مالك، الجزء ٣، الصفحة ١١٠.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٧.

(٤) ينظر: خلق المسلم الشيخ محمد الغزالي، الصفحة ١٩.

دعوته وذلك في اطار منهج تربوي اصلاحي يهدف الى كسب القلوب من عفوه ﷺ عن وحشي بن حرب قاتل عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بعد ان جاءه مسلماً فقبل النبي ﷺ اسلامه ولم يعاقبه مع مافي ذلك من الم نفسي بالغ على النبي ﷺ(١).

عفو النبي ﷺ عن اليهود

لقد اتسهم تعامل الرسول ﷺ مع غير المسلمين ومنهم اليهود بالحلم والعفو وضبط النفس رغم ما صدر من بعضهم من اذى ومن عفوه ﷺ عفوه عن التي سممته زينب بنت الحارث قامت امرأة يهودية من خيبر بوضع السم في شاة قدمتها للنبي ﷺ فاخبره اللحم بأنه مسموم فنجاه الله عز وجل من الموت مع ذلك عفا عنها سيدنا رسول الله ﷺ في بادئ الامر ثم لما مات احد الصحابة اقيم عليه الحد(٢).

عفوه ﷺ عن اصحابه

اتسم تعامل النبي ﷺ مع اصحابه بالحلم والرحمة فكان يعفو عن زلاتهم واخطائهم ويقومهم بالتوجيه والتربية لا بالعقوبة والتشديد مما اسهم في انشاء جيل رابني تحمل اعباء الدعوة وحقق مقاصدها ومن عفوه ﷺ عندما عفا عن حاطب بن ابي بلتعة (ارسل حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه كتاباً الى قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ الى مكة معد ذلك خطأ جسيماً ومع ذلك عفا عنه النبي ﷺ لما علم بصدق نيته قال: (انه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم قد غفرت لكم))(٣)(٤).

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ٢، الصفحة ٤١٢.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ٣، الصفحة ٣٤٩.

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد والسيد باب الجاسوس، الجزء ٤، الصفحة ٧٦.

(٤) ينظر: فتح الباري لشرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني، الجزء ٧، الصفحة ٥٢٤.

المنهج النبوي في التسامح وصوره:

منهجه في التسامح والعفو في الحدود:

قالم منهج الرسول ﷺ في اقامة الحدود على تحقيق مقاصد الشريعة لا على مجرد انزال العقوبة فغلب فيه الرحمة ودرء الشبهات والستر والتوبة ومن ابرز معالم التسامح النبوي تعطيل اقامة الحد عند ادنى شبهة تحقيقا للعدل ودفعا للظلم[١]. قال ﷺ (درؤوا الحد بالشبهات)[٢].

والحث المستمر على الستر وعدم تتبع الزلات كان رسول الله ﷺ يكره اشاعة الفاحشة قال ﷺ (من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة) [٣].

منهجه في التسامح في امور الحياة العامة:

اتسم منهج النبي ﷺ في ادارة الحياة العامة السياسية والاقتصادية والانسانية بالسماحة والحلم واحترام الانسان ومراعاة المصلحة العامة ومن هذا التسامح تسامحه في الحياة الاجتماعية[٤]، لقد تحلى تسامحه ﷺ في العفو وكظم الغيظ وحسن المعاشرة قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[٥]. أي لولا رحمة الله بك يا محمد ﷺ مالنت لهم ولكنك عاملتهم بالرفق[٦].

---

(١) الاشباه والنظائر، الامام السيوطي، الصفحة ١٤٧.

(٢) رواه البيهقي، السنن الكبرى، الجزء ٨، الصفحة ٢٣٨.

(٣) رواه امام مسلم، كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم، الجزء ٨، الصفحة ١٨

(٤) ينظر: الوثائق السياسية للعهد النبوي محمد حميد الله، الصفحة ٦٢-٦٣.

(٥) سورة ال عمران: الآية ١٥٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، الجزء ٢، الصفحة ١٤٧.

وتحتوي السيرة النبوية نماذجَ عملية لتحلي الرسول ﷺ بالقيم والأخلاق السامية؛ إذ أن "هناك خطتان طرحتا من أجل سعادة الإنسان، ونجاته مرهونة بهاتين الخطتين:

أ- الخطة الثابتة من قبيل الركوع والسجود والعبادات الأخرى.

ب- الخطة المتغيرة والتابعة للزمان والمكان التي لها مظاهر خاصة من فعل الخير في كل وقت"[١].

ولعلّ من أبرز العبادات التي شجع عليها المنهج النبوي درء السيئة بالحسنة، والانفاق في سبيل الله، والدّعوة إلى العفو والتّسامح، لما لها من آثار تنتج عنها؛ من نشرٍ للمودّة والمحبّة والوئام مع غيره من أفراد جنسه، وكذلك ينمّي حسّ التّسامح وعدم مقابلة الإساءة بمثلها؛ وإنّما الصّفح وردّ الإساءة بالخير والإحسان، فمن سارَ على درب ما جاء فيه هذه الرسول الكريم من تعاليم بعدم مقابلة الإساءة بما يشبهها؛ فقد ضمن تزكية نفس وتهذيبها على حبّ الخير والإحسان حتّى في حال الإساءة، وهذا بالتأكيد ينمّي حسّ العفو والتّسامح في ذاته. اما الانفاق في سبيل الله يشمل أعمال الخير دون قيد أو شرط)[٢] العطاء المستمر سواء بالإنفاق أو العلاقات الحسنة أو.. أو..)[٣].

---

(١) تفسير النور، الشيخ محسن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة ١، ٢٠١٤م، الجزء ٦، الصفحة ٦٤.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، شيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الجزء ١٠، الصفحة ٤٠٦.

(٣) ينظر: من هدى القرآن، المدرسي، السيد محمد، دار القارئ، بيروت، لبنان، الطبعة ٢، ٢٠٠٨م، الجزء ٥، الصفحة ٤٢٧.

المطلب الأول

الإحسان في المنهج النبوي

يعد الإحسان جزءاً أساسياً من أركان الدين؛ فالإسلام دين الإحسان وقد ركز القرآن على عظمة هذه الصفة عند المسلمين؛ يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1].

حيث أن قول الله تعالى نجزي؛ أي نكافئ. وقوله المحسنين يقول لأنفسهم، والمحسنين في الواقع يشمل الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى عباد الله، والدليل على هذا أن جبريل قال للنبي ﷺ: " أخبرني عن الإحسان؟ فقال: أن تعبُد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[2] فهذا إحسان في عبادة الله، وقوله: أن تعبد الله كأنك تراه هذه عبادة الطلب، وقوله فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، هذه عبادة الهرب والخوف، ولا شك أن العابد بالمعنى الأول اكمل من العابد بالمعنى الثاني؛ لأن العابد الأول مرتبته عليا، يعبد الله كأنه يراه، فهو يقصد الله، وله شوق كبير إلى ربه.

أما الثاني، فإنه يعبد الله كأن الله يراه، فهو خائف من ربه، فعبادته هي عبادة الهرب، والأول عبادة طلب. ولكن الإحسان بالنسبة إلى الخلق إذا فسرناه بأنه إرادة الخير، فقط لا يكفي يقال: إنه بذل الندى، وكف الأذى وهذا هو الإحسان إلى الناس. والندى بمعنى: العطاء، وكفّ الأذى واضح. فالإحسان أذن له شقّان: بذل الندى، سواء كان ذلك يتعلّق بالمال، أو بالجاه، أو بالبدن، وكف الأذى القولي

---

(١) سورة القصص: الآية ١٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الايمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، الجزء ١، الصفحة ١٩، رقم الحديث ٥٠.

والفعلي، وقد يتخلف أحدهما ويكون الإنسان محسناً، من وجه، غير محسن، ويكون مسيئاً إذا تخلف كفّ الأذى(١).

نفهم من ذلك أن النبي الكريم دعا في منهجه إلى منهج الإحسان الذي يضم تحته كثير من قيم الإيمان الأصيلة، وطريق الإيمان مسلكه واضح، أنه مراجعة الحق، وإخلاص الألوهية لله، وإفراده في العبودية، وعدم إشراك به شيء، وتصديق النبي ﷺ، ثم قام بالعمل الصالح والقول الصالح، واتبع ما جاء في القرآن على لسان النبي ﷺ، فيكون من المدركين طلبتهم عند الله، الخالدين في جناته(٢).

فإنّ الذين كفروا ولم يتقوا الله ولم يبتغوا إليه الوسيلة ولم يجاهدوا في سبيله، لو أنّهم ملكوا كل ما في الأرض جميعاً، وهذا أقصى ما يتمنّاه ابن آدم من الملك الدنيوي، ثمّ زيد عليه مثله ليكون لهم ضعفاً في هذه الأرض ثمّ أرادوا أن ينفدوا به من عذاب الآخرة و يوم القيامة، ما تقبّل الله منهم، ووعدهم بعذابٍ أليمٍ يريدون الخروج منه أي من النار والعذاب، وليس هم بخارجين منها لأنّه عذابٌ خالدٌ مقيمين فيه لا يفارقونها أبداً، وفي الآية إشارة إلى أن العذاب هو الأصل القريب من الإنسان، والّذي يصرفه عنه الإيمان والتقوى، كما أنّ الفطرة الإنسانيّة الأصليّة وهي التي تتألّم من النار، ولا منفية عنهم، وإلا لم يتألموا ولم يتعذّبوا بها، ولم يحاربوا من أجل الخروج منها(٣).

لقد اعتمد المنهج النبوي الدعوة إلى العفو والتّسامح، ويهتمّ بالآثار التي تنتج عنه؛ من نشرٍ للمودّة والمحبّة والوئام مع غيره من أفراد جنسه، وكذلك ينمّي حسّ التّسامح وعدم مقابلة الإساءة بمثلها؛ وإنّما الصّفح وردّ الإساءة بالخير والإحسان، كما

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم، سورة القصص، محمد بن صالح، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة ١، ١٤٣٦هـ، الصفحة ٦٧.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، الجزء ٢٠، الصفحات ١٢٢.

(٣) يُنظر: الميزان، الطباطبائي، الجزء ٥، الصفحات ٢٦٥ – ٣٦٦ .

جاء في قوله جلَّ، فمن سارَ على درب ما جاء فيه هذه الآية الكريمة وتفسيرها من تعاليم بعدم مقابلة الإساءة بما يشبهها؛ فقد ضمن تزكية النفس وتهذيبها على حبّ الخير والإحسان حتّى في حال الإساءة، وهذا بالتأكيد ينمّي حسّ العفو والتّسامح في ذاته.

الإحسان في المنهج النبوي: قيمة شاملة تتجاوز العدل إلى الرحمة؛ إذ يُعدّ الإحسان من أعظم القيم التي أرساها المنهج النبوي في بناء الفرد والمجتمع، وهو خُلق يتجاوز حدود العدل إلى منازل الرّحمة، والبذل، واللّين، والمعاملة الراقية مع الخالق والمخلوق على حدٍّ سواء. ولم يكن الإحسان في الهدي النبوي قيمة نظرية مجرّدة، بل نراه مُتجسّداً في السلوك اليومي للنبي ﷺ، وفي توجيهاته المتكررة التي تربّي النفوس على العطاء دون مقابل، والرفق حتى في المواطن التي يَظهر فيها الغضب أو الغلظة.

فمن أبرز الأحاديث التي تُجسّد روح الإحسان في المنهج النبوي، ما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[١].

ففي هذا الحديث يحثّ النبي على الإحسان في العلاقة مع الله (تقواه)، وفي السلوك الفردي (محو السيئة بالحسنة)، وفي التعامل مع الناس (حسن الخلق).

ويظهر المنهج النبوي عمق الإحسان حتى في أشد المواضع حساسية، كحالة القتال والذبح، فيقول النبي ﷺ: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة، وليُحدّ أحدُكم شفرتَه، وليرُح ذبيحته)[٢].

---

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، الجزء ٣، الصفحة ٥٢٦، رقم الحديث: ١٩٨٧، وقال: حديث حسن.

(٢) سنن ابي داؤد، كتاب الضحايا، باب النهي عن ضرب البهائم، الجزء ٣، الصفحة ١٦٦، رقم الحديث ٢٨١٥٨.

فهذا توجيه ربّاني يعكس الرحمة حتى في موقف إزهاق الروح، ويربّي على إنسانية السلوك حتى في أصعب الظروف.

كما أن الإحسان في التعامل الاجتماعي كان محطّ تأكيد متكرر من النبي ﷺ، ومن ذلك قوله: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه)[١]. وهذا يدل على الحرص على حفظ الحقوق، حتى كادت تشبه علاقة الإرث.

ولا يقتصر الإحسان على بني البشر، بل يتعداه إلى الحيوان، كما في الحديث المشهور الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (عُذّبت امرأة في هِرّة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض)[٢].

فهذا يُبرز كيف أن الإحسان قيمة جوهرية في الإسلام، تتعلق بالرّحمة العامة، وتشمل المخلوقات جميعاً، وتُوجب الحساب عند الله.

ويأتي في ختام هذه السلسلة من التوجيهات النبوية الجامعة حديث جامع لمعنى الإحسان العملي، حين قال النبي ﷺ: (من لا يَرحم، لا يُرحم)[٣].

فالجزاء من جنس العمل، ومن لم يُحسن إلى الناس، ويعاملهم برحمة، حُرم من رحمة الله، وفي ذلك تحفيز عملي لتأسيس علاقات قائمة على الإحسان.

وبذلك يتّضح أن الإحسان ليس خُلقًا ثانويًا في الإسلام، بل هو أحد أعمدة المنهج النبوي، ووسيلة لإصلاح النفس، وبناء المجتمع، والتقرّب إلى الله عز وجل، في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم الحديث ٦٠١٤.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث ٣٣١٨.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحم الناس والبهائم، رقم الحديث ٦٠١٣.

لقد أكد الرسول الكريم ﷺ أن العفو والتسامح من الأخلاق الفاضلة دعامة قوية وأساساً من دعائم بقاء الأمم واستمرارها، وما من أمة سادت إلا وكان للأخلاق فيها شأن عظيم؛ لذا فلا غرابة أن تأتى خاتمة الرسالات السماوية المتمثلة في بعثة محمد ﷺ لإتمام مكارم الأخلاق، ولقد أخبر الرسول أنّ مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال: {إنما بعِثْتُ لِأُتَمم صالح الْأَخْلَاقِ}(١).

ولقد جاء الإسلام وهناك موروث لا بأس به من الأخلاق الجاهلية فأقرهم الإسلام عليها مع التعديل في مضامينها حيث جعل التوجه بها إلى الله وحده، وذلك كالكرم ، والصدق ، والأمانة ، والوفاء بالعهد، والشجاعة.....، لما لهذه الأخلاق من أثر في بناء مجتمع قوى متماسك تؤطره تعاليم الكتاب والسنة، وترشده إلى خير الدنيا والآخرة "وذلك لأن الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، وانتشرت أيضاً الثقة المتبادلة، والألفة، والمحبة بين الناس، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء"(٢).

فالأخلاق لها آثار عظيمة في حياة الأمم والمجتمعات، وذلك إذا ما علمنا "إن سقوط الأمم والحضارات كثيراً ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، كما قررها بعض المؤرخين وابن خلدون "(٣).

ولئن كانت الشريعة الإسلامية خالدة كما أراده الله لها، فإنّ: "الأخلاق الفاضلة من أهم الأسس التي اعتمدها الإسلام في بناء الفرد وإصلاح المجتمع؛ إذ بها

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب المفرد، الجزء ١، الصفحة ١١٢، رقم الحديث ٢٧٣.

(٢) علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة ٢، ٢٠٠٣م، الصفحة ٨٠.

(٣) علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن، الصفحة ٨٠.

يتم دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعاً"[١]. والأخلاق في اللغة تعني السجيّة، والطبع، والمروءة والدين[٢].

وفي الاصطلاح عبارة عن هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة، من غير حاجة إلى فكر ورويّة وتكلّف، لكن التكلف هو طريق تحصيل الخُلق، فإنه لا يزال يتكلّف أولاً، حتّى يصير ذلك طبعاً له[٣].

وتُعرّف أيضاً أنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرّة في النفس، وفي ضوئها يحسن الفعل في نظر الإنسان، أو يقبح، فيقدم عليه، أو يحجم عنه[٤].

فالأخلاق تؤدي إلى تحسين الفرد والمجتمع، وقد نادى المنهج النبوي بالتحلي بالأخلاق جميعها منها العفو والرحمة والتسامح، ولم يخصص من تجوز عليهم الرحمة، بل نجد أنه ﷺ نادى بالرحمة مع الإنسان والحيوان حيث خصّ الراحمون أنهم مشمولون برحمة الله.

إنّ للإنسان دوره في إعمار الأرض ولا يكون له هذا الدّور تماماً إلّا إذا عُزّزت فيه أخلاق الخير، بالطّريقة التي تمكّنه من مواجهة صفات الشّرّ والطّغيان الكامنة في نفسه أوّلاً، وفيما حوله ثانياً، ذلك أن "الإنسان واسطة بين جوهرين، وضيع وهو الحيوان، ورفيع وهو الملائكة، فجمع فيه القوى الحيوانيّة من حيث الشّهوة، والقوى الملكيّة من حيث العقل والفهم والعبادة، وكان لا بدّ من ذلك حيث اختاره الله لعمارة

---

(١) الأخلاق في الإسلام – النظرية والتطبيق، د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد، الصفحة ١٣.

(٢) ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٧م، الصفحة ١٣٧.

(٣) التعريفات، الجرجاني، الصفحة ١٣٦.

(٤) كتاب الأربعين في أصول الدين، الغزالي، أبو حامد (حجّة الإسلام)، دار القلم، دمشق، الطبعة ١، ٢٠٠٣م، الصفحة ١٨٢ .

الأرض، وعبادته وهيأه لمحاورته، ومن هنا كانت الحكمة أن يجمع بين القوتين". إنّ العقيدة الإسلاميّة تحرص على غرس بذور الخير، وتربية النشء على ذلك، لأنّها تؤمن بتأثير التربية الصالحة في حياة الفرد والجماعة، فالإنسان انعكاس لقوانين الحياة، والعلاقة بين الإنسان والكون علاقة جدليّة، يؤثر فيها وتؤثّر فيه، ولأنّ طبيعة الإنسان تنطوي على الخير والشّرّ، فقد حضّت الأديان جميعها على الخير، ودعت إلى التّمسك به، لأنّ ذلك يسهم في تحصين الفرد، في مواجهة الشّر المتوقّع دائماً، فالخير قوّة كبرى، ودافع نحو الحياة الحرّة الجميلة والرّغيدة، لأنّه يمثّل القيم العليا، حيث الصّدق والخلق والإيمان، وغير ذلك من المبادئ التّربوية السّليمة، التي تكسب الحياة رونقها وجمالها(١).

لقد حرص المنهج النبوي على تأكيد مبدأ الإحسان والرحمة حتى في التعامل مع المُخالِف، ومن هذه النّقطة لم يترك المنهج النبوي الإنسان متخبطاً ضائعاً، وإنّما هداه وربّاه وزوده بالمبادئ والمعايير والقيم، التي ترشده إلى الطّريق الصّحيح، تغرس فيه مبادئ تربوية تدفعه إلى التّحلي بالأخلاق الفاضلة، التي تُبلغه درجة عالية من السّمو الفكري والعاطفي، لينعكس ذلك على تصرفاته، فيكبح جماح نفسه ويمنعها من الانغماس في الشّهوات الزائلة، التي تورثه سوء الخلق، وعندما يلتزم الإنسان بالأسس والمبادئ الأخلاقية النّاتجة عن فهم صحيح للواجبات المترتبة عليه، سنحصل على فرد مدرك يستطيع أن يحدّد موقفه في الحياة، وأن يحقّق كلّ ما ينفعه وينفع الأخرين.

لقد تعامل النبي ﷺ في كل الأوقات بالرحمة حتى مع المخالفين، عندما دخل بعض من الكفار على النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا: السام عليكم، قالت عَائِشَةَ زَوْجِ النبي ﷺ: " ففهمتها" فقالت : وعليكم السام واللعنة"، قالت: فقال رسول الله ﷺ "

(١) الإنسان الكامل في الفكر الصّوفي، لطف الله خوخة، دار: الفضيلة، الرياض، الطبعة ١، ٢٠٠٩م، الصفحة ٣٠.

يا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويعطى على الرِّفْقِ ما لَا يعطى على الْعُنْفِ وما لَا يعطى على ما سِوَاهُ، فقلت: "يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ، "قد قلت: وعليكم"(١).

لقد تعامل ﷺ مع آذاهم برفق ورحمة، ونأى بنفسه عن كل غلظة وشتم وشدة. فعلى الرغم من كل ما فعلوه بالنبي الكريم لم ينسَ أن يدعوا لهم بالهداية، وعندما سمع النبي أن أهل مكة أصابهم القحط بعث لهم خمسمائة دينار وأمر بدفعها إلى أبي سفيان وصفوان بن أمية ليفرقاها على فقرائهم(٢).

وعندما منع ثمامة بن أثال(٣) وصول القمح إلى قريش بعد إسلامه، كتبت قريش إلى النبي ﷺ بذلك، فطلب من ثمامة أن يخلي بينهم وبين حمل القمح، وذلك قبل الحديبية.

ولما مات رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول، فجاء ابنه وكان مسلماً، فسأل النبي ﷺ ان يعطيه قميصه يكفن به أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول

---

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ، الجزء ٤، الصفحة ٢٠٠٣، رقم الحديث ٢٥٩٣.

(٢) شرح السير الكبير، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، الشرقية للإعلانات، بدون طبعة، ١٩٧١م، الجزء ١، الصفحة ٩٦.

(٣) هو بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفية. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، الجزء ١، الصفحة ٥٢٥.

الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ قائلاً: " يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه؟ "[١][٢].

فمع أنّ هذا الرجل كان منافقاً ماكراً ويكيد لرسول الله ﷺ إلا أنّ أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام جعلته يصلي له رحمةً عليه. وهذه كلها صور قليلة، ونماذج عن رحمة النبي الواسعة في التعامل مع المشركين والمنافقين والمخالفين، هذه الرحمة جعلت النهج النبوي نهجاً يقوم على الإحسان ويعلم المسلمين في كل زمان أصول التعامل السليم.

المطلب الثاني

صور العفو والتسامح في المنهج النبوي

لقد شجّع النهج المحمدي على العفو مع المشركين والمنافقين في كثير من الأحيان، ويكون العفو بالتسامح معهم، وتيسير الأمور واللين فيها، ويتمثل العفو بالتجاوز عن الذنب وترك العقاب.

ومن صور العفو عن غير المسلمين وسماحة الرسول ﷺ في التعامل مع أهل الكتاب، وحتى في بعض الأحيان مع المشركين[٣] في صلح الحديبية تجلى عفوه مع مشركي قريش، فقد أصر المشركون على منعه من العمرة، وعقد معهم صلحاً اشترطوا شروطاً فيها إجحاف وحيف تجاه المسلمين ، حتى تساءل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستنكراً، فقال: " ففيم نعطي الدنية في ديننا"، ومع ذلك تسامح النبي

---

(١) مجموع الوثائق السياسية في العهد النبوي، محمد حميد، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ، الصفحة ٧٦.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، الجزء ٢، الصفحات ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، الصفحة٨٤.

ﷺ في الشروط وقبلها ووقع العقد والصلح مع كفار قريش، مؤثراً السماحة والحكمة التي لم تكن معهودة من قبل على العنف والشدة(١).

تُعدّ السيرة النبوية المنبع الأخر للتربية الدينية، فقد جاءت حافلة بالحث على الأخلاق الحميدة الفاضلة الحسنة، والنهي عن الأخلاق المذمومة.

إن العفو و"كظم الغيظ"؛ وهو دليل قوّة النّفس وقهر شهوة الغضب، دليل تقوى الله وإيثار وعده بالجنّة... عاقبته سكن الإيمان في النّفس، وفيه عظم الثّواب يوم العرض على ربّ الأرباب.

قال النبي ﷺ: "من كظمَ غيظاً، وهو قادِرٌ على أن يُنفِذَهُ، دعاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ، حتى يُخيِّره مِنْ أيِّ الحُورِ شَاءَ"(٢).

هذا يدل على فضل من كظم غيظاً، وذلك أنه يدعى على رءوس الخلائق فيعرفون حصول هذه الخصلة الطيبة التي بها حصل هذا الأمر الطيب وهو كونه يختار من الحور العين ما شاء؛ إكراماً وجزاءً له على كظم غيظه، و"كظم الغيظ يحصل معه السلامة من الشرور التي تنشأ عن الغضب، وهي أمور محذورة، وكظم الغيظ يحول ويمنع دون الوقوع في تلك الأمور المحذورة، فهذا دال على فضل من كظم غيظاً"(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ الله من جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله"(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية، الجزء ٣، الصفحة ٤٥، رقم للحديث ١٧٨٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في "المسند"، الجزء ٢٤، الصفحة ٣٩٨، رقم الحديث ١٥٦٣٧.

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، الجزء ٢، الصفحة ٤٠.

(٤) رواه ابن ماجه، باب الحلم، الجزء ٥، الصفحة ٦٠٣، رقم الحديث ٤١٨٩.

فالإيمان القوي هو الذي يتضمن خوف الله ومراقبته والمسارعة إلى ما أوجب والحذر مما حرم، هذا دليل على قوة الإيمان، وأن صاحبه على خير. أما إذا كان يتساهل بالمعاصي، ترك الصلاة في الجماعة، عقوق الوالدين، الغيبة، النميمة، تعاطي الربا؛ هذا يدل على ضعف الإيمان وقلة الإيمان، العلو في درجات الإيمان يحتاج إلى نفس قابلة لذلك ومن هنا لا بد: أولاً: من سلامة القلب واللسان قال رسول الله ﷺ ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))[١].

إن الصبر يدعو إلى العفو وذلك وفيه تأليف للقلوب وتوحيد للصّفوف، على طريق الحقّ والخير. وأنَّ صاحب النّفس العظيمة الرّحيم، هو شغوف بالرحمة والعفو رفيق لهم، يحبّ لهم الخير كما يحبّه لنفسه، ويتّسع صدره لهم فيتجاوز عن هفواتهم ويلتمس الأعذار لهم ولأخطائهم.

ولهذا فقد يساهم العفو في تحبب المشركين والمنافقين بالإسلام، فإنّ الكلمة الطّيّبة وذكر الله في كلّ أمر تبني وتظهر عظمة الفعل أكثر، ولذلك تأكيد في قوله ﷺ "كلّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلّا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله"[٢].

الجدير ذكره أنَّ هذا الفعل، أي العفو والتسامح، يؤدِّي إلى تحقيق التّكافل الاجتماعيّ الّذي بدوره يرسي قيمه في المجتمع. وأبرز ما يضفيه هو قيمة الرّحمة الّتي تنشأ بسبب ابتسامة صغيرة أو كلمة طيّبة، فتترسّخ الرّحمة ضمن أفراد المجتمع الواحد، وهي كعامل نفسيّ تستلزم وتستوجب حبّ الخير للآخرين، من خلال ممارسة هذا الخلق قولاً وعملاً[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد، الجزء ٢٠، الصفحة ٣٤٣، رقم الحديث ١٣٠٤٨.

(٢) رواه التّرمذيّ في سننه في كتاب الزّهد، باب فيمن تكلّم بكلمة يضحك فيها النّاس، الجزء٤، الصفحة ٢١٢، رقم الحديث ٢٤١٢. وهو حديث ضعيف.

(٣) ينظر: احياء علوم الدين، الامام الغزالي، كتاب الفتن والملاحم، الجزء ٤، الصفحات ٤٠٠-٤٠٢.

لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّه قد تكررت قيمة الرحمة في القرآن الكريم قرابة الألف مرة، لذلك هي تقتضي الرّقّة والعطف والمحبة بُغية إيصال الخير إلى الآخرين. فالتّكافل الاجتماعيّ من أعظم مظاهر الرّحمة وشعور المسلمين، بعضهم ببعض، ورحمتهم، عبر القول الطّيّب الّذي يخفّف آلامهم ومصاعب الحياة، لقوله ﷺ "من لا يَرحَم لا يُرحَم"(١).

إنه ﷺ مثال للكمال البشري في حياته كلها، مثال للكمال في علاقته بربه وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه «كان رسول الله ﷺ رجلا سهلا»(٢)، قال النووي: " أي سهل الخلق كريم الشمائل لطيفا ميسرا في الخلق"(٣).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»(٤).

بمثل هذه القيم كانت دعوة النبي ﷺ، يسر في كل شيء، وذود عن حرمات الله لا عن عرض الدنيا أو أهواء النفوس. وهكذا، فإن سيرة النبي محمد ﷺ ومنهجه في التعامل مع المُخالِف كان منهجاً مليئاً بالعفو والرحمة والطيبة والتسامح.

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، الجزء ٨، الصفحة ٧، رقم الحديث ٥٩٩٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، رقم الحديث ١٢١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، الجزء ٤، الصفحة٤١٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث ٣٥٦٠.

المبحث الرابع

دلالات استيعاب المشركين والمنافقين في الخطاب الدعوي المعاصر

الاستيعاب لغة: مأخوذة من مادة وعب ويراد به الاحاطة بالشيء وأخذه كاملاً دون نقص(١).

الاستيعاب اصطلاحا: ادراك المعاني إدراكاً شاملاً ضم الجزيئات والكليات ويفض الى الفهم العميق والتطبيق الصحيح(٢).

مفهوم الخطاب الدعوي صبغة تواصلية شرعية تبنى على القرآن والسنة وتهدف الى اصلاح الفرد والمجتمع عبر الاقناع والتأثير مع مراعاة فقه الواقع واختلاف المخاطبين(٣).

استيعاب المشركين في الخطاب الدعوي هو منهج دعوي شرعي يقوم على شمول الخطاب لهم ومخاطبتهم بالحكمة والحجة واحترام انسانيتهم مع الثبات مع اصول العقيدة(٤). لقد اتسم خطاب رسول الله ﷺ مع المشركين بعدة سمات اللين في القول مخاطبة العقل الصبر على الاذى عرض التوحيد باسلوب تدريجي(٥).

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، الجزء ١، الصفحة ٥٩٧.

(٢) ينظر: فقه الاولويات، الدكتور يوسف القرضاوي، الصفحة ٣١.

(٣) فقه الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، دار بن الجوزي، الصفحة ١٧.

(٤) المصدر نفسه، الصفحة ٨٩.

(٥) اصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الصفحة ٢٤٥.

سمات الخطاب القرآني الموجه الى المشركين

تميز الخطاب القرآني الموجه الى المشركين بمنهج دعوي مديد جمع بين وضوح العقيدة وقوة الحجة ورحابة الاسلوب مخاطبتهم بوضعهم مخاطبين بالتكليف وسعى الى هدايتهم عبر الاقناع العقلي والتأثير الوجداني دون اكراه او اقصاء.

١- الشمول والعموم في الخطاب[١]:

اتسم الخطاب القرآني للمشركين بالعموم فلم يخرجهم من دائرة المخاطبين بالدعوة بل شملهم بفداء الانسانية والتكاليف.

٢- مخاطبة العقل واقامة الحجة:

اعتمد القرآن الكريم على الاستدلال العقلي في محاججة المشركين من خلال لفت انظارهم الى دلائل التوحيد في الانفس والافاق[٢].

٣-التدرج في عرض القضايا العقدية

٤-راعى الخطاب القرآني التدرج الدعوي في معالجة قضايا الشرك فبدأ بتحرير التوحيد ثم نقض الشبهات[٣].

الاساليب الدعوية في مخاطبة المشركين:

- الحكمة الحوار الترغيب والترهيب[٤].
- استيعاب المنافقين في الخطاب الدعوي

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، الجزء ١٥، الصفحة ٣٧.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، الجزء ٦، الصفحة ٢٩٨،

(٣) ينظر: المدخل في علم الدعوة، محمد ابو الفتح البيانوني، الصفحة ١٧٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة ١٥٠.

اتباع منهج حكيم متدرج في التعامل معهم يقوم على كشف صفاتهم واعمالهم مع العدل في المعاملة وترك السرائر الى الله سبحانه وتعالى وعدم التعجل في العقوبات ومن اساسيات استيعاب المنافقين في الخطاب الدعوي(١).

١- الكشف دون التسمية المباشرة

اتسم الخطاب القرآني بفضح صفات المنافقين وسلوكهم دون التصريح باسمائهم قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

٢- المجادلة بالحجة وبيان التناقض

خاطبهم القرآن الكريم بالحجة العقلية مبيناً تناقض اقوالهم مع افعالهم قال تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ (٣).

٣- ترك عقوبتهم مع المقدرة

امتنع رسول الله ﷺ عن قتلك المنافقين مع علمه بحالهم تحقيقاً لمصلحة الدعوة قال ﷺ (لا يتحدث الناس ان محمداً قتل اصحابه)(٤).

---

(١) مفاتح الغيب للامام فخر الدين الرازي، الجزء ٢، الصفحة ١٦٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٤) رواه البخاري باب ما ينهى عن دعوة الجاهلية، الجزء ٤، الصفحة ١٨٣، رقم الحديث ٣٥١٨.

الدلالات الدعوية والتربوية في التعامل مع المنافقين:

١- اعتماد مبدأ الحكم بالظاهر لا بالباطن

من ابرز الدلالات الدعوية والتربوية ان الاسلام يبني الاحكام والمعاملات[١] على مايظهر من الانسان ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٢].

٢- تقديم مصلحة الدعوة على المعالجة الفردية

امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين رغم خطرهم مراعاة لصورة الدعوة امام الناس[٣].

٣- كشف المنهج لا الاشخاص

ركز الخطاب القرآني على بيان صفة المنافقين وسلوكهم بدل تعيينهم ليكون الخطاب اصلاحيا[٤].

٤- التحذير الوقائي للمجتمع

فضح اساليب المنافقين يعد من باب الوقاية الدعوية وحماية ال؟؟ الداخلي من الاحتراق[٥] ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾[٦].

---

(١) ينظر: مجموع القتادة ابن تيمية، الجزء ٧، الصفحة ٢٨٤.

(٢) سورة الفتح: الآية ١١.

(٣) ينظر: فتح البار شرح صحيح البخاري، الجزء ٨، الصفحة ٥٢٥.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي، الجزء ٢، الصفحة ١٦٨.

(٥) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٦) الجامع لاحكام القرآن، الجزء ١٨، الصفحة ١٥٢.

وفي ظل تنوّع الانتماءات والمعتقدات في العالم المعاصر، يبرز المنهج النبوي في التعامل مع المخالفين — ولا سيما المشركين والمنافقين — كمرجعية رشيدة تُلهم الخطاب الدعوي المعتدل والمنفتح. إن هذا الاستيعاب لا يعني التساهل في العقيدة، بل يحمل بعدًا تربويًا وإنسانيًا يُراعي مقتضيات الحكمة والموعظة الحسنة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ... ﴾[1].

المطلب الأول

استفادة الداعية من سيرة النبي ﷺ في التعامل مع مخالفي العقيدة اليوم

أول ما يلفت النظر في سيرة النبي ﷺ هو قدرته الفائقة على احتواء المخالفين، مع وضوح العقيدة وثبات المبدأ. فلم يكن التشدد في الطرح ولا الخصومة في الحوار من منهجه، بل اعتمد أساليب اللين والمجادلة بالتي هي أحسن، حتى مع ألدّ أعدائه من المشركين والمنافقين.

تُمثّل سيرة النبي محمد ﷺ مرجعًا عمليًا ثريًا للداعية المعاصر في كيفية التعامل مع مخالفي العقيدة، من مشركين أو يهود أو نصارى أو منافقين. فقد اتّسمت دعوته بالحكمة، والرحمة، والصبر، والعدل، بما يجمع بين الثبات على المبدأ والانفتاح في الأسلوب، بعيدًا عن الغلظة أو الإقصاء[2].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة ٥، ٢٠٠٥م، الصفحات ٤٠–٥٥.

ومن أهم ما يستفيده الداعية من هذه السيرة:

أولًا: الصبر وطول النفس، فقد استمر النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو بالحكمة دون أن يرفع سلاحًا أو يُجبر أحدًا، رغم الأذى الشديد. وقد بيّن القرآن هذا النهج في قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ... ﴾[1].

ثانيًا: التمييز بين الشخص والمعتقد؛ إذ لم يكن النبي ﷺ يُعادي الناس لذواتهم، وإنما يرفض ما يحملونه من باطل، فإن آمنوا أحبهم وأكرمهم، كما في حال ثمامة بن أثال، الذي أسره المسلمون، ثم أطلقه النبي ﷺ، فذهب فاغتسل وجاء فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله"[2].

ثالثًا: التعامل بالحسنى مع المنافقين رغم علمه بحقيقتهم، كما فعل مع عبد الله بن أبيّ، رأس النفاق، فلم يفضحه، ولم يُقِم عليه الحد، بل صلى عليه حتى نُهي عن ذلك. وقد قال عمر بن الخطاب: "يا رسول الله، أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا؟!" فقال له: «يا عمر، إن الله خيّرني»... ثم أنزل الله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا ... ﴾[3].

رابعًا: إعطاء الأولوية لفتح القلوب لا كسب الجدل، وهو ما يُعدّ درسًا عميقًا في الدعوة اليوم، في ظل انتشار الجدل الديني العقيم، والتعامل الحاد مع المخالفين عبر وسائل التواصل. فالداعية النبوي يتأنّى، ويعرض الحق بلين، ويبتعد عن الاستعلاء أو التحقير، كما في قوله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[4].

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٧.

(٢) رواه ابن هشام في السيرة، الجزء ٢، الصفحة ٥٢

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٤.

(٤) رواه مسلم، الامام مسلم، باب النهي عن ابتداء أهل الكتابالسلام، الجزء ٧، الصفحة ٤، رقم الحديث ٢١٦٥.

إن الدعوة في هذا العصر، بما تحمله من تحديات فكرية وثقافية وإعلامية، بحاجة ماسّة إلى استعادة هذا الفقه النبويّ في التعامل مع الآخر، فقه يُبقي العقيدة واضحة والرحمة حاضرة، ويُجنّب الداعية الوقوع في مزالق الغلظة والتسرع في إصدار الأحكام(١).

المطلب الثاني

تطبيقات دعوية معاصرة على منهج العفو والحوار

يُعدّ العفو منهجًا محوريًا في الدعوة الإسلامية، وهو لا يُقصَد به التنازل عن المبادئ، بل تجاوز الزلات في سبيل تحقيق المصلحة الدعوية الأسمى. وقد مثّل النبي ﷺ قمة هذا المنهج، كما في قوله لأهل مكة بعد فتحها: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". وفي الواقع المعاصر، ظهرت العديد من التطبيقات التي تعكس هذا المنهج، ومنها:

حوارات الأديان: يسعى كثير من الدعاة إلى الانخراط في ندوات وحوارات بين أتباع الديانات، ليس لتنازلات عقدية، بل لتقديم صورة متوازنة عن الإسلام، كما فعل كثير من العلماء والدعاة الكبار مثل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في أوروبا (رحمه الله).

إن "الغرب إذاً يحتاج إلى الإسلام حاجة المريض إلى الدواء والجائع إلى الغذاء والعريان إلى الكساء والخائف إلى الأمان، وليس ذلك موجودا إلا عندنا نحن أمة محمد صلوات الله عليه فالدعوة إلى الله في الغرب الآن واجبة علينا من وجوه عدة ليس هذا محل تفصيلها، أما وجوب تجديد الدعوة فالمقصود به هو تجديد أساليبها وتحديث طرائقها والإبداع في وسائلها واختراع آليات جديدة في تفعيلها ودحض ترهات

(١) في فقه الدعوة إلى الله، الغزالي، القاهرة: دار الشروق، الطبعة ٣، ٢٠٠٢م، الصفحات ٧٨-٨١.

أعدائها والتغيير في أشكالها إذ لبها لا يتغير لأنها دعوة إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بيد أن ما يحتف بهذا اللب من صيغ ولغات ونبرات وفقرات وأدوات واختيار الأزمنة والأمكنة والمناسبات وما يقدم وما يؤخر وما يؤكد وما يرخص فيه وما يصرح به وما يسكت عنه من الجزئيات والفروع كل ذلك هو الداخل في قولنا (تجديد الدعوة) تأصيلا وتفريعا"[١].

أما مؤهلات المحاور المسلم:

"هدف الحوار إن المقصود من الحوار ليس المجابهة والإفحام إذ إن ذلك هو من باب المناظرة ومحاولة الظهور على الخصم وتعجيزه عن الرد. وإنما المقصود أن يحصل كل ما يأتي أو بعضه:

معرفة أطروحات الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار وتعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار والعمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كلياً أو جزئياً في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجياً على المدى الطويل والعمل على استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات والاعتراف بها وقبولها والاستفادة منها طالما (أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها)[٢].

---

(١) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة ٥، ٢٠٠٥م، الصفحات ٤٠-٥٥.

(٢) رواه الترمذي، ابواب العلم عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل الفقه، الجزء ٤، الصفحة ٤١٧، رقم الحديث ٢٦٨٧.

العمل على استكشاف ما عند المحاور من معلومات غير صحيحة أو دقيقة ومما في وجهات نظره أو مواقفه من ثغرات وأخطاء والعمل على تداركها وإصلاحها. وتشييد جسر للتواصل السلمي البناء وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات مما يبدد الجهود. أن الحوار يساعد على التوقد الذهني وهي صفة ملازمة لأجواء التحدي الفكري والحوار المتبادل. قد يؤدي الحوار إلى إيضاح الحقيقة بالإضافة إليها، فيعطي كل فرد ما يعرف من أجزاء الحقيقة حتى يمكن تركيبها كاملة وحتى صاحب الحق فإن أجزاء من الحق تبرز له بصورة أوضح أثناء توقده الذهني في لحظات الحوار. إحباط حجج المتطرفين والمتعدين فكثير من حوارات كبار علماء الإسلام مع الفرق الضالة كشفت زيف أفكارهم وذلك ما سجلته كتب تراثية خالدة كالملل والنحل للشهرستاني والفصل بين الملل والأهواء والنحل لابن رشد والرد على الجهمية لابن تيمية والصواعق المرسلة لابن القيم والمسألة القاديانية للمودودي وغيرها"[١] .

التسامح مع الناقدين دون ترهيب: فبعض الدعاة يتعاملون مع الانتقادات أو الشبهات المثارة حول الإسلام بعقلانية ورفق، دون تخوين أو تكفير، وهذا يعكس نضجًا في العمل الدعوي[٢].

"فالحكمة يقابلها السفه والعبث وهما مرفوضان بالعقل والنقل فلا مكان لأمر أو نهي أو إرشاد بدون مغزى ولا محل لتعبد أو تبليغ بدون معنى، والنصوص مقدسة عن أن تكون فارغة من محتوى رفيع يهدف إلى إصلاح أحوال المتلقي، والعبد لم يكن

---

(١) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، المؤلف: أحمد بن سيف الدين تركستاني، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، الصفحات ١٥-١٦.

(٢) فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال، أ. علي بن أحمد بن الأمين الريسون، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، الصفحة ٧.

مكلفا بالنص فهما وتطبيقا إلا لما في هذه النصوص من فوائد مؤكدة تعود عليه بالجدوى، الحكمة كلمة أحسبها أوسع من مصطلح (المصلحة) وأسمى من مصطلح (معقول المعنى) فهي كلمة جامعة مانعة تعطي للقلب المتنور إحساسا بأنها مفردة جليلة تعني الخير والسداد والاصابة والفلاح والربح والهدف والأمر المنشود والغاية المتوخاة فكانت كلمة مباركة، ثم تعني الحكمة: (الرفق) و(اللطف) و(الفهم)، فالخشونة والغلظة والجفاء والتجهم والعبوسة والانقباض وأضرابها لا تنتمي لدائرة الحكمة، والتشدد والانغلاق والتقعر والتطرف والمبالغة والتهويل كلها مفردات تبتعد عن الحكمة"[١].

المبادرات الاجتماعية المشتركة مع غير المسلمين: كمشاركة بعض الدعاة في مشاريع إنسانية أو بيئية تجمع بين أتباع أديان مختلفة، لتجسيد القيم الإنسانية العليا، وهو من روح قوله تعالى: ﴿ ...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ... ﴾[٢]. وقد قرر الفقهاء قبول الهدايا من الكفار بجميع أصنافهم حتى أهل الحرب قال الامام ابن قدامة المقدسي[٣] في المغني: "ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر"[٤].

استخدام وسائل الإعلام الحديثة بالحكمة: فبرامج اليوتيوب والبودكاست وغيرها باتت منابر دعوية مؤثرة، ويظهر فيها دعاة يردّون الشبهات بلطف، ويعرضون

---

(١) فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال، أ. علي بن أحمد بن الأمين الريسون، الصفحة ٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢.

(٣) ابن قدامة المقدسي، ابو محمد احمد عبدالحليم بن عبدالسلام بن قدامة المقدسي، ولد سنة ٥٤١هـ وتوفي سنة ٦٢٠هـ، يعد من كبار فقهاء الحنابلة في العهد الأيوبي، ومن أبرز مؤلفاته كتاب المغني في الفقه الحنبلي، ينظر: سير اعلام النبلاء للإمام الذهبي، الجزء ١٣، الصفحات ١٤٦-١٤٨.

(٤) المغني، ابن قدامة المقدسي، الجزء ١٣، الصفحة ٢٠٠.

الإسلام عرضًا راقيًا، كما في برامج الداعية أحمد ديدات سابقًا، ثم ذاكرنايك، ومن المعاصرين وسيم يوسف في بعض مراحله، وغيره.

التأكيد على القيم المشتركة: مثل العدل، والرحمة، والصدق، والعمل الصالح، وهو ما يسهم في تهيئة القلوب لتقبّل الإسلام دون صراع(١).

إن استيعاب المشركين والمنافقين في الخطاب الدعوي المعاصر ليس ضعفًا ولا تمييعًا، بل هو اقتداء بالمنهج النبوي الذي جمع بين ثبات العقيدة ورحابة الأسلوب. والداعية المعاصر مدعو إلى أن يتسلّح بهذه القيم النبوية ليحاور العالم ويؤثر فيه، لا أن ينكفئ أو يصطدم. فالعالم اليوم أحوج ما يكون إلى خطابٍ يُزاوج بين الإيمان والعقل، وبين الرحمة والعدل.

خلاصة الفصل

حاول الباحث في الفصل الحالي أن يدرس الأساليب الموجودة في المنهج النبوي للتعامل مع المخالفين من المشركين والمنافقين، ومن ثم يمكن تلخيص أبرز نتائج المنهج النبوي في استيعاب المخالفين عبر الآتي:

- الحوار أحد أبرز الوسائل التي جاءت في منهج النبي ﷺ عند تعامله مع المشركين والمنافقين.
- الحوار العاطفي والحسي مع المشركين هو حوار بالكلمة الطّيّبة، وهو يقوم على النية الحسنة بأن الحوار يراد به وجه الله حتى يوفق جل جلاله، كما انّ المحاور لا يستهزئ بالمقابل او ينتقص منه بل يحترمه فيكون الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) ينظر: فن الإلقاء المؤثر، طارق السويدان،، الكويت: الإبداع الفكري، الطبعة ٢، ٢٠١٠م، الصفحة ١٠٢.

- خاطب النبي عليه الصلاة والسلام المشركين والمنافقين بالحوار العقلاني والحجج القوية وذلك ليردهم إلى الصواب والرشاد والهدى، وكلّ ذلك ليحق الحق، ويبطل الباطل، فيذعنوا منقادين للإسلام.
- إنّ لإقامة الحجج على المخاطبين لها آثار وفوائد متعددة، منها: الاحتكام والرجوع إلى الدليل، والبعد عن التمسك بالمواقف من غير حجة ولا دليل، بإقامة الحجج يتحقق معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ثم إظهار الحق والكشف عن الباطل والرجوع إلى الحق والانقياد والاذعان له، لنصل إلى كف عدوان المبطلين، وتثبيت المؤمنين على الحق.
- إن التسامح مع الآخر يتطلب الاحترام، إذ إن التسامح منطلق تهذيب للنفس اولا بكونه ذا أخلاق حميدة، وبقانون إلهي متكامل ليُحفظ المجتمع من مختلف الأزمات التي غالباً ما تكون بسبب الفروق الدينية وعدم تقبل الآخر.
- استوعب المنهج النبوي طبيعة الحياة التي كانت قبل الإسلام، وأدرك أنّ التغيير لا يأتي فجأة، إنما هو عبارة عن تطور تدريجي في الفكر والثقافة، وقد تسامح النبي الكريم في كثير من الأحيان مع أذى الكفّار، ومحاولاتهم الاعتداء عليه وأذيته بالكلام وبالقول.
- لقد كان المشركون والمنافقون يؤذون النبي ﷺ بالكلام والأفعال وكان يصبر عليهم، بحيث كان لهم الحرية في تعاملهم معه، فقد أذوه وصبر عليهم، فكان يدعوا لهم بالهداية.
- لقد شجّع النهج المحمدي على العفو مع المشركين والمنافقين في كثير من الأحيان، ويكون العفو بالتسامح معهم، وتيسير الأمور واللين فيها، ويتمثل العفو بالتجاوز عن الذنب وترك العقاب.

- يجب على الداعية المعاصر أن يتسلّح بهذه القيم النبوية ليحاور العالم ويؤثر فيه، لا أن ينكفئ أو يصطدم. فالعالم اليوم أحوج ما يكون إلى خطابٍ يُزاوج بين الإيمان والعقل، وبين الرحمة والعدل.

الفصل الثاني

المنهج النبوي في استيعاب أهل الكتاب

المبحث الاول: منهج الكلمة السواء.

المبحث الثاني: منهج الحوار والمحاججة.

المبحث الثالث: المساواة في الحقوق والواجبات.

توطئة:

جاء الإسلام برسالة سماوية قوامها العدل والمساواة ليس فقط مع من يدخل الإسلام، بل مع البشر جميعهم، فقوام التعامل الاحترام، وعدم البدء بالأذى دون أن يكون هناك اعتداء من الطرف الآخر.

ولقد أكّد منهج النبي محمد ﷺ أسس التعامل مع أهل الكتاب، وقبل أن نبيّن تعامله معهم يجب توضيح المقصود بأهل الكتاب.

يعني أهل الكتاب كل من يدين باليهودية أو النصرانية ولو لم يكن من أصل بني إسرائيل الذين أنزلت على رسلهم التوراة والإنجيل. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ... ﴾[2].

وعن جابر بن عبد الله[3] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (أُعطِيت خمسًا لم يُعطَهن أحدٌ قبلي: نُصِرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطَهورًا، فأيُّما رجل أدركَتْه الصلاة فليُصلّ، وأُحِلَّت لي الغنائم، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعَث في قومه خاصة، وبُعِثت إلى الناس كافةً)[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري صحابي، من المكثرين من رواية الحديث النبوي. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الجزء ٣ ، الصفحة ١٩٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب التيمم، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، الجزء ١، الصفحة ١٦٧، رقم الحديث ١٤٢٧.

من هذه النصوص يظهر أن أهل الكتاب من ضمن المدعوين. لذلك دعاهم الرسول ﷺ دعوة عامة ضمن الناس، وينقسم أهل الكتاب إلى قسمين:

١- اليهود:

اختلف علماء التفسير والأديان في مدلول لفظة اليهود على أقوال: يذهب البعض إلى أن اليهود سموا بذلك أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ...﴾[١] أي رجعنا وتبنا إليك[٢].

وقيل تابوا وأنابوا ورجعوا الى عبادة الله تعالى وبقيت هذه التسمية لازمة لهم بعد نسخ شريعتهم بشريعة الإسلام[٣].

ويرى فريق آخر: أن كلمة اليهود مأخوذة من يهوذا أحد أبناء يعقوب الاثني عشر للدلالة على أحد أفراد السبط وقد ذهب الى هذا غالبية النصارى[٤].

وفريق يذهب: إلى أنهم سموا باليهود لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة[٥].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ١، ٢٠٠٠م، الجزء ١٣، الصفحة ١٥٢.

(٣) ينظر: المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، سعدون الساموك، دار وائل، عمان، الطبعة ١، ٢٠٠٦م، الصفحة ٨٦.

(٤) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، لبنان،١٩٨٣م، الصفحة ١٨٤.

(٥) ينظر: المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، سعدون الساموك، الصفحة ١٤٨.

وفريق يرى: أنهم سموا يهوداً لأنهم إذا جاءهم نبي أو رسول هادوا أي رجعوا الى ملكهم.

فدلوه عليه ليقتلوه، وقد صرح القران الكريم بذلك بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[1][2].

وقيل: إن تسمية يهودي لها دلالتان: عامة وخاصة، فالعامة هي تسمية تطلق على كل من يعتقد في اليهودية ويؤمن بها ويمارس شعائرها وطقوسها، والخاصة تشير الى الانتماء الى كيان جغرافي هو مملكة يهوذا في الجنوب والتي ظهرت بعد انشقاق مملكة سليمان الى شمالية وجنوبية[3].

هذا ما يقوله اليهود والنصارى عن اسم اليهود ومصدره، أما علماء التفسير من المسلمين فإنهم يوردون معنى آخر لاسم اليهود ويرجعونه إلى ما جاء في القران الكريم قال تعالى: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ... ﴾[4].

ويرى الدكتور أحمد سوسة أن التسمية التي أُطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد، وقد سموا كذلك نسبة الى مملكة يهوذا المنقرضة.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٠.

(٢) ينظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، دون تاريخ ، الصفحة ٢٧.

(٣) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد حسن ، دار قباء للطباعة، القاهرة، الطبعة ١، ١٩٩٨م، الصفحة ٢٩.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٦.

٢- النصارى:

تعتقد النصرانية عقائد كثيرة مخالفة لما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وبعض هذه العقائد انتقلت إلى النصرانية من ديانات وثنية، وهي ولا شك اعتقادات شركية، كادعاء أن المسيح عليه السلام ابن الله، والحديث عن صلب المسيح، واتخاذ الأحبار أرباباً وغيرها، ولذا حكم القرآن العظيم على النصارى بأن فيهم شركا، وأنهم يقولون قول الكافرين، كما حكم عليهم بالكفر في آيات كثيرة منها ما جاء في سورة النساء والمائدة والبينة وغيرها[١].

قيل إنّ النصرانية نسبة إلى الناصرة، وهي قرية المسيح عليه السلام، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصرانية، وجمعه نصارى، وهي دين النصارى، الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عيسى عليه السلام، وكتابهم الإنجيل[٢].

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الإنجيل، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم المسيحية[٣].

ومع ذلك تجدر الاشارة ان القرآن الكريم لم يأمر بمحاربة غير المسلمين دون ان يقوموا بفعل او بحرب؛ فالعلاقة بين المسلم وغيره يجب أن تكون مضبوطة بالضوابط التي حددها الشرع، وخاصة في هذا الزمان الذي التبست فيه الأمور وكثر

---

(١) ينظر: الفصل بعنوان بيان اضطراب بيان النصارى وتفرقهم في باب طبيعة المسيح، الموقع على الشبكة العنكبوتية، اسلام ديب.

(٢) ينظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عرفان فتاح (٢٠٠٧)، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٠م، الصفحة ١٤.

(٣) ينظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الصفحة ٦٧.

الجهل بالدين واختلط الحابل بالنابل وأصبح المسلمون لا يتميزون عن غيرهم في مظهرهم العام أو مخبرهم الخاص.

والعلاقة مع أهل الكتاب إذا كانوا مسالمين غير محاربين يجب أن يكون أساسها البر إليهم والعدل معهم والإنصاف لهم.

كما قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١).

ولا مانع شرعا من التعامل معهم في المال أو الإجارة... وعيادة مريضهم وتعزيتهم عند المصيبة وتهنئتهم عند حدوث نعمة. ولكن ما يود البحث الحديث عنه هو أفعال فئة محددة من النصرانيين، وخاصة في الغرب حاولوا تشويه صورة الدين الإسلامي، فكان لا بدّ من الردّ. وقد تكلّم القرآن عن النصارى واليهود وفقاً لأكثر من حقيقة على النحو الآتي(٢):

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨-٩.

(٢) ينظر: المغني، ابن قدامة المقدسي، الجزء ٤، الصفحة ١٧٤.

المبحث الأول

منهج الكلمة السواء

المطلب الأول

ماهية الكلمة السواء

الكلمة سواء لغةً: هي مقالة مفرد مفيد بلفظ ومعنى[١].

الكلمة سواء اصطلاحا: هو قولاً مستقيماً صائباً لا انحراف فيه يصلح هداية وتذكيراً واقامة حق[٢].

مفهوم الكلمة في القرآن والسنة

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ [٣]. في القرآن الكريم وتفسيرها دعوة الى قول الحق المستقيم بلا تحريف ولا تزييف[٤].

وفي السنة النبوية ورد في الحديث (الدين النصيحة ان قول الحق الواجب ان يكون نصيحة لله وللناس) [٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، الجزء ٢، الصفحة ١٢٨.

(٢) ينظر: جامع البيان في تفسي القرآن، للامام الطبري، الجزء ٨، الصفحة ٢٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، الجزء ٤، الصفحة ٣١٧.

(٥) رواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان ان الدين نصيحة، الجزء ١، الصفحة ٥٣، رقم الحديث ٥٥.

اسس منهج الكلمة السواء

أ- العدل والوسطية:

العدل اساس القول الحق بلا غلو او تفريط[١]. وقد اكد القرآن الكريم على هذا الاساس ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٢].

ب- الحكمة والموعظة الحسنة:

الحكمة قول الحق في اوانه باسلوب ملائم[٣]. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [٤].

ج- احترام الانسان وكرامته:

الكلمة سواء تحفظ كرامة المخاطب ولا تجرح او تهين)[٥].

المنهج النبوي في ترسيخ الكلمة السواء

أ- الحوار مع اهل الكتاب:

لقد استخدم النبي ﷺ الكلمة المحترمة مع النجاشي بل واظهر لهم الرفق والعدل)[٦].

---

(١) الدرر المنثور للامام جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، الجزء١، الصفحة ٢٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) تفسير الحسين بن مسعود البغوي، الجزء ٣، الصفحة ٤٥.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٥) رواه ابن القيم الجوزية، جزء ١، الصفحة ١١٢.

(٦) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ٢، الصفحة ١٥٥.

ب- الحوار مع المشركين :

كان رسول الله ﷺ حكيما في الدعوة يبين الحق بالحجة الدامغة ومن امثلة الحوار مع المشركين حواره مع عقبة بن ابي معيق)[1].

ج- خصائص الحوار النبوي:

١- الحق مع اللين

٢- الوضوح والصدق

٣- التحقيق دون التجريح

٤-الموعظة الحسنة [2][3].

آثار المنهج النبوي في تحقيق الكلمة السواء

أ- وحدة المجتمع وتماسكه:

الكلمة السواء حققت الالفة بين القبائل ودفعت الفتن واسست قيم السلم المجتمعي

ب- نشر العدل والحكمة:

ان العدل هو ميزان الله تعالى الذي وضعه للخلق ونصبه للحق فهو احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها الا به.

ج- احترام الانسان وكرامته:

ان كرامة الانسان محفوظة في الاسلام عبر منهاج قويم من القول والعمل.

---

(١) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، الجزء ١، الصفحة ٤٩٢.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء ١٠، الصفحة ٤٤٩.

(٣) ينظر: الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، فتحي يكن، الصفحة ٣٣.

د- انتشار الاسلام ونموه:

ان اسلوب الكلمة السواء جذب القلوب قبل العقول ليس فقط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل بالحكمة والموعظة الحسنة[١][٢].

إن للكلمة أثرها البارز في الفكر العربي الاسلامي، وقد حرص القرآن على أهمية الكلمة السواء فـ "الكلمة السواء بأنَّها جاءت من وارد الحقِّ والخير، بعكس الكلمة الخبيثة الَّتي من وارد الباطل والضَّلال والشَّرِّ، كلمة لا إله إلَّا الله هي مجمع كلِّ كلمة طيِّبة، فمن لم تسكن قلبه هذه الكلمة لا يجيء من طيِّب أبداً[٣].

في حين تُعرَّف" بأنَّها تتناول كلَّ كلام يمكن أن يوصف بالطَّيِّب والأدب، من ذكر الله، أو أمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو حسن التَّعامل مع الآخرين، أو غير ذلك، ولا وجه لتخصيصه بنوع معيَّن من الكلام الطَّيِّب[٤].

بالإشارة إلى أنَّ الكلمة السواء لديها تعريفان اصطلاحاً، أحدهما خاصٌّ، والثَّاني أكثر شمولاً. إذ منهم من يُعرِّفها بأنَّها كلمة التَّوحيد، أي كلمة لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله. ومنهم من لا يخصُّها بهذا المعنى، ويرى أنَّها كلُّ قول حسن وطيِّب يهدف إلى بناء علاقات صادقة مع الآخرين[٥].

---

(١) ادب الدنيا والدين، ابو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار المنهاج، الصفحة ١٢١.

(٢) ينظر: العلاقات الدولية في الاسلام، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، الصفحة ٤٥.

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، مصر، دار الشُّروق، الطبعة ١١، ١٩٩٥م، الجزء ٤، الصفحة ٢٠٩٩.

(٤) يُنظر: التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، مصر: دار الفكر العربي، الطبعة ١، ١٩٧٠م، الجزء ٤، الصفحة ١٧١.

(٥) يُنظر: شرح شذور الذَّهب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف تحقيق: عبد الغنيِّ الدِّقر، سوريا: الشَّركة المتَّحدة للتَّوزيع، الطبعة ١، ١٩٩٤م، الصفحة ٣٣.

كما يُمكن تعريف الكلمة السواء بأنَّها القول الحسن والأسلوب الجميل، يُمكن من خلالها بناء العلاقات بين أفراد المجتمع. لأنَّ القول الحسن في اللفظ والمعنى ينجِّي القلب وينعش الرُّوح ويقوِّي ذكر الله[١].

انطلاقاً ممَّا سبق ذِكره يُمكن تعريف الكلمة السواء إجرائيَّاً، بأنَّها ذلك القول الدَّافئ والعذب والحسن، النَّابع من القلب لمخاطبة القلوب الأخرى، بهدف تقديم الدَّعم والمساندة، وتوعية الناس إلى جوهر الإسلام لإنقاذهم من الضلال.

لقد تمتعت الكلمة السواء بخصوصية كبيرة في الإسلام؛ فلا شكَّ أنَّ الحديث عن الكلام هو حديث عن اللِّسان، على اعتبار أنَّه هو مصدر اللَّفظ. فقبل البدء بتحديد مدى خصوصيَّة الكلمة الطَّيِّبة، ينبغي التَّنويه بخصوصيَّة الكلام بصورة عامَّة في الفكر الإسلاميِّ[٢].

في سياقٍ متَّصل كان يُقال: ما الإنسان لولا اللِّسان، سوى صورة ممثِّلة، أو ضالَّة، أو بهيمة مرسلة[٣]، وفي هذا المعنى قال الشَّاعر "خالد بن صفوان التَّميميُّ"[٤]:

---

(١) يُنظر: تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، محمَّد حسين. فضل الله، لبنان: دار الملاك للطِّباعة والنَّشر، الطبعة ٢، ١٩٩٨م، الجزء ٢، الصفحة ١١٥.

(٢) ينظر: احياء علوم الدين، الامام الغزالي، الجزء ٣، الصفحة ١٢٠.

(٣) يُنظر: اللَّطائف والطَّرائف، الثَّعالبيُّ، أبو منصور عبد الملك محمَّد بن إسماعيل، لبنان: دار المناهل، ١٩٩٤، الصفحة ١٠٢.

(٤) أبو صفوان خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقريُّ التَّميميُّ البصريُّ (٥٥هـ – ١٤٥هـ / ٦٧٥م – ٧٦٢م)، هو خطيب وشاعر من فصحاء العرب المشهورين وخطبائهم في العهدَين الأمويِّ والعبَّاسيِّ الأوَّل. يُنظر: سير أعلام النُّبلاء، الذَّهبيُّ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، لبنان: دار الرِّسالة، الطبعة ٣، ١٩٨٥، الجزء ٦، الصفحة ٢٢٦.

ومـــا المـــرء إلَّا الأصـــغران لســـانه ومعقولـــه، والجســـم خَلـــقٌ مصـــوَّر

ومـــا الـــزَّين فـــي ثـــوب تـــراه وإنَّمـــا يـــزيِّن الفتـــى مخبـــوره حـــين يخبـــر[١]

بالإشارة إلى أنَّ الكلام هو ما تُعرَف به الأشياء، والشَّاهد الَّذي يخبرنا بما في الضَّمير؛ لأنَّه ترجمان القلب، والقلب خزانة مُستحفَظة الخواطر والأسرار، وكلُّ ما يعنيه من ذلك عن الحواسِّ من خير وشرٍّ، وما تولَّدت عنه الشَّهوات والأهواء وتنتجه الحكمة والعلم[٢].

في هذا الصَّدد أكَّد رسول الله ﷺ أهمِّيَّة الكلام ودوره وتأثيره، حين قال: "إنَّ في البيان لسحراً"[٣]. والكلام هو اللفظ المفيد ونعني باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف[٤]. كما يُعدُّ نعمة عظيمة من نِعَمِ الله تعالى على الإنسان القادر على النُّطق والتَّعبير وتِبيان الأمور والتَّفاهم والتَّجاوب مع الآخرين، فينسى بطول الألفة هذه الهبة، وعظمة هذه النِّعمة، فيردَّه القرآن إليها ويوقظه لتدبُّرها في مواضع شتَّى[٥].

كان الرسول يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، وكان النبي ﷺ يلوِّن الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فتارة يكون سائلاً وتارة يكون مجيباً، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، ويزيد على ما سأل، وتارة يضرب المثل لمن يريد تعليمه، وتارة يصحب كلامه القسم بالله تعالى ليؤكد ما يقوله، وتارة يلفت السائل عن سؤاله

---

(١) يُنظر بغية الطَّلب في تاريخ حلب، ابن أبي جرادة، كمال الدِّين عمر بن أحمد،تحقيق: سهيل زكار، لبنان: دار الفكر، الطبعة ١، ١٩٨٨م، الجزء ٧، الصفحة ٣٠٥٩.

(٢) يُنظر: رسائل الجاحظ، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. تحقيق: عبد السَّلام هارون، لبنان: دار الجيل، ١٩٩١م، الجزء ١، الصفحة ١٤١.

(٣) رواه البخاريُّ في صحيحه في كتاب الطب، باب إنّ من البيان لسحراً، رقم الحديث ٥٤٣٤.

(٤) يُنظر: كتاب قطر الندى وبالصدى، ابن هشام، الصفحة ٤٣.

(٥) يُنظر: في ظلال القرآن، سيِّد قطب، مرجع سابق، الصفحة ٣٤٤٦.

لحكمة بالغة منه، وتارة يعلِّم بطريق الكتابة، وتارة بطريق الرسم، وتارة بطريق التشبيه أو التصريح.

بناءً على ما سبق ذِكره يُمكن القول إنَّ هذا معنى الكلام وأهمِّيَّته في الفكر الإسلاميِّ، وتوضيح سبب اهتمام الإسلام بالكلام بصورة عامَّة. أمَّا بعد إضافة مفردة السواء إلى الكلمة، يكتسب المعنى دلالات جديدة، ويتميَّز المقصود بخصوصيَّة أكبر بسبب تحديد نوع من أنواع الكلام، ألا وهو الطَّيِّب. بالإشارة إلى أنَّ الكلام السواء يأخذ أهمِّيَّته من القرآن الكريم والمواضع الَّتي يرد فيها هذا المصطلح، حيث ذكره الله سبحانه وتعالى في آياتٍ من القرآن، فضلاً عن ذِكره المراد منه كالتَّوحيد والتَّحميد والذِّكر[1]. إن دعوة غير المسلمين وخاصة أهل الكتاب يجب أن تكون مؤثرة وبأساليب متعددة، لأن بعض الناس قد لا يستجيب للدعوة إلا أن يرى شيئاً عظيماً يجعله يقف مبهوراً معجبا، شيئاً يشده إلى الإسلام شداً ويجعله يعيد حساباته.

إن ملكة سبأ كانت تعبد الشمس هي وقومها عندما دعاها سليمان عليه السلام إلى الإسلام، ولكنها أبت إلا أن تنقاد مع اعترافها بضعفها أمام قوة سليمان وجنوده، ولكن عندما دخلت الصرح وحسبته لجة: ﴿... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2]. لقد عرضت عليها مظاهر القوة الخارقة لتؤثر على قلبها وتقودها إلى الإيمان.

ولكن في الإسلام ليس الأصل هو المعجزات المادية، وإن جاءت عفواً وإكراماً فلا بأس. وكان ﷺ لا يعتمد في دعوته إلى الله على المعجزات المادية، بل على معجزة القرآن فقط.

---

(١) يُنظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثَّعالبي، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف لبنان: دار الألمعيِّ للمطبوعات، الطبعة ١، ١٩٩٧م، الجزء ٣، الصفحة ٢٥.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٤.

المطلب الثاني

نماذج الكلمة السواء مع اليهود والنصارى

إن الرسول ﷺ اتخذ أساليباً متعددة مع أهل الكتاب في دعوتهم للدخول في الإسلام، وقد شملت دعوته، الدعوة باللسان حيث جذبهم بذوقه ورقيه في تعامله معهم.

فلا بُدَّ من القول إنَّ هذ الكلمة السواء هي الأحسن، يُمكن أن تقال في الأرض، وتصعد في مقدِّمتها إلى السَّماء، مقرونة بالعمل الصَّالح مع الاستسلام لله عزَّ وجلَّ الَّذي تتوارى معه الذَّات، فتصبح الدَّعوة خالصة له ليس للدَّاعية فيها شأن إلَّا التَّبليغ في السِّياق نفسه لقد أعلى الله سبحانه من الكلمة الطَّيِّبة، ووجَّه المؤمنين إلى تسديد القول وإحكامه والتَّدقيق فيه ومعرفة هدفه واتِّجاهاته، ما يقودهم إلى العمل الصَّالح. فالله سبحانه وتعالى يرى المسدِّدين ويقود خطاهم ويصلح أعمالهم جزاء التَّصويب والتَّسديد، ويغفر لذوي الكلمة الطَّيِّبة والعمل الصَّالح، فيكفِّر عنهم السَّيِّئة الَّتي لا ينجو منها الآدميُّون الخطَّاؤون، ولا ينفعهم منها إلَّا المغفرة والتَّكفير(١).

انطلاقاً ممَّا سبق ذِكره، يمكن القول إنَّ الكلمة الطَّيِّبة في مفهوم الفكر الإسلاميِّ هي كلُّ كلام طيِّب حسن، ويدخل في ذلك التَّوحيد والتَّسبيح والتَّحميد ومخاطبة الآخرين بالقول الحسن. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ كلمة التَّوحيد تأتي في مقدِّمة الكلام الطَّيِّب، وهي الأصل الَّذي يتفرَّع عنه كلُّ كلام حسن.

كان رسول الله ﷺ يورد الشبهة ليذكر جوابها، وتارة يسلك سبيل المداعبة والمحاجاة فيما يعلمه، وتارة يمهد لما يشاء تعليمه وبيانه تمهيداً لطيفاً لما يريد بيانه، وتارة يسلك سبيل المقايسة بين الأشياء، وتارة يشير إلى عللها لذكر جوابها، وتارة يسأل أصحابه وهو يعلم ليمتحنهم بذلك، وتارة يسألهم ليرشدهم إلى موضع الجواب، وتارة يلقي إليهم العلم قبل السؤال، وعند النظر إلى المنهج النبوي في تعامله مع أهل الكتاب

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق، الجزء ٥، الصفحة ٢٨٨٤.

الكلمة السواء التي تحمل الحق والتي تقال بأسلوب ليّن سهل، وأغلب ما نجد ذلك في الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى اليهود والنصارى وخاصة أنهم كانوا أصحاب سلطة " بسم اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من مُحمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِه إلى هِرَقلَ عَظيمِ الرُّومِ ، سلامٌ علَى من اتَّبعَ الهُدى ، أمَّا بعدُ ، فإنِّي أدعوكَ بدِعايةِ الإسلامِ ، أَسلِمْ تَسلَمْ ؛ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَك مرتين..."(١)

وقد وصلت رسائله ﷺ إلى جميع الملوك، فعن أنس أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتبَ قبلَ موتِهِ إلى كِسرَى، وإلى قيصرَ وإلى النَّجاشيِّ وإلى كلِّ جبَّارٍ يَدعوهم إلى اللَّهِ تعالى(٢).

هذه الحركة نقلت الإسلام من خطاب الدعوة المحلية إلى خطاب الدعوة العالمية، وهزت عروش ملوك، وأدخلت ملوكا في الإسلام، ووجهت بعض الملوك إلى الحرب، فكانت هذه الرسائل والكتب وسيلة اتصال بين الشعوب وأداة للتفاهم فيما بينها، ووسيلة بلاغ وإعلام، وكل ذلك بأسلوب الكلمة الجاذبة.

كان ﷺ تارة يرغبهم في الإسلام ويبين لهم محاسنه، وتارة يرهبهم ويحذرهم، وكان من جملة أساليبه ﷺ في دعوته أهل الكتاب أنه ﷺ دعاهم دعوة خاصة، وكان يظهر لهم حلمه وصفحه ويظهر لهم المعجزة، ويعرِّفهم موافقة القرآن لما في التوراة، وموافقة أهل الكتاب فيما ليس فيه نص، وإباحته ذبائح أهل الكتاب ونسائهم، وقبول الهدية من أهل الكتاب، ووصيته ﷺ على أهل الذمة، وإخبار اليهود والنصارى بما ينتظرهم من عذاب.

---

(١) رواه الترمذي، أبواب الاستئذان والادب عن رسول الله ﷺ ، باب في مكاتبة المشركين، الجزء ٤، الصفحة ٤٤٠، رقم الحديث ٢٧١٦.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"،كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل بهذا اللفظ، الجزء ٥، الصفحة ١٦٦، رقم الحديث ١٧٧٤.

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليكم قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة قالت، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة إنّ الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: قد قلت: وعليكم[1].

وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يرد عليهم بالقول الجارح إنما رد عليهم بكلمة أظهر لهم فيها مدى خطأهم، دون أن يقول لهم قد امتثل ﷺ أمر ربه حيث أمره بذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2].

هذا خطاب موجه إلى أهل الكتاب يأمر فيه الله – سبحانه وتعالى–نبيه الكريم محمد ﷺ أن يقول: (يا معشر اليهود والنصارى هلموا إلى كلمة عادلة مستقيمة فيها إنصاف بعضنا من بعض وأن نفرد الله وحده بالعبادة ولا نجعل له شريكاً، أي لا يعبد بعضنا بعضاً كما عبد آباؤكم من اليهود والنصارى عزيراً وعيسى، وأطاعوا الأحبار والرهبان فيما أحلوا لهم وحرموا)[3]. هذا خطاب فيه خصوصية لأهل الكتاب لأنهم أهل علم ودراية بدين سابق.

وكان النبي ﷺ يدعو أهل الكتاب كافة، وكان التأكيد أقوى في مخاطبته الملوك والزعماء، لأن من كان ذا مسئولية ورعاية عظيمتين كان التبعة عليه أعظم،

---

(١) رواه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، الجزء ٨، الصفحة ١٢، رقم الحديث ٦٠٢٠ بهذا اللفظ.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٣) صفوة التفاسير المجلد الأول دار القرآن الكريم،– محمد علي الصابوني، بيروت، الطبعة ٤، الصفحة ٢٠٨.

من هذا المنطلق كتب ﷺ إلى هرقل عظيم الروم خطاباً لطيفاً فيه تبشير وتنذير قال فيه" بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من مُحمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِه إلى هِرَقلَ عَظيمِ الرُّومِ ، سلامٌ علَى من اتَّبعَ الهُدى ، أمَّا بعدُ ، فإنِّي أدعوكَ بدِعايةِ الإسلامِ ، أَسلِمْ تَسلَمْ ؛ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَك مرَّتينِ؛ فإن تولَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسيِّينَ ويَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إلى قولِهِ اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"(١).

قال الإمام النووي(٢) في شرح هذا الحديث: (الأريسيين هم الأكارون أي الفلاحون والزراعون ومعناها أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، وبهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم الأسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا)(٣).

والمعنى أنه إذا آمن له أجران أجر لأيمانه بالرسول السابق، وأجر لإيمانه بمحمد، وإذا لم يؤمن أن عليه إثم الضعفاء والأتباع في مملكته إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر.

وفي دعوته لليهود والنصارى قال: (والذي نفْسُ محمدٍ بيدِهِ ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ، لا يهودِيٌّ، و لا نصرانِيٌّ، ثُمَّ يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به، إلَّا

(١) أخرجه البخاري- كتاب بدأ الوحي- باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، الجزء ١، الصفحة ٩، رقم الحديث (٧).

(٢) الإمام النووي: ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين النووي، ولد سنة ٦٣١هـ في حوران وتوفي سنة ٦٧٦هـ، هو كان من كبار العلماء ومن أئمة الشافعية والحديث الشريف وله مؤلفات عدة ومن اشهرها شرح صحيح مسلم والاذكار وغيرها من الكتب. ينظر: سير أعلام النبلاء، الجزء ٣، الصفحة ٣٣٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة ٢، الجزء ١٢، الصفحة ١٠٩.

كان من أصحابِ النارِ)[1] وفي هذا الحديث خص النبي ﷺ اليهود والنصارى رغم أن لهم كتباً سماوية أمروا باتباع ما فيها، وفيه كذلك دليل على نسخ الملل كلها برسالة نبيِّنا محمد ﷺ.

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لهم أَجْرَان: رجُلٌ من أهل الكتاب آمن بِنَبِيِّه، وآمَن بمحمد، والعَبْد المملوك إذا أَدَّى حَقَّ الله، وحَقَّ مَوَالِيه، ورجل كانت له أمَة فأدَّبَها فأحسن تَأدِيبَها، وَعَلَّمَهَا فأحسن تَعْلِيمَهَا، ثم أعْتَقَها فتزوجها؛ فله أجران [2].

وفي هذا الحديث جعل الرسول ﷺ أسلوب الترغيب لأهل الكتاب منهجاً في دعوته حيث أخبرهم أن الذي آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ له أجران، وكذلك يرى الكتابي أنه له مزية على المشرك حيث كان للمشرك أجر واحد، فيعلم بذلك أن الإسلام يقدر الأديان السابقة ويرفع من شأنها.

ووفي حديث آخر: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية اغداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال: فباتَ الناس يَدُوكُون ليلتهم: أيُّهم يُعطاها، فلمَّا أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها: فقال: ((أين عليُّ بن أبي طالب؟))، فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه! قال: ((فأرسلوا إليه))، فأُتي به، فَبَصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فَبَرَأ حتَّى كأنْ لم يكن به وَجَعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: ((انفُذ على رَسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتهم، ثمَّ ادْعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، الجزء ١، الصفحة ١٣٥، رقم الحديث ١٥٣٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، الجزء ١، الصفحة ٤٨، رقم الحديث ٩٧.

بما يجبُ عليهم من حقِّ الله فيه، فَوَاللهِ لأَنْ يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يَكونَ لك حُمْرُ النَّعَم))[1].

فقوله ﷺ (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم...) يبيّن لنا أن "المسلم وهو في قلب المعركة داع إلى الله تعالى قبل أن يكون مقاتلاً، والبطل العظيم علي رضي الله عنه يحمل الراية بشهادة رسول رب العالمين يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله تعالى على يديه، ومع ذلك فالدعوة الى الله تعالى هي الأصل والهداية خير من القتل"[2].

ومما سبق نلاحظ كيف كان الخطاب الرفقي رحمة من النبي ﷺ إلى أهل الكتاب، "وعلى هديه سار أصحابه من بعده، وقد اختلط المسلمون بأهل الكتاب من اليهود والنصارى وكان بينهم نقاش كبير، أُمر فيه المسلمون بالتزام الجادة واتباع الطريق الأحسن، وهو إظهار محاسن الإسلام وأثره في اخلاق المسلمين ومعاملاتهم، فذلك خير دعاية له، وقد دخل أهل مكة في الإسلام دون أن يعلو رؤوسهم سيف أو يهددوا بما يلجئهم إلى اعتناق الدين"[3].

---

(١) رواه البخاري في "صحيحه" كتاب المغازي، باب غزوة خيبر بهذا اللفظ، الجزء ٥، الصفحة ١٣٤، رقم الحديث ٤٢١٠، ومسلم في "صحيحه" كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الجزء ٧، الصفحة ٤١٦، رقم الحديث ٢٤٠٦.

(٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٩٠م، الجزء ٣، الصفحة ٨٢.

(٣) الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر، القاهرة، مجمع البحوث الإسالمية، ١٩٨٨م، الصفحة ٩٠.

وأما الحديث الوارد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تبدَأوا اليَهودَ والنَّصارى بالسَّلامِ، وإذا لقيتُم أحدَهُم في الطَّريقِ فاضطرُّوهم إلى أضيَقِهِ)[١].

عن عكرمة عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: (من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً ذلك بأن الله يقول: فحيوا بأحسن منها أو ردوها). وقال قتادة فحيوا بأحسن منها يعني للمسلمين أو ردوها يعني لأهل الذمة)[٢].

أما معنى (إذا كانت لك حاجة فابدأه بالسلام) فبان لهذا أن الحديث (لا تبدءوهم بالسلام) إذا كان لغير سبب مثل جوار أو سفر. وقد روي عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب، وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في الطريق، قال علقمة: يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام؟ قال نعم ولكن حق الصحبة"[٣].

(فاضطروهم إلى أضيقه) (معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراما، وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حرفه حتى يضيق عليهم لأن ذلك أذى لهم وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، الجزء ١، الصفحة ١٦٧، رقم الحديث ١٤٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، الجزء ٤، الصفحة ١٧٠٧، رقم الحديث ٢١٦٧.

(٣) تفسير ابن كثير، الجزء ١، الصفحة ٥٣٣.

(٤) تفسير القرطبي، الجزء ١١، الصفحة ١١٢.

ومما ذكر يتضح أن الحديث قيل في ظروف استثنائية في المدينة المنورة، والأصل هي المعاملة الطيبة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ... ﴾(١).

ولا خلاف في أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة لقوله تعالى في السور المكية: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٢). وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾(٣) وقال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾(٤).

كانت الآيات المكية تحث على العفو والصفح. فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمر بالقتال فنزلت أول آية في القتال، قاله الربيع بن أنس وغيره: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(٥).

لما نزلت هذه الآية كان النبي ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كفَّ عنه حتى نزلت الآية: ﴿ ...وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ... ﴾(٦).

إن الآية الأولى أوجبت قتال المعتدين فقط وليس غيرهم. أما الثانية فأوجبت قتال المشركين وليس أهل الكتاب(٧).

---

(١) سورة العنكبوت: جزء من الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٦.

(٣) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٤) سورة المزمل: الآية١٠.

(٥) سورة البقرة: الآية١٩٠.

(٦) سورة التوبة: الآية٣٦.

(٧) ينظر: جامع البيان، الامام الطبري، الجزء ١٤، الصفحة ٢٣٨.

مما سبق يتضح بأن أهل الكتاب لهم وضع خاص في ظل الإسلام، لذلك كان النبي ﷺ يدعو أهل الكتاب بوجه عام ليشملهم بتلك الدعوة وتارة يخص بدعوته اليهود، وتارة يخص بها النصارى، ولنشرع الآن في بيان أسلوبه – ﷺ – في دعوته أهل الكتاب على ضوء الكتاب والسنة. علماً أن الكتاب والسنة يخرجان من مشكاة واحدة، ألا وهو سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1]، فالسنة إما أن تكون مثبتة ومؤكدة ما جاء في القرآن أو مفسرة ومبينة له أو تأتي بحكم سكت عنه القرآن.

وهكذا، نجد أن الدين الإسلامي اتخذ من كلمة الحق، والكلمة الطيبة منهجاً للتعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد كان تعامل الاسلام الأول مع اليهود بشكل أكبر ، وذلك بسبب وجود اليهود في منطقة الرسول ﷺ ومع ذلك فقد عاملهم بأدب اذا لم يصدر عنهم خسَّة وذلك طبعهم.

(١) سورة النجم: الآيات ٣-٤

المبحث الثاني

منهج الحوار والمحاججة

يعد الحوار أحد أهم صيغ الاتصال لإمكانياته اللفظية وغير اللفظية في تحديد المعاني، وتوسيع مساحة انتقالها بين طرفي الاتصال. و"الحوار أصبح بابا أساسياً في كثير من وسائل الإعلام على اختلاف توجهاتها ورُؤاها ذلك أن الحوار الهادف ينتج فكرا إبداعي وينقب عن مكامن النفس والعقل بالسؤال والمراجعة، ويستخرج من النفس أشياء لم تكن لتخرج تلقائياً دون تحريك بالسؤال أو المحاورة"(١).

المطلب الأول

ماهية الحوار والمحاججة

جاء في لسان العرب: حاججته أُحاجه حجاجاً ومُحاجة حتى حججته أي غلبته بالحُجج التي أُدليت بها، والحجة: البُرْهان، وقيل: الحُجة، الوجه الذي يكون به الظَّفر عند الخصومة، وهو رجل محِجاجٌ أي جَدِلٌ، والتَحاج: التخاصُم، وجمع الحُجة: حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجه محاجةٌ وحِجاجاً: نازعه الحَجَّة ويَحجُه حَجاً: غلبه على حَجتِه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ ... ﴾(٢) واحْتَج بالشيء: أتخذ حُجَّة، قال الازهري: إنما سميت حُجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمَسْلكُ، والحُجةُ: الدليل والبرهان، يقال: حاجَجتُه فأنا

(١) الحوار في السيرة النبوية، السيد علي خضر، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ٢٠٠٩م، الصفحة ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

مُحاج وحَجيُج فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية: فجعلت أُحُج خصمي أي أغلبه بالحُجَّة[١].

وأضاف معجم أساس البلاغة : (حاج خصمه بحُجةٍ، وفلان خصمه مَحْجُوجٌ)[٢]، ومعنى (محجوج) أي مَغلوب والشخص المتكلّم الغالب المحاجج، والسامع المحاجُج المغلوب، أي أنّه اقتنع بحجة المتكلم، وقد ورد لفظ الحجاج في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[٤] ،وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾[٥].

وتناول العديد من العلماء هذا المصطلح فمنهم من يعرفه بقوله:(وهذا العلم من أرفع العلوم قدراً، وأعظمها شأناً، لأنه السبيل الى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا أتضحت محجّة، ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم)[٦].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، الجزء ٢، الصفحة ٢٢٨؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الصفحة ١٥٧.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، الجزء ١، الصفحة ١٦٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٨٠.

(٥) سورة الشورى: الآية ١٦.

(٦) المنهاج في ترتيب الحجاج ،أبو الوليد الباجي، تحقيق، عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي، الصفحة ٨.

أما آخر فعرف الحجاج بأنه: (كل منطوق به موجَّه الى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها)[١]، ومنهم من يجمع في تعريفه للحجاج بين شكل الحجاج والغاية منه فأعتبر الحجاج انه(إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل او العمل على زيادة الإذعان وهو الغاية من كل حجاج، فانجح حجّة هي تلك التي تنجح في تقوية حدّة الاذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه الى المبادرة سواء بالأقدام على العمل أو الاحجام عنه أو هي على الاقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة)[٢].

ويفرق أحدهم بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي أي طريقة عرض الحجج وتقديمها ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجحاً فعالاً وهذا معيار اول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معياراً كافياً إذ يجب ألا تُهمل طبيعة السامع أو(المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه فضلاً عن استثمار الناحية التقنية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه، إما المعنى الثاني فهو المعنى الفني الذي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المُودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الاساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون دَرَجية أو قابلة للقياس بالدرجات أي ان تكون واصلة بين سلالم[٣].

---

(١) اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة ١، ١٩٩٨م، الصفحة ٢٢٦.

(٢) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري، الصفحات ٤٥٦ – ٤٥٧.

(٣) التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صابر الحباشة، دمشق، الطبعة ١، ٢٠٠٨م، الصفحة ٢١.

إن العلامة المستعملة في الحجاج هي اللغة الطبيعية، في الاساس فقد عده(بوبر)[١] من وظائف اللغة الأربع الى جانب كل من الوظيفة الوصفية والوظيفة الإشارية والوظيفة التعبيرية، إذ يستعمل المرسل اللغة بغرض الحجاج ليهيئ الحجج والتفسيرات ويقومها، وليتولد الاقناع عند المرسل اليه بالحجاج فإن اول ما ينصب عليه اهتمامه هو البصر بالحجّة وهو حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجّة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذاً الى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها فيختار المرسل من الحجج ما يناسب السياق، ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها عقل المرسل اليه[٢].

ويجتمع في الحجاج اعتباران أثنان هما: اعتبار الواقع واعتبار القيمة حيث أن الحجاج ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة الى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد، بمعنى أن الحجاج يزدوج فيه طلب معرفة الواقع وطلب الاشتغال بقيمته، وقد توافق قيمة المستدل عليه واقعه فتصادف مقتضياته الحجاجية مقتضياته البرهانية، وقد تخالفها فتصادم مقتضياته الاولى مقتضياته الثانية، والمستدل الحجاجي مُطالب بتحصيل قصدين اَخرين، وهما: قصد العلم بالشيء وقصد العمل به، أما قصد العلم بالشيء فلأن المستدل يحتاج الى البناء على معرفة كافية بالواقع والخلو من هذه المعرفة يجعله إما مغالطاً إن عَلِم بخلوه منها فلا يستحق المحاورة، وإما جاهلاً إن لم يعلم به فينبه على جهله، وأما قصد العمل بالشيء فلأن المستدل يسعى الى الانتفاع بما يعرفه من الواقع وترك العمل بما يعلم بجهله إما متبعاً لهواه فيكون

(١) كار ديموند بوبر: الماني ولد في فينا عام ١٩٠٤م وتوفي في لندن عام ١٩٩٤م.

(٢) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري، الصفحة ٤٥٧.

ذلك دليلاً على نقص في عقله وإما متردداً في سلوكه فيكون ذلك دليلاً على ضعف في إرادته[١].

والخطاب الحجاجي وهو يعرض فكرة ما ويحتج لها إحتجاجاً قد يكون صارماً دقيقاً وقد يفتقر احياناً الى الصرامة والدقة المنشودتين إنما يهدف الى إقناع المتلقي أو اغرائه أو حمله الى الاذعان دون اقتناع حقيقي ونجاعة هذا الخطاب إنما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره إذ إن الحديث عن وضعية ما خارج الخطاب يمكن بتغييرها لا على مستوى الفكر فحسب بل على مستوى الوقائع وهذا يعني حقيقة لا سبيل الى دحضها هي ارتباط الخطاب الحجاجي بوضعية كل من الباث والمتلقي[٢].

فالخطاب الحجاجي غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف ليحدث في نهاية المطاف اثراً واضحاً في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس، وتحقيق هذا التغيير أو التبدل في افكار المتلقي ومواقفه يعد علامة نجاح الخطاب الاقناعي ووجاهة الحجاج المتعمد، أو هو النتيجة المتوقعة لخطاب ناجح وحجاج وجيه ناجع[٣].

لقد جاء الحوار والمحاججة عبر حديث الرسول ﷺ مع أهل الكتاب بحوار هادئ عقلاني مليء بالأدلة والبراهين.

---

(١) اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، الصفحات ٢٣٠ – ٢٣١.

(٢) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، عالم الكتب الحديث، الاردن، الطبعة ٢، ٢٠١١م، الصفحة ٣١.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٣٥.

المطلب الثاني

الحوار والمحاججة في أحاديث النبي ﷺ لأهل الكتاب

إن الله سبحانه وتعالى قد أعطى بعض أنبيائه من البينات (المعجزات) وذلك لتصديقهم فيما جاءوا به. وقد أيد الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام بتسع آيات: العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى – عليه السلام –، وكذلك أعطى عيسى بن مريم – عليه السلام – إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وإبراء الأسقام، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس وهو جبريل – عليه السلام – ما يدل على صدقه فيما جاءهم به.

أما النبي محمد ﷺ فقد كانت معجزته الكبرى القرآن، إلا أنه كان يظهر لأهل الكتاب بعض المعجزات التي كانت تتحقق على يديه علهم يؤمنون به كما آمنوا بأنبيائهم السابقين موسى وعيسى عليهم السلام(١).

روى ابن عباس رضي الله عنهما، أنه حضرت عصابة من اليهود إلى النبي ﷺ فسألوه عن أربعة أشياء لا يعلمهن إلا نبي كما ذكروا له ذلك وهي: الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وماء المرأة وماء الرجل كيف يكون منه الذكر والأنثى، وإخبار هذا النبي الأمي في النوم ووليه من الملائكة، وقد أخذ عليهم النبي ﷺ المواثيق والعهود إذا أجابهم وفق ما يعلمون أن يدخلوا الإسلام، وكانت الإجابة أن يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، الصفحة ٣٠٤.

الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها. والإجابة الثانية أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله. والإجابة الثالثة أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه، فالإجابة الأخيرة أن جبريل هو ولي الرسول ﷺ وجميع الأنبياء(١).

وفي هذا الحديث يبين الرسول ﷺ لأهل الكتاب بعض المغيبات التي لم يحضرها ولم يقرأ عنها وإنما هي وحي يوحى إليه، وأخبرهم بما سألوه عنه طبق ما يعلمون في كتبهم السماوية المنزلة على أنبيائهم ليؤمنن به وليتبعنه. ولكن اليهود حاولوا التخلص من العهد الذي التزموا به مع النبي ﷺ بحجة بغضهم لجبريل عليه السلام، قال تعالى فيهم: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

ومن الأحاديث التي قام النبي ﷺ بالحوار فيها ما رواه ثوبان(٣) مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: (إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي) فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله صلى اهلل عليه وسلم:(أينفعك شيء إن حدثتك؟) قال: أسمع بأذني، فنكت رسول

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب أثم من قتل معاهداً من غير جرم، الجزء ٣، الصفحة ١١٥٥، رقم الحديث ٢٥٩٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٣) ثوبان مولى النبي محمد أو ثوبان النبوي (٥٤ هـ) صحابي، وأحد رواة الحديث النبوي، من سبي من أرض الحجاز، اشتراه النبي وأعتقه، فلزم النبي وصحبه، وحفظ الكثير عنه. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، الجزء ٣، الصفحة ١٥.

الله ﷺ بعود معه، فقال(سل) فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: (هم في الظلمة دون الجسر)، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال(فقراء المهاجرين)، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: (زيادة كبد النون)، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: (ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها)، قال: فما شرابهم عليه؟ قال:(من عين فيها تسمى سلسبيلاً)، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟ قال: (أسمع بأذني)، قال: جئت أسألك عن الولد، قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مّني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله ، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به"[1].

فقد استمع النبي ﷺ لحوار اليهودي على الرغم من أنه ناداه باسمه، ويسأله أسئلة مع ذلك أجابه النبي ﷺ بشكل علمي حتى لأثبت له وباعترافه أنه نبي وليس رجل عادي. وقال عدي بن حاتم[2]: لما بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم وفي رواية: حتى قدمت على قيصر قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه. قال: قلت: والله لو أتيت هذا الرجل

(١) رواه مسلم في "صحيحه"، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة، الجزء ١، الصفحة ١٧٣، رقم الحديث ٣١٥.

(٢) عَدِيّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي (٥٢ ق هـ – ٦٨ هـ / ٥٧٢م –٦٨٧م) هو ابن حاتم الطائي الذي كان يضرب به المثل، في الجود والكرم وقد كان أبوه من أجود وأكرم العرب. تولى عدي رئاسة قومه قبيلة طيء بعد وفاة أبيه في أرض الجبلين أجا وسلمى وهي منطقة حائل حالياً. كان نصرانياً ثم أسلم، وهو من صحابة النبي ﷺ. الطبقات، خليفة بن خياط، الصفحة ٦٩.

فإن كان كاذبا لم يضرني، وإن كان صادقا علمت. قال: فقدمت فأتيته، فلما قدمت، قال الناس: عدي بن حاتم عدي بن حاتم فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: " يا عدي بن حاتم أسلم تسلم " ثلاثا. قال: قلت: إني على دين. قال: " أنا أعلم بدينك منك". فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: " نعم، ألست من الركوسية[1]، وأنت تأكل مرباع قومك؟ " قلت: بلى. قال: " هذا لا يحل لك في دينك". قال: نعم. فلم يعد أن قالها فتواضعت لها. قال: " أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام؛ تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب. أتعرف الحيرة؟ " قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال: " فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز " . قال : قلت: كسرى بن هرمز ؟ ! قال : " نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد " . قال عدي بن حاتم فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ؛ لأن رسول الله قد قالها[2].

عن أنس رضي الله عنه قال: "بلَغَ عبدَالله بن سلَام مَقْدَمُ النبي ﷺ المدينةَ، فأتاه فقال: إني سائلُك عن ثلاث لا يَعلَمُهُنَّ إلا نبيٌّ؛ قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء يَنزِعُ الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: ((أخبَرَني بهذا آنفًا جبريلُ))، قال: قال عبدالله: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: ((أما أول أشراط الساعة: فنارٌ تحشُرُ الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كَبِدِ الحوت، وأما الشَّبَهُ في الولد: فإن الرجل إذا غَشِيَ المرأة فسبَقَها ماؤه كان الشَّبَهُ له، وإذا سبق

(١) الركسوسية: فرقة لها دين ومذهب بين النصارى والصابئيين. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء ٦، الصفحة ١٠١.

(٢) رواه البخاري.

ماؤها كان الشبهُ لها))، قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهُتٌ، إنْ عَلِموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت، فقال رسول الله ﷺ: ((أي رجل فيكم عبدُالله بن سلام؟))، قالوا: أعلَمُنا وابن أعلَمِنا، وأخيَرُنا وابن أخيَرِنا؛ فقال رسول الله ﷺ: ((أفرأيتم إن أسْلَمَ عبدُالله؟))، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، ووقَعوا فيه(١).

كان النبي ﷺ يبين لأهل الكتاب أن كتابه الذي أنزل عليه توافق أحكامه أحكام الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، فإذا تحقق التوافق حينئذ فإنه رسول من عند الله صدقوا برسالته ودخلوا في دين الإسلام.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (إن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ فذكروا أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما تجدون في التوراة في الرجم؟) فقالوا: نفضحهم ويجلدون. قال عبد الله بن سلام كذبت إن فيها الرجم)، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، قال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. قالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة)(٢).

وفي هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أقنعهم أن كتاب الله الذي أنزله على نبيهم موسى عليه السلام يوافق كتابه الذي أنزله في شأن الرجم على نبينا محمد ﷺ وهذا أسلوب لدعوته ﷺ أهل الكتاب لدخول الإسلام.

---

(١) صحيح البخاري، الصفحة ١٣٢، رقم الحديث ٣٣٢٩؛ النهاية في غريب الحديث والأثر (٩١٠) (٦٧٢) (٩٤)؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الجزء ٥، الصفحة ٣٢١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قوله تعالى: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) الجزء ٣، الصفحة ١٥٣٠، رقم الحديث ٣٤٣٦.

عن أبي موسى قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، قال: فبلغ ذلك قومنا، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية فقدمنا وقدما على النجاشي، فأتوه بهديته فقبلها، وسجدوا، ثم قال له عمرو بن العاص: إن قوما منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك، فقال لهم النجاشي: في أرضي ؟ قالوا: نعم، فبعث إلينا فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، قال: فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين، وقد قال له عمرو بن العاص وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، قال: فلما انتهينا إليه زبرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله، فلما انتهينا إلى النجاشي قال، ما يمنعك أن تسجد ؟ قال: لا نسجد إلا لله ، قال له النجاشي ، وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، قال: فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في ابن مريم؟ فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟ قال: يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، قال: فتناول النجاشي عودا من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله والذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة، وقال: ردوا على هذين هديتهما، قال: وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا، وكان عمارة بن الوليد رجلا جميلا، قال: فأقبلا في البحر إلى النجاشي، قال: فشربوا، قال: ومع عمرو بن العاص امرأته، فلما شربوا الخمر قال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتقبلني ، فقال له عمرو: ألا تستحيي، فأخذه عمارة فرمى به

في البحر فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو ذلك ، فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلف عمارة في أهلك ، قال : فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فصار مع الوحش(١).

وهذا يدل على أن أصحاب النبي الكرام ﷺ اتبعوا منهجه في الحوار والمحاججة حتى أسلم النجاشي.

ومن أمثلة الحوار المحاجج عندما تنازع النصارى واليهود أمام الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون(٢).

أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به ، أي يكفر اليهود بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام من تصديق موسى عليه السلام وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه.

وقال أحبار يهود ونصارى نجران، حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى من أهل نجران: ما كان

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه"، كتاب التفسير ، قصة إسلام النجاشي وغلبة وفد المسلمين على الكافرين عنده، الجزء ٢، الصفحة ٣٠٩، رقم الحديث ٣٢٢٧.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، الجزء ١، الصفحة ٥٤٩.

إبراهيم إلا نصرانيا. فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾[1].

حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني، يقال له: الربيس، (ويروى: الريس، والرئيس): أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ . فقال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله، ولا أمرني، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾[2].

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه ، وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) إلى قوله: (من الشاهدين) جحودهم نبوة عيسى عليه السلام قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ نفر منهم: أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر، وخالد، وزيد، وإزار بن أبي إزار، وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؛ فقال رسول الله ﷺ : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى

(١) سورة آل عمران: الآيات ٦٥-٦٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به. فأنزل الله تعالى فيهم: قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون(١). نلاحظ هنا كيف حاور النبي ﷺ اليهود والنصارى وأبطل حججهم وادعاءاتهم الكاذبة.

كان رسول الله ﷺ امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٢). قد أباح لأمته نبائح أهل الكتاب دون باقي ملل الكفر، وهذا يعني إذا كان بين المسلمين وأهل الكتاب مبادلة في التجارة، يحصل الاختلاط بينهم، ولا شك أن هذا مدعاة لدخولهم الإسلام. وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمت فقلت: لا أعطي أحداً اليوم من هذا شيئاً، فقال: فإذا رسول الله ﷺ مبتسم(٣).

في هذا إباحة أكل طعام الغنيمة في دار الحرب، وهنا يعني أن الرسول ﷺ ، وهذا يعني أن الرسول ﷺ أقرّ الصحابي على تصرّفه، ولم ينكر عليه، بل قابل فعله بالابتسام، مما يدلّ على جواز تصرّف المجاهد في بعض أنواع الغنائم قبل قسمتها إذا دعت الحاجة أو رأى فيه نفعًا عاجلاً للجند، لا سيّما في دار الحرب، ما لم يكن في ذلك اعتداء على حقوق الآخرين.

---

(١) السيرة النبوية (ابن هشام)، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، الجزء ١، الصفحة ٥٤٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥.

(٣) انظر فتح البارئ، الجزء ١٠، الصفحة ٣٦١.

ويُستفاد من الحديث كذلك أن الشريعة لم تكن حريصة على التضييق في المعاملات المتعلقة بالحرب إذا انضبطت بالمقاصد الشرعية، كالإعداد للقوة، والتقوية على الجهاد، وقد جاء هذا مقرونًا بسياق إنساني، حيث يُبدي النبي ﷺ تسامحًا وتفهُّمًا تجاه تصرّف الصحابة، فيبتسم لما فيه من طرافة الموقف، دون أن يغلّظ أو يشدّد، مما يعكس بُعد الرحمة واليسر في السلوك النبوي.

كما أنّ الآية الكريمة تُكمل هذا المنهج، حينما أباحت طعام ونساء أهل الكتاب بشروط الانضباط الأخلاقي، لتُشير إلى إمكان التعايش والتواصل الإنساني مع الآخرين، ليس فقط على مستوى التجارة، بل حتى على مستوى المصاهرة، وكلّ هذا يُمهّد نفسيًا واجتماعيًا لقبولهم الإسلام إن اختلطوا بالمسلمين وعاينوا عدالة شريعتهم وفضل أخلاقهم.

خلاصة المبحث هنا : استطاع الرسول ﷺ أن يقنع اليهود والنصارى بدين الإسلام عبر المحاجة العقلية والبراهين والأدلة على صحة دين الإسلام .

المبحث الثالث

المساواة في الحقوق والواجبات

المطلب الأول

خصوصية المساواة في الإسلام

المساواة لغة: مأخوذة من الجذر (س و ي) وتدل على التماثل والتكافؤ والاستواء[١].

المساواة اصطلاحاً: هو معاملة الافراد على قدم التكافؤ في الحقوق والواجبات دون تمييز لا مسوغ له[٢].

مفهوم المساواة في الاسلام

المساواة في الاسلام تعني تساوي الناس في اصل الخليقة والكرامة والانسانية وفي الخضوع لاحكام الشريعة والحقوق والواجبات العامة دون تمييز بسبب الجنس او اللون او العرق او النسب مع اعتبار التقوى والعمل الصالح معيار التفاضل[٣]. وقد اصل القرآن الكريم لمفهوم المساواة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[٤].

وقد قرر المفسرون ان هذه الاية القرآنية هي اصل في تقرير المساواة الانسانية ونفي التفاضل في كل شي[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة سوى، الجزء ١٤، الصفحة ٣٩٦.

(٢) مدخل الى الشريعة الاسلامي، الصفحة ١٣٤.

(٣) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد ابو زهرة، الصفحة ٤١.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الجزء ٧، الصفحة ٣٧٧.

وكذلك اصلت السنة المطهرة لمبدأ المساواة حيث قال رسول الله ﷺ (يايها الناس ان ربكم واحد الا لا فضل لعربي على اعجمي ولا اعجمي على عربي الا بالتقوى)[١].

حقوق اليهود والنصارى في المنهج النبوي:

اولا: الحقوق الدينية

اقر المنهج النبوي حرية الاعتقاد لليهود والنصارى وعدم اكراهم على الدخول في الاسلام وضمان ممارسة شعائرهم الدينية وصيانة معابدهم ماداموا ملتزمين بعهد الدولة الاسلامية[٢]. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٣] وقد نزلت كما ذكر المفسرون في اهل الكتاب وجاء في وثيقة المدينة (وان لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم)[٤]

ثانيا: الحقوق الاجتماعية:

ضمن المنهج النبوي الكرامة الانسانية لليهود والنصارى وأمر بحسن المعاملة والبر والوفاء بالعهد وحفظ النفس والعرض[٥].

---

(١) رواه الامام احمد في مسنده، تحقيق: شعبب الانرؤوط، الجزء ٣٨، الصفحة ٤٧٤.

(٢) ينظر: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميدالله، دار نفائس، بيروت، الصفحة ٦٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٤) احكام اهل الذمة، ابن القيم الجوزية، دار عالم الفوائد، الجزء ١، الصفحة ٢٧٢.

(٥) غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، د. يوسف القرضاوي، الطبعة ١، مكتبة وهبة، الصفحة ٤٥.

قال الرسول ﷺ (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وان ريحها توجد من مسيرة اربعين يوما)[١]. كما قام ﷺ لجنازة يهودي لانسانيته[٢].

وقد قرر العلماء ان هذا السلوك تأسيس لمبدأ التعايش الاجتماعي في المجتمع الاسلامي[٣].

ثالثا: الحقوق الاقتصادية

كفل المنهج النبوي الحقوق الاقتصادية والمالية لليهود والنصارى فأجاز لهم التملك والعلم والتجارة وحفظ اموالهم من الاعتداء قال ﷺ (الا من ظلم معاهداً او انتقصه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[٤]. كما ثبت ان النبي ﷺ تعامل تجارياً مع اليهود ورهن درعه عند يهودي)[٥]

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب اثم من قتل معاهداُ بغير جرم، الجزء ٤، الصفحة ٩٩، رقم الحديث ٦٦١٣.

(٢) رواه البخاي، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، الجزء ٢، صفحة ٨٥، رقم حديث ١٣١١

(٣) المعجم الكبير، للامام الطبراني، الجزء ٣١، صفحة ٨٦.

(٤) رواه ابو داؤود في سننه، كتاب الخراج والامارة والضي، باب في تعشير اهل الذمة، الجزء ٣، صفحة ٢٨٨، رقم الحديث ٣٠٥٢.

(٥) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الرهون، باب رهن النبي درعه، الجزء ٤، صفحة ٨٩، رقم الحديث ٢٤٣٧.

رابعا: الحقوق القضائية:

ارسى المنهج النبوي مبدأ العدل القضائي بين المسلمين واهل الكتاب والمساواة امام القضاء وعدم التحيز الديني في الحكم قال تعالى ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾[1].

وقد حكم النبي ﷺ بين اليهود في قضاياهم وفق العدل واقرهم احياناً على الاحكام الى شريعتهم[2]

اثار المساواة النبوية في التعايش السلمي واستقرار المجتمع:

لقد مثلت المساواة في الاسلام وفق المنهج النبوي احد الركائز الاساسية التي ساهمت في تحقيق التعايش السلمي بين افراد المجتمع واستقرار الدولة وبناء مجتمع متماسك قائم على العدل ومن هذه الركائز[3].

اولا: تعزيز التعايش السلمي:

ارسى النبي ﷺ مبدأ المساواة بين المسلمين واهل الذمة مما ارسى اسساً للعيش المشترك دون نزاعات دينية واجتماعية فقد كفل حقوقهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية وحضر الاعتداء عليهم الامر الذي ازال اسباب الصراع بين المكونات المختلفة[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الجزء ٣، الصفحة ١٢٧.

(٣) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد ابو زهرة، دار الفكر، القاهرة، الصفحة ٤٥.

(٤) ينظر: غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، د. يوسف القرضاوي، الصفحة ٥٢.

ثانيا: تحقيق استقرار المجتمع

تؤكد الدراسات ان المساواة بين الافراد دون تميز كانت سبباً رئيسياً في استقرار الدولة النبوية اذ ان العدل في الحقوق والواجبات جعل كل فئات المجتمع ملتزمة بالقوانين الشرعية وبالعهد وعزز الولاء للمجتمع والدولة وخفف من النزاعات الداخلية(١).

ثالثا: تحقيق العدالة الاجتماعية :

لقد اسس النبي ﷺ مبدأ العدالة الاجتماعية من خلال المساواة في الحقوق والواجبات لا يميز المجتمع بين الاغنياء والفقراء او العرب والاعاجم الا على اساس التقوى والعمل الصالح وهذا المبدأ ادى الى توزيع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية بصورة عادلة مما حدَّ من الفوارق الطبقية المتطرفة(٢)

رابعا: القضاء على العصبية القبلية:

كان من ابرز اثار المساواة اضعاف العصبية القبلية اذ جعل الاسلام الانتماء الى الامة الاسلامية اساساً للتقارب الاجتماعي وترك التفاضل على اساس النسب او القبلية جانباً مع التركيز على التقوى والعمل الصالح كمقياس للتفاضل(٣).

---

(١) ينظر: الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميدالله، دار النفائس، بيروت، الصفحة ٦٥.

(٢) ينظر: احكام اهل الذمة، ابن القيم الجوزية، دار عالم الفوائد، الجزء١، الصفحة ٢٦٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير، دار طيبة، الجزء ٧، الصفحة ٣٧٧.

خامسا: بناء مجتمع متماسك قائم على العدل:

المساواة النبوية اسست للمجتمع الاسلامي المبكر مجتمعاً متماسكاً حيث شعر كل فرد بالانتماء والامن واستقرت العلاقات بين المواطنين وارتفع مستوى الالتزام بالقوانين والاعراف الاسلامية وهو ما يمثل نموذجاً عملياً للعدالة الاجتماعية(١).

تعد المساواة بين الناس على اختلاف الأجناس والألوان واللغات، مبدأ أصيلا في الشرع الإسلامي، ولم يكن هذا المبدأ على أهميته وظهوره، قائما في الحضارات القديمة، كالحضارة المصرية أو الفارسية أو الرومانية؛ إذ كان سائدا تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك، تبعا لوضعها الاجتماعي المتدني.

وكانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، بل إن بعض المجتمعات، مثل المجتمع الهندي، كان يعرف طائفة المنبوذين، وكان محرما على أفراد الطبقة، أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك. وذلك ما نجده في التشريع الإسلامي في مبدأ المساواة بين الناس.

فهي تسوية أصلية بحكم الشرع، ومضمونها محدد، وأساليب تطبيقها واضحة، والجزاء عند مخالفتها قائم، وهو جزاء دنيوي وأخروي.

إن التسوية بين البشر، تعني التسوية بينهم في حقوق الكيان الإنساني، الذي يتساوى فيه كل الناس.

---

(١) ينظر: المجتمع الانساني في ظل الاسلام محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، الصفحة ٤٨.

أما التسوية الحسابية في الحقوق الفرعية التي تؤدي إلى المساواة بين غير المتماثلين، فإنها معنى يختلف عن التسوية في الآدمية التي كرمها الله، والتي تستند إلى مبادئ ثابتة وأصل واضح، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]، فالناس كلهم من نفس واحدة.

ويبين الحديث الشريف هذا الأصل في المساواة: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ[2] [3] هذه قاعدة الإسلام الأصلية في المساواة، كما تحددت في آيات القرآن الكريم، وبينتها السنة المشرفة.

وحينما تختلف أحوال الناس، وأوضاعهم، وتختلف أزمنتهم وأمكنتهم، ويوجد التنوع في الأجناس والألوان واللغات، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والعلم والجهل، ويختلف الموقع الاجتماعي والاقتصادي بين الناس، حينذاك تفرض المجتمعات معايير للتفاضل بين الناس، إزاء هذا التنوع والاختلاف.

ولا بد من وضع معيار للتفاضل؛ لأن المساواة المطلقة لا تكون إلا في الكيان الإنساني، والمشكلة تبدأ عند وضع هذا المعيار، بحيث لا يخل بمبدأ المساواة في ذاته، ويجعل التفاضل وسيلة نمو ورقي، وليس ذريعة للظلم والتفرقة بين الناس.

---

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) عون المعبود، أبواب النوم، باب في التفاخر بالأحساب، العظيم آبادي – محمد شمس الحق العظيم آبادي، الجزء ١٤، الصفحة ١٨، رقم الحديث ٥١١٦.

(٣) رواه أبو داود في سننه: كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب، الجزء ٥، الصفحة ٢١٣.

وهذا ما جاء في الشرع الإسلامي، فقد ترك كل المعايير السائدة للتفاضل، كالقوة والضعف، والموقع الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان، أو الجنس واللون(١).

فكل هذه المعايير، كانت قائمة في المجتمعات القديمة، حتى أنكر بعض الفلاسفة الأقدمين، مبدأ المساواة ذاته، مثل أفلاطون الذي قرر أن بعض الناس خلقوا؛ للحكم والسيطرة، وبعضهم خلق؛ لكي يكون محكوما يعمل من أجل غيره(٢).

وجاء في الإسلام معيار للتفاضل، يتساوى أمامه الخلق جميعا على اختلاف الأجناس والألوان، والحرية والعبودية، إنه معيار التقوى، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(٣).

إن معيار التفاضل هنا، يستطيع الارتقاء إليه كل البشر، ولا يقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها بعضا، وهو معيار يدفع إلى الرقي والسمو بالإنسان. وقد هدم الدين الإسلامي بهذا المعيار الحقيقي الذي يرتقي بحياة الإنسان والمجتمع، كل المعايير الزائفة، التي أشار القرآن الكريم إلى الكثير منها. وإن معنى المساواة ان كل إنسان له حقوق وعليه واجبات، وهي حقوق وواجبات تكاملية، تصلح بها حياة المجتمع(٤).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، الجزء ٧، الصفحة ٣٧٦.

(٢) ينظر: افلاطون الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة العامة للكتاب.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٤) ينظر: سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق، الجزء ٦، الصفحة ٣٣٤٨.

وفي الإسلام تسوية بين البشر في الكيان الإنساني، فالكرامة الإنسانية هي للآدمي، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(١). ومال المعاهد والذمي، لا يحل للمسلم إلا برضاه، وعرضه مصون في المجتمع الإسلامي(٢).

ويمكن للذمي أن يعيش في المجتمع الإسلامي آمنا على نفسه وماله وعرضه، بل ويتمتع بالبر الإحسان، كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ حين أعطى شيخا من شيوخ أهل الذمة من بيت المال، لما رأى حاجته، وعجزه عن الكسب (٣).

وكل ذلك من آداب التسوية بين الناس وقواعدها العامة، وهي مستمدة من قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٤).

تلك من أهم صور المساواة التي جاءت في الإسلام أصولها ومفاهيمها، في قضايا مهمة من قضايا البشر: التفرقة العنصرية بسبب اللون أو الجنس، وقضية المرأة وحقوقها في المجتمع الإسلامي، وقضية التسوية بين الحاكم والمحكوم، والعدل والمساواة في التعامل مع الذميين(٥).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) ينظر: شرح الإمام النووي لصحيح الإمام مسلم، دار احياء التراث العربي، بيروت، الجزء ١٢، الصفحة ٨٤.

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة للإمام ابن القيم، ، طبع دار العلم للملايين بيروت، الجزء ١، الصفحة ٣٨.

(٤) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي، باب القضاء، الصفحات ١٢١-١٢٣.

ولم تكن قواعد المساواة تلك، معروفة في المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام.

والحق في اللغة عدة معان يرجع معظمها إلى الثبوتِ والوجوبِ، فالحَقُّ: من أسماء اللهِ تعالى، أو من صِفاتِهِ، ويطلق على القُرْآنُ، وهو ضِدُّ الباطِلِ، وهو الأمر المَقْضِيُّ، ومن ويطلق على (والعَدْلُ، والإِسْلامُ، والمالُ، والمِلْكُ، والمَوجود الثابِتُ، والصِدْقُ[١]. فتقول: حقَّ الشيءُ حقا أي وجبَ.

ومما يلفت النظر: أن القرآنَ استعمل لفظة الحقَ وما اشتق منها للتنبيه إلى يوم القيامة، كما استعمله في بيان الحقوق المالية للفقراء على الأغنياء؛ فالحاقة اسم ليوم القيامة سميت بذلك لأن فيها حواق الأمور، والجمع حِقاق وحُقوق، ومنه قوله تعالى: ﴿ ... وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢] ، كما جاء في القرآن: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [٣]، فالحق في القرآن ذو مفهوم اجتماعي وهو يستند إلى أساس ديني من الإيمان بالغيب، وهذه نقطة فارقة بين أساس الحق في الفكر الغربي والفكر الإسلامي. وتطلق لفظة الحق بمعنى الإحكام والإتقان ، فتقول: ثوب مُحقَّقٌ إذا كان مُحكمَ النسيج[٤].

وفي **اصطلاح الفقهاء وعلماء الأصول** تجدُ تعريفاتٍ متعددة في ألفاظها، إلا أنها كلها ترجع إلى المعنى اللغوي، فقد عرفه الجرجاني[٥] بأنه " الحكم المطابق للواقع،

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، مادة حق.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٣) سورة المعارج: الآية ٢٤.

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ت:(٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الجزء ١٠، الصفحة ٥٥.

(٥) اسمه علي بن محمد بن علي وقيل علي بن علي بن الحسن، ولكن الأول هو المعروف، عمره سبع وسبعون سنة.

وهو يطلق على الأقوال، والعقائد، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك "[١]. وكذلك عرفه عبد العزيز البخاري من علماء أصول الفقه[٢] بقوله: " الحق : الموجود من كل وجه الذي لا ريب في وجوده "[٣]. وهذان التعريفان كما ترى لا يخرجان عن المعنى اللغوي.

الواجب هو مصطلح يحمل معنى الالتزام الأخلاقي أو التعهد والالتزام لشخص ما بشيء ما. وينبغي أن يتحقق الالتزام الأخلاقي في التصرفات فهو ليس مسالة شعور غير فعال أو مجرد تقدير ولكن عندما يدرك الشخص ما هو واجب عليه فعله، فهو يسعى لتحقيقه دون النظر لمصلحته الشخصية، وهذا لا يعني أن العيش بأسلوب «الواجب» يحول دون التمتع بحياة الرفاهية ولكن يستلزم الوفاء به غالباً بعض التضحيات المباشرة بالمصلحة الشخصية، وعادة ما ترتبط مطالب العدالة والشرف والسمعة بمعنى الواجب ارتباطًا عميقًا[٤].

المطلب الثاني

المساواة في المنهج النبوي

ومن صور المساواة في الحقوق والواجبات في المنهج النبوي مع اليهود والنصارى أن الرسول ﷺ أعطى لهم الأمن ولكنهم غدروه؛ قَدَّم رسول الله ﷺ علي بن

---

(١) الجرجاني: علي بن محمد بن علي: التعريفات، ت:(٨١٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، الجزء ١، الصفحة ١٢٠

(٢) هو عبد العزيز بن أحمد بن علاء الدين البخاري، فقيه حنفي من علماء الأصول، من أهل بخارى، من تصانيفه " شرح أصول البزدوي " توفي سنة ٧٣هـ. الأعلام، الجزء ٤، الصفحة ١٢٧.

(٣) كشف الأسرار على أصول البزدوي، عبد العزيز البخاري.

(٤) ينظر: كتاب الواجب، محمد الهلالي عزيز لزرق، الصفحة ١٦.

أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار على بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً[1] وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه[2].

والسبب في هذه الغزوة: غدر يهود بني قريظة بالمسلمين أثناء حصار الكفار للمدينة المنورة، وقد سعوا إلى التعاون مع الكفار من أجل الهجوم المزدوج على الرسول والمسلمين، بل السعي إلى أخذ النساء والذراري من حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه رهينة لإذلال المسلمين بعد ذلك. وقد كان عقاب هؤلاء بعد حصارهم أن يحكم فيهم زعيم الخزرج سعد بن معاذ، وقد ظنوا أنه حليف سابق لهم، ولكن سعد رضي الله عنه حكم فيهم أن: يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال. فقال الرسول ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات[3].

ونفس الأمر ينطبق على يهود خيبر، فقد كانت وكر الدس والتآمر، فأهلها حزبوا الأحزاب، وحرضوا سابقًا بني قريظة على الغدر والخيانة، واتصلوا بالمنافقين

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ٢، الصفحات ٢٣٣-٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ٢٣٥.

(٣) ينظر: نيل الاوطار وكتاب الجهاد والسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الجزء ٨، الصفحة ٦٣.

وبغطفان وأعراب البادية ضد المسلمين، ووضعوا خطة لاغتيال الرسول ﷺ وإزاء ذلك حاصرهم الرسول، فسقطوا مهزومين، ما بين قتلى وأسرى(١).

تعامل معهم الرسول بكل أمانة وعهد، وتشهد على ذلك وثيقته الموقعة معهم، والتي فيها من العهود والأمانات الكثير ومن أهم بنودها: أنهم مع المؤمنين أمة واحدة، ولكل فئة دينها، وحقها في إقامة شعائرها، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وبينهم النصح والإرشاد، والنصر للمظلوم، واليهود متفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وبينهم النصر على كل من يداهم يثرب، وعدم حماية الظالم والآثم من الجانبين(٢).

مادامت الأمور بهذه الوضوح، والبنود مدونة، والصحف شاهدة، فلماذا غدر اليهود بالمسلمين؟ ولماذا يهاجم الرسول الذي تصرف معهم بمنطق رئيس الدولة الذي يحمي دولته من تهديدات أقلية وافدة عليها، إن سائر أحداث الغزوات يسبقها: تآمر من اليهود ضد شخص الرسول، أو ضد أحد المسلمين أو المسلمات، أو تحالف مع الأعداء للهجوم على الرسول. لقد طبّق عليهم الرسول ﷺ حكم الله تعالى في القرآن الكريم، جزاء نكالاً على ما قدموه(٣).

ومن المساواة بين أهل الكتاب والمسلمين توجيه الدعوات لهم من أحب الدخول إلى الإسلام. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم يا معشر يهود إسلموا تسلموا فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال ذلك أريد، ثم قالها الثانية، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة،

---

(١) الرحيق المختوم، الصفحات ٣٣٤- ٣٤٤؛ السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ٢. فتح خيبر.

(٢) زاد المعاد، الجزء ٢، الصفحات ١٠٢-١٠٣؛ ابن هشام، الجزء ، بنود معاهدة الرسول مع بني عوف.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ١، الصفحة ٩٧٦.

فقال: إعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني إريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله)[1].

والظاهر أن هؤلاء بقايا من اليهود تأخروا بعد إخراج قبائل اليهود الثلاثة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، لأن القبائل الثلاثة أجليت من المدينة قبل إسلام أبي هريرة رضي الله عنه[2].

في هذا الحديث تصريح منه ﷺ لليهود بالدعوة وإخباره لهم أن سلامتهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة في إسلامهم واتباعهم لما جاء به من عند الله، أي تسلموا في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب.

وقد أخذ ﷺ الاعتراف من اليهود بأنه بلغهم رسالته، وهذه دلالة على دعوته الخاصة لهم.

ومن الأحاديث التي تدل على عدم التفريق واعطاء اليهود حق التعبير عن نفسه، أنه حدث في (المدينة) أن سطا رجلٌ معروف بالإسلام (يدعى طُعْمةَ بنَ أُبَيْرِقٍ) على أهل بيت من المسلمين، وسرق منهم درعًا ثم خبَّأها عند يهودي.

وبحَثَ أصحاب الدرع عنها فوجدوها في بيت اليهودي، فاتهَموه بأنه سارقها، وذكر اليهودي أنه أخذها من (طعمة) وديعةً، وأنه بريء من أية ريبة تتجه إليه! وكانت القرائن تتضافر على اتهام اليهودي؛ فالدرع عنده، ثم هو يهودي! و(طعمة) يحلف أنه ما أخذ الدرع، ولا استودعها أحدًا.

وقد ذهب قومُه إلى الرسول يطلبون منه أن ينصُرَ رجُلَهم؛ لأنه مسلم ظاهر البراءة وخصمه يهودي. والقضية أمام الرسول غامضة؛ فهو لم يؤتَ معرفة الغيب:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإكراه، باب بيع المكره، الجزء ٦، الصفحة ٢٥٤٧، رقم الحديث ٦٥٤٥.

(٢) فتح الباري، الجزء ٦، الصفحة ٢٧١.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ... ﴾[1] ولـــــــم تتكشف له طبائعُ النفوس وخفاياها البعيدة؛ فهي مما استأثر الله بعلمِه، وقد جاء قوم (طعمة) يجادلون عن صاحبهم، ويطلبون من الرسول أن يخاصِم دونه، وأن يأخذ اليهوديَّ بالعقاب، وأن يدع القضية تمرُّ بظواهرها الغريبة دون مزيد من البحث والاستقصاء.

فإذا بالوحي ينزل كاشفًا الغطاءَ عن الحقيقة المخبَّأة، مبرِّئًا ساحة اليهودي المحرج، دامغًا خَصْمَه بأنه خائن أثيم، وإنْ تَظاهَرَ بالإسلام، مؤنِّبًا قومَه؛ لدفاعهم عنه وسعيهم لدى الرسول كي يدافع عنه ضد اليهودي.

وبدأت الآيات الكريمة بخطاب الرسول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ... ﴾[2]. فالقرآن مَظهَرُ الحق وجوهره، والحكم به لإقرار الحق بين الناس قاطبة، والناس أمام الحقِّ سواسية، يهودًا كانوا أو نصارى أو مسلمين.

فإذا خان رجل يَدَّعي الإسلام، فلن يكون أهلًا لتأييد الرسول له، ولو كان ضد يهودي أو نصراني أو مجوسي.

ومن ثم يقول الله له: ﴿ ... وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴾[3].

ثم يتوجه كتاب الله (القرآن) باللوم والتقريع إلى قوم السارق، الذين حَسِبوا الإسلامَ عصبيَّة عمياءَ، والذين توهَّموا أنه ما دام في القضية يهوديٌّ فعليه أن يَحمِل الوِزْرَ، ولو كان

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٥.

(٣) سورة النساء: الآيات ١٠٥ – ١٠٧.

مظلومًا؛ فيقول الله لهؤلاء المسلمين الظالمين: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

ثم يتجه الوحي إلى السارق بالنصيحة؛ كي يرجع عن غيه، ويتوب من ضلاله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2]. ويحذِّره ويحذِّر غيره من المسلمين ألا يرَمْوُا بالتهم جزافًا. فإن إسناد الجرائم إلى الأبرياء إثمٌ كبير، مهما كانت أجناسهم ودياناتهم؛ فإن السيئة تقع على رأس مرتكبها وحده. ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾[3]. ويعود الوحي الكريم مرة أخرى ينبِّهُ الرسول إلى التيقظ لألاعيب الخصوم وكيد المتقاضين؛ فإنهم قد يَلبِسُونَ الحقَّ بالباطل، وفي سبيل النجاة بأنفسهم وإهلاك أعدائهم يُضلِّلون القضاء، ويُحيِّرون القضاء: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[4][5].

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٠٨-١٠٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٣) سورة النساء: الآيات ١١١- ١١٢.

(٤) سورة النساء: الآية ١١٣.

(٥) الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ)، دار النهضة، مصر، الصفحة ٣٨.

ومن حقوقهم أن النبي ﷺ كان حليماً معهم إن الحلم عن أهل الكتاب والصفح عن زلاتهم ولين الجانب معهم أسلوب حكيم من أساليبه ﷺ لهم وسبب في دخولهم الإسلام، وقد امتثل ﷺ أمر ربه حيث أمره بذلك في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

وفي الآية خطاب للمؤمنين عند مقدمهم قبل واقعة بدر تسلية لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وأمراً لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يأتي فرج الله. قال ابن حاتم إن أسامة بن زيد قال: (كان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم)[2].

وفي آية قرآنية أخرى يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال حتى يأتي أمر الله من النصر أو الفتح[3].

قال تعالى في المعنى السابق: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب باب كنية المشرك، الجزء ٥، الصفحة ٢٩٣، رقم الحديث ٥٨٥٤.

(٣) تفسير ابن كثير، الجزء ١، الصفحة ١٥٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

ومن حلمه ﷺ على أهل الكتاب أنه استلف تمراً من يهودي إلى أجل معلوم، فخرج رسول الله ﷺ في جنازة، فلما وضع الميت في قبره قام اليهودي فقال: يا محمد ألا تقضيني تمري؟ فو الله ما أعلمكم يا بني عبد المطلب إلا تمطلون الناس بحقوقهم. فهمَّ عمر رضي الله عنه بضرب اليهودي، فقال له ﷺ: يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج، أن تأمره فيحسن طلبه، وتأمرني فأحسن قضاءه. ثم أمره أن يذهب إلى حائط أحد الأشخاص وأن يكيل له بعد رضائه ثم يزيد كذا صاعاً لتعنيف سيدنا عمر إياه. فقال اليهودي لعمر: إنه لم يكن بقي شيئ مما وجدنا في كتابنا مما وصف لنا موسى عليه السلام، إلا قد رأيناه في محمد ﷺ ، إلا الحلم فقد رأيناه الآن، فشهد شهادة الحق وآمن، ثم مات اليهودي فخرج النبي ﷺ فحمل سريره على عاتقه الأيسر رغم تجاوز هذا اليهودي في سبه ﷺ ثم سب بني عبد المطلب جميعاً، وطلب دينه في وقت غير مناسب، إلا أنه ﷺ كان حليماً بهذا اليهودي، لذلك كان رد الفعل إسلامه الفوري. وهذا أسلوب حكيم للرسول ﷺ مع أهل الكتاب لدعوتهم لدخول الإسلام(١).

وكذا كان رسول الله ﷺ يحب موافقتهم في الأمور التي لم يؤمر فيها بشيء، وذلك تألفاً واستعطافاً لهم على هذا الدين الحنيف، ذلك لأنهم إذا رأوه يتعبد بالأحكام التي يعلمون أنها تشريع سماوي أنزله الله على نبي من أنبيائه كتعبده بما يتفق مع ما في التوراة المنزلة والإنجيل، عملوا أن مصدر التشريع الذي عندهم والذي عنده واحد هو الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك يجب أن يراجعوا أنفسهم فيما هم عليه من التكذيب والعناد والجحود، فيؤمنوا بمحمد ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسئلوا عن ذلك فقالوا: (هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، الجزء ١، الصفحة ٤٢٦.

إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له)، فقال رسول الله ﷺ : (فأنا أحق بموسى منكم) فصامه وأمر بصيامه)[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق النبي ﷺ رأسه[2].

وفي هذا الحديث اتضح أن النبي ﷺ وافق أهل الكتاب في أفعالهم حتى يخالف أهل الأوثان، فلما أسلم أهل الأوثان الذين معه والذين حوله واستمر أهل الكتاب على كفرهم تمحضت المخالفة لأهل الكتاب ثم فرق ﷺ رأسه[3].

فلهم حقوق وهي حق ممارسة شعائرهم، حق الزيارة: كان يزور مريضهم فقد ثبت عن أنسٍ بن مالك أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ أصابه مرض، فعاده النبي وجلس عند رأسه وطلب منه أن يسلِم، فنظر الغلام إلى أبيه، فأمره أبوه أن يطيع أبا القاسم فأسلم الغلام، فحمِد النبي الله –تعالى– على أنه أنقذه من النار. أخرج البخاري في صحيحه: (كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ ﷺ، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ[4].

حق التعامل: كان يقبل الهدية منهم ولا يردهم صح عن عبد الرحمن بن عوف بأن امرأةً يهوديةً أحضرت شاةً للنبي ﷺ ؛ مسمومةً فأكل منها، ولم يردها حتى

---

(١) رواه البخاري، باب إتيان النبي ﷺ حين قدم المدينة، الجزء ٢، الصفحة ١٤٣٤، رقم الحديث ٣٧٢٧.

(٢) رواه البخاري باب صفة النبي ﷺ الجزء ٢، الصفحة ١٣٠٥، رقم الحديث ٣٣٦٥.

(٣) ينظر: عمدة القارى، بدر الدين ابو محمد العيني، الجزء ١٦، الصفحة ١١١.

(٤) رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أنس بن مالك، الجزء ٢، الصفحة ٩٤، رقم الحديث ١٣٥٦.

نزل الوحي يحذره منها: (كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقبَلُ الهديَّةَ، ولا يأكلُ الصَّدقةَ، زادَ فأهدت لهُ يهوديَّةٌ بخيبرَ شاةً مَصليَّةً سمَّتْها؛ فأكلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ منها وأكلَ القومُ فقالَ ارفعوا أيديَكُم فإنَّها أخبرتني أنَّها مسمومةٌ. (فماتَ بِشرُ بنُ البراءِ بنِ معرورٍ الأنصاريُّ؛ فأرسلَ إلى اليهوديَّةِ: ما حملكِ على الَّذي صنعتِ؟ قالت: إن كنتَ نبيًّا لم يضرَّكَ الَّذي صنعتُ، وإن كنتَ ملِكًا أرحتُ النَّاسَ منكَ).[1]

كان يعفو ويصفح وقد ظهر ذلك في عفو النبي ﷺ عن اليهود الذين قالوا: "السام عليك"؛ تأليفاً لقلوبهم، وحرصاً على دعوتهم إلى الإسلام[2].

كان يتعامل معهم بالأمور المالية فيشتري منهم، ويتداين منهم؛ حتى إن النبي ﷺ عندما توفي كانت درعه مرهونة عند يهودي[3]. كان يتواضع معهم كما هو حال النبي ﷺ مع جميع الناس؛ هيناً ليناً، متواضعاً سمحاً، مع من عرفه ولم يعرفه؛ فكيف حاله مع أعداء الإسلام الذين يرجو ﷺ إسلامهم؟.

تعامل النبي مع النصارى كان للنصارى أيضاً الحق في ممارسة شعائرهم الدينية، وعدم إكراههم على الدخول في الدين الإسلامي، وعقد المعاهدات معهم؛ مثل المعاهدات مع نصارى نجران، ومع نصارى جرباء وأذرح حيث يأمنون فيها على أنفسهم وأموالهم من الاعتداء[4]، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعترف بالصفات الحسنة التي عند بعضهم؛ مثل ما كان في حق النجاشي ملك الحبشة؛ فقد طلب عليه

---

(١) رواه أبو داود، باب فيما سقا رجل سما، الجزء ٤، الصفحة ٤٢٢، رقم الحديث ٤٥١١.

(٢) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن وهف القحطاني، الصفحة ٥١٦.

(٣) رواه البخاري، كتب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي، الجزء ٤، الصفحة ٤١، رقم الحديث ٢٩١٦.

(٤) سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، عبد العظيم المطعني، الصفحة ١٦٧.

الصلاة والسلام من أصحابه طلب النصرة واللجوء إليه وهو نصراني، وأخبرهم بأنّه ملكٌ عادل[1].

وهكذا لقد استطاع الرسول ﷺ أن يساوي ويعطي لأهل الكتاب حقوقاً لا تقل عن حقوق المسلمين ولم يكن من واجباتهم سوى المعاهدة على عدم القتال.

ما قام به الرسول ﷺ من خطاب وجهود لنشر الإسلام بين أهل الكتاب كان إعلاماً منصرفاً بلغة العصر الحاضر، ودعوة بلغة المسلمين في عصره ﷺ. وليست حرية العقيدة في السنة النبوية سوى مثال على التسامح مع جميع أتباع الديانات، فالتحول إلى الإسلام كرهاً لا يجوز.

(١) مجموعة من المؤلفين مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الصفحة ١٩٦٤.

المبحث الرابع

آفاق المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب في المجتمعات المعاصرة

المطلب الأول

أسس المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب وانعكاساتها في الواقع المعاصر

لقد أسّس النبي ﷺ منهجًا فريدًا في الحوار مع أهل الكتاب، اتسم بالدعوة بالحكمة، واحترام المخالف دون تفريط في ثوابت الدين، وكان هذا ظاهرًا في ممارساته اليومية، وفي مواقفه التشريعية. فقد كان ﷺ يُجالس أهل الكتاب، ويُجيب على أسئلتهم، بل دعاهم بالحسنى إلى الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ (١).

تُجسّد أسس المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب اليوم عبر العديد من المبادرات والجهود التي تهدف إلى بناء جسور التفاهم والتعايش بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، بما يحفظ الهوية الإسلامية ويحترم الآخر. فمثلاً، الاعتراف الشرعي بوجود الآخر الديني يتجلى في الوثائق والمبادرات الرسمية، مثل "وثيقة الأخوة الإنسانية" التي تجمع بين كبار ممثلي الأديان، والتي تُعزز من قيم الاحترام المتبادل والعيش المشترك(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) سنة الله، ياسين عبد السلام، مطبعة النجاح الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، الصفحة ١٣.

أما مبدأ الرفق واللطف في الحوار، فيبرز في اللقاءات المجتمعية التي ينظمها العلماء والدعاة، حيث تتسم الخطابات بالهدوء والبعد عن الخطاب العدائي أو الاستعلائي، مما يهيئ الأجواء لنقاشات فكرية وثقافية بناءة(١).

كما يطبق اليوم مبدأ الدعوة إلى كلمة سواء من خلال التركيز على القواسم المشتركة، مثل القيم الإنسانية والأخلاقية، التي تشكل أرضية صلبة للحوار، بعيدًا عن الجدالات العقيمة التي تزيد من التوترات(٢).

في نفس الوقت، تُراعى حرية الاعتقاد والاختلاف من خلال احترام الحريات الدينية، وعدم اللجوء إلى الإكراه أو الضغط، وهو ما يعكس الروح الحقيقية لمنهج النبي ﷺ في التعامل مع أهل الكتاب.

ويُضاف إلى ذلك، أن الحوار المعاصر يعتمد على الحكمة والبرهان، عبر تقديم معلومات صحيحة وموثوقة، واستخدام وسائل التعليم والتثقيف الحديثة، لتقريب وجهات النظر وتعزيز الفهم المشترك.

بالتالي، فإن تطبيق هذه الأسس النبوية في عصرنا يساهم في ترسيخ قيم التعايش السلمي، ومحاربة التعصب والكراهية، وبناء مجتمع متماسك قائم على الاحترام والعدل.

وقد روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "لما قدم وفد نجران على النبي ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر، وكانوا ستين راكبًا، فحضرت صلاتهم، فقاموا يُصلّون في مسجده، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم"(٣).

---

(١) سنة الله، ياسين عبد السلام، المرجع السابق، الصفحة ١٣.

(٢) الإسلام والقومية العلمانية ياسين عبد السلام، مصر دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية الطبعة الثانية ١٩٩٥م، الصفحات ٣٥ و٣٧.

(٣) رواه البخاري تعليقًا، ووصله البيهقي في دلائل النبوة، الجزء ٥، الصفحة ٣٨٩.

وفي هذا إقرار منه ﷺ بحرية المعتقد في السلوك المدني، ونموذج عملي في التعايش السلمي والتسامح، مما يُعدّ مرجعية في الحوار المعاصر.

وقد أكّد ﷺ مبدأ الإنصاف والرحمة في التعامل مع غير المسلمين، فقال: «ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»(١). فهو بيان نبوي واضح يحظر الظلم باسم الدين، ويُرسي قاعدة العدالة في المجتمعات المختلطة دينيًا.

وفي ضوء هذا المنهج، انطلقت في العصر الحديث العديد من المبادرات التي تحاكي هذا النموذج النبوي، مثل نشاط مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا، ومركز الدعوة إلى الإسلام في كندا، حيث يُقام الحوار بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى حول قيم السلام والعدل والأسرة، ويتبنّى الدعاة أسلوب الدعوة بالحكمة والخلق، كما أوصى الله تعالى نبيّه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾(٢).

وقد أسلم على أيدي هؤلاء الدعاة مئات من الغربيين تأثرًا بموقف حسن، أو خلق نبيل، لا بجدال فلسفي أو خطاب متوتر، وهذا أبلغ شاهد على فاعلية المنهج النبوي في السياق المعاصر.

---

(١) رواه أبو داود، رقم الحديث ٣٠٥٢، وصححه الألباني.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

المطلب الثاني

أمثلة معاصرة على نجاح المنهج النبوي في الحوار مع أهل الكتاب والدعوة بالحكمة

ومن أبرز النماذج المعاصرة التي جسّدت المنهج النبوي في الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والخلق الحسن، تجربة الداعية الأمريكي يوسف إستس (Yusuf Estes)، وهو قس سابق اعتنق الإسلام في أوائل التسعينيات، ثم أصبح من أشهر الدعاة إلى الإسلام في الغرب. وقد أكّد في لقاءاته ومحاضراته أن السبب الرئيسي الذي قاده إلى الإسلام لم يكن الجدل العقلي أو الحوار اللاهوتي، بل المعاملة الأخلاقية الصادقة التي شاهدها من أحد المسلمين، وكان يعمل معه، حيث رأى فيه صدقًا وأمانةً وتواضعًا، ما دفعه إلى التساؤل بجدية عن هذا الدين.

وقد قال في أحد حواراته: "عندما رأيت كيف يتعامل المسلم مع عائلته ومعي، وكيف يصلّي لله وحده بإخلاص، بدأت أفكر: لماذا لا أفعل مثله؟"[١]. ويؤكد هذا النموذج أن الدعوة الفعالة في المجتمعات الغربية لا تنجح بالصوت العالي أو الصدام، بل بالخلق النبوي، كما قال ﷺ: «إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[٢]. وهذا ما يتطلب من المسلم المعاصر أن يكون قدوة سلوكية قبل أن يكون محاورًا لفظيًا، وأن يقدّم صورة عملية لما تحمله تعاليم الإسلام من عدل ورحمة وسماحة، كما كان حال النبي ﷺ مع أهل الكتاب في المدينة.

---

(١) ينظر: الموقع الرسمي للداعية يوسف إستس: https://www.yusufestes.com

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم الحديث ٢٧٣.

خلاصة الفصل:

حاول الفصل دراسة المنهج النبوي العظيم في التعامل مع أهل الكتاب إن مهمة الرسول ﷺ في خطابه هي مهمة بلاغ وإعلام، تقوم على الحوار والإقناع وتعتمد على الكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى.

أعطى النبي ﷺ مثَّال أعلى لمعاملة أهل الكتاب، فقد كان من خطابه لهم أنه يعود مرضاهم، ويزورهم، ويكرمهم، وكان يقترض منهم... وفعله هذا تعليم وإرشاد لأمته. النبي ﷺ حرص كل الحرص على احترام أهل الكتاب والحفاظ على حقوقهم. وتعددت مهارات الاتصال التي مارسها النبي صلى اهلل عليه وسلم في خطابه أهل الكتاب من كتابة ومخاطبة وحوار وإقناع وفعل.

إن الناظر في الأسلوب النبوي، يلاحظ تنوع الاسلوب الخطابي الموجه لأهل الكتاب، وهذا ما يدل على عمق وتنوع الخطاب النبوي وأنه خطاب عالمي.

لقد استطاع النبي أن يكسب احترام أهل الكتاب واستطاع إقناعهم بأن الإسلام دين الحق البين وما إنكارهم لذلك سوى لأنهم تمسكوا بالخطأ عن دراية.

الفصل الثالث

المنهج النبوي في استيعاب ملوك الأمم

المبحث الأول: المضامين الاستيعابية في الرسائل العالمية.

المبحث الثاني: المواصفات الدبلوماسية للرسل والمبعوثين.

المبحث الثالث: التوقيت النبوي في ارسال الرسائل والمبعوثين.

توطئة:

سعى الرسول محمد ﷺ إلى نشر الدعوة الإسلامية، متبعاً الأساليب جميعها، وكما كانت دعوته إلى المشركين والمنافقين منهجاً تربوياً وتعليمياً وأخلاقياً، فإن دعوته إلى ملوك الأمم لا تقل أهمية عمّا سبق؛ لأن فيها انتقلت الدعوة إلى مستوى عالميّ.

وفي الواقع، تعد رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء نقطة تحوّل في سياسية دولة الرسول الخارجية، مما عظم من شأنها، وصار لها مكانة دينية وسياسية، وكل ذلك يجب أن يكون منهجاً للتعامل.

لم يكن في رسائل النبي ﷺ التهديد بالقوة العسكرية أو بالتهديد، كانت الرسائل موجهة نحو الضمير والعقل، كانت رسائل تهز من الداخل وتغزو من العمق، فليس هناك من يستطيع اليوم تهديد هرقل أو كسرى، لكنها رسالة الإسلام التي لا تعرف حدوداً[١].

وفي الواقع فإن للملوك خصوصية في الفكر الإسلامي، وذلك لأن كلمة المُلك مأخوذة من الفعل مَلَكَ، والذي يعني احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد والتصرف فيه[٢]. أمّا بالنسبة إلى تعريف المَلك في مفهوم القرآن، فقد وجد العلماء أنّه هناك عدة تعريفات للملك عند الفقهاء والمفسرين والعلماء وغيرهم، وقد قال الراغب الأصفهاني[٣] عن معنى المَلِك في القرآن، فقال " المَلِك هو المتصرّف بالأمر

---

(١) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ، محمد بن حمد الصوباني، مكتبة العبيكان، الطبعة ١، ٢٠٠٤م ، الجزء ٣، الصفحة ٣٢٠.

(٢) نظرية التملك في الإسلام، ا د. حمد العبدالرحمن،، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون تاريخ، الصفحة ١٣.

(٣) الراغب الأصفهاني (٠٠٠ – ٥٠٢ هـ = ٠٠٠ – ١١٠٨ م) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.

والنهي"[١]. وجاء: " قال أصحاب المعاني: المَلك: النافذ الأمر في ملكه، إذ ليس كل مالك ينفذ أمر وتصرّفه فيما يملكه، فالملك أعمّ من المالك "[٢]. وانطلاقاً من ذلك، يأتي الفصل الحالي لكي بتحدث عن المنهج النبوي من خلال رسائله إلى الملوك ورؤساء الأمم، وتوضيح طرق التواصل، ومضامين الخطاب، لكي تكون أساساً اليوم في التعامل مع الملوك والقادة كما يأمرنا الإسلام.

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل،تحقيق: صفوان عدنان داودي، الدار الشامية، دمشق، دار العلم، بيروت، الصفحة ٤٧٢.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، تحقيق : احمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٧٤م، الصفحة ٣٠.

المبحث الأول

المضامين الاستيعابية في الرسائل العالمية

أرسل النبي ﷺ رسائل كثيرة إلى أفراد وقبائل، وبعث رسله على بعض البلاد التي دانت له وأسلمت، وإلى أساقفة ورجال دين وغيرهم كثير. والمهم هنا هو مضامين رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء.

وتظهر من خلال رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء مضامين عظيمة؛ لعلّ أبرزها الدعوة إلى التوحيد، وقد أظهر الرسول ﷺ في سياسته الخارجية دراية سياسية فاقت التصور، وأصبحت مثالا لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر ﷺ قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله ﷺ لخشي عاقبة ذلك الأمر، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه(١).

المطلب الأول

الملامح العامة لرسائل النبي ﷺ

كانت رسائل النبي ﷺ الرسول منهجاً جديداً لم تكن تعرفه البشرية من قبل، وقد كشف للرسول ﷺ نوايا الملوك والأمراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته، ومن ناحية أخرى كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيرًا عمليًّا على عالمية الدعوة

(١) ينظر: رسائل النبي محمد ﷺ الى الملوك والامراء، جهاد محمد حجاج، الصفحة ١٩.

الإسلامية، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

عند النظر إلى المضامين الموجودة في رسائل النبي ﷺ إلى الملوك، فنجد أول ما بدأ به هو الدعوة إلى التوحيد "يقول لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس"[2].

يبدأ الرسول ﷺ رسائله إلى الملوك لدعوتهم إلى الإسلام بالبسملة مثل دعوته إلى قيصر روما " أن النبي ﷺ كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه دحية الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين[3]، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، الجزء ٦، الصفحة ٢٦٨٥، رقم الحديث ٦٩٣٧.

(٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الجزء ٢، الصفحة ٢٥٦ حيث وردت الرسالة ضمن حديث طويل رواه الشيخان عن ابن عباس ﷺ، من حديث أبي سفيان قال: (حدثني أبو سفيان من فيه..) رقم الحديث ١٦٢.

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

فالمضمون الذي يريده رسول الله ﷺ هو تبليغ هرقل الدين الإسلامي، وهذه أعلى مهمات الرسول، إذ ينظر الله تعالى إلى الرسل على أنهم سفراء الله إلى عباده، وحملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة إلى عباد الله، وقال صاحب الفوائد السنية " التبليغ وهو توصيل ما أمروا لإبلاغه للمخلوقات من أولي العلم"[2].

فقد بعث الله رسله لتبليغ الناس، وإخبارهم عن الدين الصحيح، وهناك أدلة كثيرة في القرآن الكريم تثبت ذلك، كما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[3]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[4].

والتبليغ ليست مهمة سهلة؛ إذ إنها تتطلب الشجاعة والقوة وعدم الخوف، لأن الرسول يبلغهم بما يخالف معتقداتهم، ويأمرهم بما يستنكرونه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[5].

وبالنظر إلى المضمون الخطابي، وطريقة بناء الخطاب، نلاحظ الدقة التي استخدمها الرسول ﷺ، فقد حرص الرسول على ظهور عزته وعزة الدولة الإسلامية في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) الفوائد السنية على الحفيدة السنوسية، نزار حمادي، دار الامام ابن عرفة، تونس، دون تاريخ، الصفحة ٤٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٩٩.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

كل كلمة من كلمات الخطاب؛ فقد بدأ باسمه قبل اسم هرقل، والسنة أن يبدأ الكتاب بنفسه، وهو قول جمهور العلماء[١].

وهذا لم يكن من عادة كتابة الرسائل قبل عهد الرسول، ولم يتوجه بخطابه إلى هرقل قائلا إنه ملك الروم؛ بل "عظيم الروم"، والمهم أنه في خطابه دعاه مباشرة إلى دخول الإسلام بشكل مباشر، ودون مواربة. والدِعاية " أدعوك" وهي كلمة الشهادة التي يدعو إليها الملل الكافرة، وفي رواية "بداعية الإسلام" وهي مصدر بمعنى الدعوة كالعافية "بداعية الإسلام" [٢] أي بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والباء موضع الى وقد وقعت هذه الكلمة في كتابه ﷺ إلى كسرى والمقوقس أيضاً ، ودعوة الله؛ أي ما يدعو الله إليه تعالى[٣].

وفي رسالته ﷺ إلى كسرى يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك"[٤].

---

(١) الرسول المبلغ، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م، الصفحة ٢٥.

(٢) منهج الدعوة الإسلامية من القرآن والسنة النبوية، الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح، مجلة الأزهر، جمادى الأولى، ١٤١٩هـ، الصفحة ٢٨.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، الجزء ١، الصفحة ٣٨.

(٤) ينظر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، الجزء ٢، الصفحة ٦٥٤.

ونلاحظ المضمون المتقارب ببن الرسالتين؛ والمنهج الخطابي الموحد الذي اتبعه الرسول في خطابه إلى ملوك الأمم؛ فالبداية بتقديم نفسه ﷺ على المرسل إليه، ومن ثم إزالة الملكية عنهم، لأن الرسول بعرف أن الملك لمن اتبع الإسلام، ومن ثم بكلمات قليلة يدعوهم إلى الإسلام.

يلجأ النبي ﷺ إلى اقناعهم بكلمات قليلة، وقد استعان الرسول ﷺ بوسائل وآليات في بناء خطاباته، لإيصالها إلى الجمهور المتلقين بطريقة تكفل لهم استيعاب مضامينها، ولما كانت اللغة هي وسيلة التواصل بين البشر كان الحجاج هو شكل من أشكال هذا التواصل وحالة من حالاته التي يسعى الإنسان المتكلم فيها إلى التأثير في نفس السامع بقصد لفت انتباهه وإقناعه. إذ إن النص الحجاجي يسعى إلى الإقناع وتقديم البراهين والأدلة، ويمتلك النص الحجاجي بعداً جوهرياً في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه بالاعتماد على وسائل منطقية ولغوية خاصة وواضحة، ومن ثم فإن الإقناع هو استمالة الرأي نحو فكرة معينة تعد هدفاً لكل قائم بعملية الإقناع.

فتوصيل المعنى إلى قلوب الملوك هو هدف من أهداف الإقناع، أما حديثاً فقد عرّفه المحدثون بأنه: " عملية فكرية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير غلى الطرف الآخر وإخضاعه لفكرة ما وقد يكون على شكل اتصال كتابي أو شفوي أو بصري أو سمعي يهدف إلى التأثير في السلوكيات، فالإقناع إذا عملية خطابية يتوخى فيها الخطيب تسخير المخاطب لفعل عمل أو تركه "[1].

(١) ينظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة ٢، ٢٠٠٢م، الصفحة ١١٤.

المطلب الثاني

ملامح الاقناع في مضامين الرسائل

وتقوم العملية الإقناعية على مجموعة من العناصر التي تساهم في عملية التواصل والتي تتكون من:

١. المرسل: وهو الشخص أو المجموعة أو المؤسسة التي تريد أن تؤثر في الآخرين وسلوكياتهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم، إذ يحمل المرسل مجموعة من الأفكار والأمور والدوافع التي يريد إيصالها وليؤثر في الاتجاه الآخر وقد تكون هذه الدوافع اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو نفسية، ويجب أن يتمتع المرسل أيضاً بالمصداقية والمهارة الاتصالية بحيث يستطيع التأثير على أفكار الآخرين.

٢. الرسالة الإقناعية: هي الأحاسيس أو الأفكار أو الاتجاهات التي يريد المرسل نقلها إلى المرسل إليه أو المستقبل. ولكي تؤدي الرسالة الإقناعية وظيفتها وتؤثر في الآخرين لابد وأن توافي الشروط الآتية: لفت الانتباه وإثارته، الجاذبية، وجمالية الأسلوب وبساطته.

٣. المتلقي أو المرسل إليه: هو الشخص أو مجموعة الأشخاص الذين يستقبلون الرسائل التي تصدر عن المرسل.

٤. الوسيلة الإقناعية: هي الأداة الناقلة للرسالة الإقناعية كالصحيفة والراديو والرسائل والتلفزيون وغيره... وهنا يمكن القول والتمييز لنوعين من الإقناع: الإقناع المباشر وغير المباشر، فالإقناع المباشر يخاطب الفرد او الجمهور بشكل عفوي تلقائي أي من غير مداراة فيستثار المتلقي وينتج عنه عدم القبول بوجهة النظر المطروحة ورفضها، أما الإقناع غير المباشر فيكون ذكياً يدفع المتلقي إلى استنتاج الأمور

بنفسه ومن ثم يعمد إلى اتخاذ القرارات بنفسه فيشعر بالرضا والراحة النفسية[١].

والاقناع في عبارة (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين) إلى ملك الروم، وعبارة فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم) إلى كسرى، ولكن في رسالته إلى كسرى هناك خصوصية واضحة؛ حيث لم يرد فيها (أسلم يؤتك الله أجرك مرتين) كالرسالة الأولى ليتناسب مع ما عرف عن كسرى من كره وعداء للإسلام ولرسوله، فتناسب معه القوة في الأسلوب، ومن ثم لم ترد معه هذه الجملة الترغيبية في الرسالة المرسلة إليه ، ولا أدل على غلظته وفظاظته من تمزيق الرسالة.

لقد اختار الرسول ﷺ مضامين رسالته بكل دقة، فقد ترك لكسرى حرية اختيار ما يريد، بقوله وأدعوك بداعية الله فإن أبيت: فقد كان رسول الله يعلم تكبره وصلفه، ويعلم أن أقوى البراهين إقناعاً لا يقابل منه بغير الغضب والاستعلاء ولكنه ملزم بتبليغه، فلا بد أن تصل إليه رسالته وليجاهر إليه بدعوته، وليسمعه شيئاً من القرآن، وليحمله وزر المجوس إن أبى كل ذلك في أسطر قليلة وعبارات موجزة اتسم بها بيانه ﷺ[٢]. ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى الإمبراطور الفارسي عبارة: «وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيًّا»[٣].

---

(١) نظريات الاتصال، بشير العلاق، دار اليازوردي، الأردن، الصفحة ٨٨.

(٢) ينظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة ٢، ٢٠٠٢م، الصفحة ١١٤.

(٣) انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، أبو الحسن علي الحسني الندوي (١٣٣٣ – ١٤٢٠ هـ)، تحقيق وتعليق: سيد عبد الماجد الغوري، الناشر: دار ابن كثير، (دمشق – بيروت)، الطبعة ١٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، الصفحة ٢٩٠.

وكذا نجد في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي، حيث وجه إلى النجاشي عمرو بن أمية، وأن الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ إلى النجاشي هو هذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة. أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده. وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، فقد بلغت ونصحت، فأقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

فكتب إليه النجاشي: "بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة. سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو رب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين"(١).

لابد من استعمال معان محددة تعمل على إظهار الفكرة وتفسيرها وتجنب استعمال نظريات الشمول والتعميم، ولابد من أن يكون المصدر القائم بنقل الرسالة لديه القدرة على القناعة بالفكرة التي يعمل على نشرها وأن يكون على درجة عالية من الإيمان بأهداف هذه الفكرة ومبادئها حتى لا ينعكس ذلك سلباً على الفكرة فيؤدي ذلك إلى ضعف الفكرة وعدم اقتناع المتلقين بها. بل التزام تجنب المشاحنات والجدال ونقلها

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، الأجزاء ١-٢، الصفحة ٣٩٠.

بالود والإحسان مع وجود الحجة القوية لإقناع المستقبلين بالفكرة مع إظهار مبرراتها والأسباب التي تستند إليها ما ينعكس بصورة إيجابية على المستقبل لاقتناعه بالفكرة مع ضرورة اختيار الألفاظ والكلمات والتعابير بعناية فائقة والحفاظ على الإلقاء للجمل بصيغة تشويقية بعيدة عن التخويف وفرض الرأي والسلطة. مع ضرورة البعد عن الأهواء والرغبات الشخصية والفردية أثناء طرح الفكرة مع مراعاة المواضيع التي يتم اختيارها والعمل على إشعار المتلقي بجدية البحث عن الحقيقة(١).

ومن عوامل نجاح الإقناع عدة نقاط منها: تمكن ناقل الفكرة من مهارات الإقناع وأساليبه ووسائله وذلك بامتلاكه مهارات الاتصال والإتقان الجيد للحوار بالإضافة إلى امتلاك الفرد القدرة على نقل ما لديه من أفكار ومعلومات بسهولة وإتقان مع الإلمام بأحوال الطرف الآخر وأفكاره ومبادئه التي يؤمن بها، وأخيراً التحلي بالصفات الجميلة التي تجذب الآخرين كالصدق والأمانة والأسلوب المناسب في الحوار. والملاحظ من تحليل مضامين رسالة الرسول ﷺ أنها تميزت عن سابقاتها بعنصر الإطالة الإيجابية، والمزيد من الإيضاح وذكر التفاصيل(٢).

يتضح يقين الرسول ﷺ بتدين النجاشي بشكل حقيقي وليس شكلي من أجل الملك، لهذا ركز على ذكر المزيد من أسماء الله الحسنى ﴿ ... ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ... ﴾(٣)، وذلك من أجل بث الطمأنينة في نفس النجاشي ومنحه القوة اللازمة لاتخاذ القرار المناسب بإيمان راسخ وبلا تردد.

---

(١) ينظر: تجديد المنهج في تقديم التراث، الصفحة ٥٧.

(٢) ينظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الصفحة ١٧٣.

(٣) سور الحشر: الآية ٢٣.

كان لدى النبي محمد ﷺ معرفة بأخبار النجاشي لأن الكثير من أصحابه ﷺ كانوا عنده، وإن مجرد احتضان المسلمين لديه هو موقف كبير يدل على قناعته بالإسلام، لذلك ركز رسول الله محمد ﷺ على هذا جانب تقديم النصح وقبول الإسلام ولم يكن في الرسالة (فإن توليت فعليك أثم....)، كما فعل مع غيره، كما أنه خطابه بـ (أسلم أنت)، أي ما عليك بحاشيتك وجنودك وفي ذلك إشارة إلى علمه ﷺ بأنه حين يسلم سينخر في وجهه من حوله[١].

حرص رسول الله ﷺ على أن تشتمل الرسالة على أجوبة للشكوك التي حاول موفد قريش للنجاشي (حين ذهب إليه المهاجرون من المسلمين) أن يثيرها أمامه في كيفية ولادة السيد المسيح بن مريم عليه السلام، ووصف الإسلام الدقيق والمفصل للمسيح عليه السلام ولأمه مريم عليها السلام، حتى لا يبقى في الموضوع أدنى شك أو ريبة[٢].

فنلاحظ تنوعت أشكال الإقناع في رسائل الرسول ما بين الأسلوب المنطقي واللغوي فكل رسالة كانت تقتضي نوعاً من الآليات الإقناعية التي تقوم على حجج وبراهين وأساليب منطقية فمنها ما يعتمد على إثارة الجانب العاطفي الانفعالي ومنها ما يعتمد على الجانب العقلي والمنطقي. فالإقناع العاطفي: يثير حالة انفعالية عند المتلقي من الفرح والحزن والسخط، إذ يحاول المتكلم أو الخطيب تحريك الوظائف النفسية للمتلقي. والإقناع العاطفي جوهره خطاب فعال قادر على ملامسة مكامن الانفعال في النفس الإنسانية، والإقناع العاطفي يحصل نتيجة اجتماع ثلاث عمليات خطابية وهي أنه يجب على الخطاب أن يعلم ويؤثّر ويرضي ويمتع[٣].

---

(١) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الجزء ٣، الصفحة ١٦٣.

(٢) البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الصفحة ١١٣.

(٣) نظريات الاتصال، بشير العلاق، دار اليازوردي، الأردن، الصفحة ٨٨.

وفي الرسالة دعوة خاصة لجنود النجاشي، لأن رسول الله محمد ﷺ يعلم علم اليقين إن مَنْ حول الملك من الحاشية والمستشارين والرهبان لهم مصالح شخصية، فسيدفعون باتجاه عدم الرضا بالإسلام، ولكن الخير في الجنود الصالحين وأن الملك قوي بجنوده فإن أسلم الجنود استطاع الملك تنفيذ ما يربو إليه بهم، وفي رسالته الرابعة بعث النبي ﷺ حاطبا إلى المقوقس بكتاب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله رسول الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[1].

فقال المقوقس: "إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر". وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك. أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه. وقد علمت أن نبيا قد بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت لك بغلة لتركبها. والسلام عليك". ولم يزد على هذا، ولم يسلم[2].

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الاجزاء ١- ٢، الصفحة ٣٩٣.

(٢) المصدر نفسه.

لجأ الرسول ﷺ إلى الإقناع المنطقي العقلي: فيخاطب المتكلم من خلاله العقل بالحجة والبرهان والدليل إضافة إلى المنطق، فهو يسلك المسلك العلمي الذي يبدأ بالمشكلة ومعرفة أسبابها ليصل إلى الارتقاء بالنتيجة، فهو يبدأ بمقدمة تحدد الموضوع، ثم يأتي على العرض، فأصل المشكلة، فالدليل والحجة، ليصل أخيراً إلى النتيجة والحكم، مع مراعاة حسن الترتيب والانتقال والتسلسل، والتلطف في القول.(١) هذا النوع من الإقناع هو مدخل العقل ويهدف إلى تنشيط الإدراك للفرد وتحفيزه ليقوم بالمحاكمات العقلية. لتحقيق توجهات الخطاب فبذلك نستطيع التأثير في الآخرين.

فقد أخبر النبي ﷺ المقوقس أن يسلم ليسلم، وحمله إثم القبط ولجأ إلى آيات القرآن ليقنعه بالإسلام، وفي رد المقوقس ما يدل على اقتناعه بحديث النبي غير أنه لم يسلم، وذلك لأسباب ذكرها و"لأن المقوقس ذكر في رده لـ حاطب بن أبي بلتعة الذي كان رسول رسول الله ﷺ، ذكر في رده له أنه كان يعلم أن نبيا سيظهر في هذا الزمان، ولكنه كان يحسب أن هذا النبي سيظهر في الشام، فهو كانت عنده تهيئة نفسية لظهور النبي ﷺ، ومع ذلك لم يسلم، بل إنه لم يفكر أصلا في التأكد من كونه نبيا أم لا، مع أنه كان يعرف أنه نبي فعلا، وإلا لما أكرم سفارته وحملها بالهدايا كما نعلم جميعا؛ لأنه ليس من الممكن أن يفعل هذا الأمر مع كذاب يدعي النبوة، وخاصة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت لم تكن له قوة كبيرة أو بأس، ولم يكن يحكم دولة ضخمة يخشاها المقوقس فيحتاج إلى مهادنته، بالعكس فإن قوة مصر المادية كانت أضعاف أضعاف قوة المدينة المنورة في ذلك الوقت، لكن على كل حال

(١) دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، محمود عكاشة، دار المناهل، الأردن، ٢٠١٣م، الصفحة ٤٨.

إكرام المقوقس لوفد رسول الله ﷺ ترك أثرا إيجابيا للدولة الإسلامية في كل مكان، أكد على شرعيتها في النظام الدولي الجديد، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"[١].

إذا: هذا كان رد المقوقس رد بأدب وحمل الهدايا لكن لم يسلم.

وكذا بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي، إلى المنذر بن ساوي العبدي بكتاب فيه: «سلام أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد ذلك فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة الرسول»[٢].

فكتب المنذر إلى رسول الله ﷺ: أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل هجر، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلى في ذلك أمرك».

فكتب إليه رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى المنذر ابن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. أما بعد، فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية»، فأسلم وحسن إسلامه[٣].

---

(١) السيرة النبوية، المؤلف: راغب الحنفي راغب السرجاني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

(٢) كتاب الأموال، ابن سلام الإمام الحافظ أبي عبيد القاسم، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، الجزء ١، الصفحة ٦١.

(٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الاجزاء ١- ٢، الصفحة ٣٩٦.

من المعروف أن للإقناع هدف يرجى من ورائه، ومن الصعوبة أن يتطور المجتمع ويتقدم إن لم يأخذ بوسائل الحضارة، وهنا نلمح دور الإقناع وضرورته، ونشعر بأهميته في أمور الحياة المتعددة، فالإقناع ليس من الضروري أن يكون في صورة مباشرة وموجهة للشخص بعينه، والإقناع بشكل عام يلزم ضرورة تواجده في مجالات الحياة كافة فهو وسيلة وأسلوب فالناس يتصرفون مع بعضهم بأساليب تجعل من سلوكهم مقبولاً لدى الآخرين ومقنعاً، والإقناع يدخل في كل مجالات الحياة الاجتماعية إذ يدخل في مجال التربية والتعليم، فالتعليم في بعضه يقوم على الأرقام والتجارب والملاحظة لإظهار النتائج المقنعة، فالعلوم الرياضية كالهندسة والجبر تقوم أساساً على مبدأ الإقناع والبرهان وهذا ما يدل على أهميته في مجال التربية والتعليم، فالطفل مثلاً لا تستطيع إقناعه بخطر النار والمشروب الساخن إلا بالتجربة، ويدخل الإقناع أيضاً في مجال الدين فاعتناق دين ما لا يكون سهلاً والاعتقاد بمذهب أو فلسفة لا تحصل إلا بعد الإقناع وفي الإدارة والعلاج النفسي.

وقد يتفاضل الناس في الإقناع وفي امتلاك القدرة عليه فهو في النهاية عمل بشري يتفاوت الناس في درجة إتقانه وحسن الإعداد له، فيجب أن يرتب الداعية نفسه ويعدها بحسب نوع الإقناع وموضوعه وظروفه والموجه إليه، لأجل ذلك يرتب أفكاره لأن الإعداد الجيد للأفكار والنظر فيها يحقق درجات عالية من النجاح.

وارتبطت عملية الإقناع بالعلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات. وتلعب دوراً كبيراً في تحديد استجابة الناس للرسائل الإعلامية إذ يلعب الإعلام دوراً هاماً في التواصل ونقل الأحداث في المجتمع، وهذا يدخل ضمن إطار العلاقات الاجتماعية التي قد تعد متغيراً أساسياً في عملية الإقناع والتأثير[1].

(١) نظريات الاتصال العلاق، الصفحة ٧٣.

فلا بد وأن نذكر واقعية الإقناع والتأثير عبر وسائل الإعلام لأن الجمهور على علاقة بوسائل الإعلام فتمر الرسائل على الفئات العمرية الاجتماعية كافة. وتعد المتغير الأساسي الذي يعتمد عليه المجتمع في تسويق الأفكار والمعلومات والاعتقادات، بل ويعتبر جزء من حياة المجتمع، لا يمكن الاستغناء عنها، فهي تعد مصدراً غنياً بالمعلومات والاعتماد على وسائل الإعلام يتوقف على البنية الهيكلية في المجتمع ويتوقف على الدرجة التي وصل لها المجتمع من التغير وعدم الاستقرار فتدخل وسائل الإعلام في صنع القضايا الاجتماعية وتفسيرها على مجرى الأحداث، ما جعل الجماهير يعتمدون عليها في أغلب الأوقات لما ينتج عنها في نفوسهم من الإثارة الإدراكية وتضمن أيضاً اكتساب الثقة بين الناس، و رفع الغموض عن القضايا التي تخص المجتمع، وتوضيح القيم وإعادة تجديدها. أما الآثار الإدراكية فهي إنشاء الخوف أو القلق وخفض الروح المعنوية أو رفعها وتظهر نتائجها في السلوك أيضاً من خلال الإشادة أو التقليل لسلوك معين وتوفير استراتيجيات العمل مع حل مشاكل معينة. فالإعلام والجمهور والنظام الاجتماعي عناصر مترابطة فيما بينها وتخدم المجتمع(١).

لقد وظّف النبي ﷺ في مراسلاته إلى الملوك وسائل إعلام دعوية تتناسب مع معطيات عصره، اتسمت بالحكمة والواقعية والتأثير، فكان من أبرزها الرسائل المكتوبة الرسمية التي حملت ختمه الشريف "محمد رسول الله"، وحرص على كتابتها بلغة مهذبة ومباشرة، تبدأ بالبسملة وتدعو إلى الإسلام بلغة جامعة. كما اختار لها رسلًا وسفراء مؤهلين من الصحابة المعروفين بالفصاحة والمهابة وحسن الهيئة، مثل دحية الكلبي وعبد الله بن حذافة، فكانوا يمثلون الرسالة بأجسادهم وكلامهم، وهو ما يعادل في عصرنا الحضور الإعلامي البشري المباشر. وقد راعى النبي ﷺ الوقت المناسب

(١) نظريات الاتصال العلاق، الصفحة ٧٣.

لإرسال هذه الرسائل، فبعثها بعد صلح الحديبية، حين أصبحت الظروف أكثر ملاءمة لنشر الدعوة. وقد تضمّنت هذه الوسائل بعدًا إعلاميًّا مركّبًا جمع بين الرسالة المكتوبة، والتمثيل البشري، والمظهر اللائق، واللغة المقننة، مما يجعلها نموذجًا مبكرًا في التواصل الحضاري والدعوي على مستوى العلاقات الدولية(١).

رسالة النبي ﷺ أخبر المنذر وأقنعه بالإسلام وبنظام اجتماعي متكامل، تعتبر الرسالة الإدارية مجموعة من المعلومات التي تقدم بشكل موضوعي وفقًا لنظام دقيق يتطلب الدقة والتلخيص والوضوح. ينبغي للكاتب أن يستخدم كلمات مألوفة ودقيقة لتوصيل الفكرة، حيث يُسمح للكاتب بإيجاز الفكرة الذهنية في رسالة قصيرة بأقل عدد من الكلمات. يجب التركيز على الدقة والصحة والواقعية في الرسالة، مع الحرص على اللباقة وتأكيد الإيجابيات. تلتزم هذه القواعد مع مبدأ الإقناع والهدف منها هو التأثير في عقل المتلقي. لا يمكن تجاهل الجوانب العاطفية التي تظهر بشكل كبير في الاتصالات غير الرسمية والمراسلات الإدارية، حيث تعتبر هذه المظاهر مادة مقنعة نظرًا لأنها تصدر عن هيئة قانونية وإدارية(٢).

يعد الإقناع في حد ذاته عملية مقنعة ولا يُمكن تشكيكها أو التلاعب بها، ويندرج ضمن نطاق الأنشطة المهنية. تهدف هذه العملية إلى تبسيط وتوضيح المعلومات وتسهيل وصولها بسهولة ووضوح للمتلقي في عملية التواصل السمعي. يتطلب الإقناع التعامل بشكل إيجابي ومقنع مع المتلقين في مجال الاتصال. وتعكس واقعية الإقناع أيضًا التعامل الحسن مع المحكومين، حيث يُعلم أن الإمام علي عليه السلام قد حدد إطارات بناء النظام المالي والإداري، وأكد على الطريقة والأسلوب في

(١) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير؛ ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء ٤، الصفحات ٢٦٥–٢٨٠.

(٢) دور الإقناع في تفعيل الاتصال الداخلي دراسة ميدانية في مؤسسة الضمان الاجتماعي، سارة زايدي، جامعة أم البواقي، ٢٠١٥م، الصفحة ١٢٣.

الحكم والتعامل مع المحكومين. فقد قام بتحديد فئات محددة يجب أن يأخذها الحاكم في الاعتبار، وقد وضع توجيهات خاصة بالجودة وضبطها على المستوى العملي.

كان عمرو بن العاص هو مبعوث النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، وكتب رسول الله ﷺ معه كتابا، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بداعية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا(١).

كتب النبي ﷺ إلى هوذة بن علي الحنفي حين بعث سليط بن عمرو إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هوذة بن على، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك».

فرد رداً دون رد، وكتب إلى النبي ﷺ: "ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني فاجعل إلى بعض الأمر أتبعك"، وأجاز سليطا بجائزة، وكساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على النبي ﷺ فأخبره، وقرأ النبي ﷺ كتابه، وقال: «لو سألني سبابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يده»، لكنه مات على نصرانيته(٢).

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الاجزاء ١- ٢، الصفحة ٣٩٨.

(٢) المصدر نفسه.

بعث النبي ﷺ شجاعا بن وهب الأسدي [١]،إلى الحارث بن أبى شمر،[٢] فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبى شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبق لك ملكك»، فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه، ثم رمى به، وقال: "من ينتزع منى ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليَّ بالناس، فلم يزل جالسا بعرض حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى"، وكتب إلى قيصر [٣] يخبره خبري، فصادف قيصر بإيلياء[٤] وعنده دحية

(١) صحابي جليل من بني أسد بن خزيمة، كان من كتاب النبي ﷺ، وهو ممن شهدوا الحديبية وخيبر، وبعثه النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، بيروت: دار الفكر، الجزء ٣، الصفحة ٢١٨.

(٢) هو: ملك من ملوك غسان، نصراني، كان يحكم الشام قبل الإسلام، أرسل إليه النبي ﷺ رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام. المرجع: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٩٨٧م، الجزء ٣، الصفحة ٢٣٥.

(٣) هرقل بن مينا، إمبراطور الروم الشرقيين (البيزنطيين)، تلقّى رسالة النبي ﷺ، ومال إلى التصديق به، لكنه لم يُعلن إسلامه. ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت: دار الفكر، الجزء ٣، الصفحة ٢٢٧.

(٤) اسم قديم لمدينة القدس (بيت المقدس)، وقد أُطلق عليها هذا الاسم في الفترة الرومانية والبيزنطية، وورثه العرب عنهم. كان اسمها الكامل في عهد الرومان "إيلياء كابيتولينا" (Aelia Capitolina)، نسبة إلى الإمبراطور "إيليوس هادريان". وقد ورد اسم "إيلياء" في بعض الروايات النبوية، منها حديث الإسراء والمعراج. وفي عصر النبي ﷺ كانت تابعة لقيصر الروم، ولذلك وُجد فيها أثناء بعث الرسالة إلى هرقل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، الجزء ١، الصفحة ٢١٥.

الكلبي[١] قد بعثه إليه رسول الله ﷺ فلما قرأ قيصر كتاب الحارث، كتب إليه: "أن لا تسر إليه واله عنه، ووافني بإيلياء"، فتراجع عما صدر منه، وقال لشجاع: "اقرأ على رسول الله مني السلام، وأخبره أني متبع دينه"، فقدم شجاع على النبي ﷺ فأخبره بما وقع، فقال رسول الله ﷺ: «صدق».

ومات الحارث بن أبى شمر عام الفتح، وكان نازلا بجلق، ووليهم جبلة ابن الأيهم[٢]، وكان ينزل الجابية، وكان آخر ملوك غسان، أدركه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فأسلم[٣].

إن تلك الرسائل حملت دلالات كثيرة وحمولات عظيمة، منها: تصحيح مفهوم التوحيد في ثنائيا رسائله ﷺ، وأنه رسول للعالمين، افتتاح الرسائل بالسلام لإظهار حسن النية ونشر السلام والإسلام في الأمصار، وكذا مراعاة النبي ﷺ للمستوى الاجتماعي والسياسي في خطابه للملوك والأمراء، ومخاطبتهم بما يليق بهم، ومراعاة كذلك البرتوكلات والأنظم والقوانين السياسية المعروفة آنذاك، وطمأنتهم على أن هذه دعوة توحيدية حنيفية سمحة، ذلك ما جاءت بها، لا لسلب مناصبهم السياسية وملكهم، واستعباد شعوبهم، كما روج لها، وذاع في الأمصار، وأن تلك الرسائل حقيقة ثابتة في تاريخنا الإسلامي، لا مرية فيها، لا يردها إلا طاعن أو مشكك، فقد ذكر الواقدى

---

(١) صحابي من أجمل الناس، كان النبي ﷺ يبعثه في بعض المهام السياسية، بعثه إلى قيصر الروم حاملاً رسالة الإسلام. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت: دار الجيل، الجزء ٢، الصفحة ٥٠٢.

(٢) هو آخر ملوك غسان، تنصر، ثم أسلم في عهد عمر بن الخطاب، ثم ارتدّ وعاد إلى الروم حادثة لطمة لرجل من بني فَزارة. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت: دار الفكر، الجزء ٢، الصفحة ٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء ٧، الصفحة ٣٣.

(٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الاجزاء ١– ٢، الصفحة ٤٠٦.

بإسناد له عن عكرمة قال: "وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فنسخته"(١).

وهكذا، فإن أبرز المضامين الاستيعابية في رسائل النبي ﷺ تتجلى في الدعوة إلى دين الإسلام، وقد تميزت هذه الرسائل أنها متناسبة مع مقام المرسل إليه من خلال الألفاظ والتراكيب.

كما امتازت هذه الرسائل العظيمة بورود اقتباسات من القرآن الكريم بما يتناسب مع معتقدات المدعو، فإذا كان من النصارى أكثر من ذكر الآيات التي تذكر سيدنا عيسى وتبين حقيقته.

فإن المنهج النبوي في هذه الرسائل هو منهج الاختيار الدقيق للكلمة ووضعها بموضعها الدقيق، والبدء والترغيب، ثم الانتقال إلى الترهيب، وقد بين الرسول ﷺ أن الإسلام سيحميهم، ويحمي ممتلكاتهم، وبذلك فإن رسائل النبي الموجزة ابلغ مثال عن المنهج السليم لنشر دين الإسلام.

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، الاجزاء ١- ٢، الصفحة ٣٩٦.

المبحث الثاني

المواصفات الدبلوماسية للرسل والمبعوثين

المطلب الأول

المبعوثون في الإسلام

تعريف الدبلوماسية لغةً واصطلاحاً:

لغةً: لفظ معرب أصله يوناني من كلمة paploma الوثيقة المطوية، ثم استعملت للدلالة على الوثائق الرسمية(١).

اصطلاحاً: فن ادارة العلاقات بين الدول عن طريق المفاوضات والاتصالات السلمية التي يقوم بها ممثلو الدول الرسميين بهدف حماية المصالح الوطنية وتحقيق التعاون الدولي دون اللجوء الى القوة(٢).

وعبر عن الدبلوماسية أيضا بعدة تعاريف فمنهم من يعرفها على أنها فن المفاوضة وإجراءاتها الفنية وهذا ما أشار اليه معجم اكسفورد في تعريفه للدبلوماسية على " أنها إدارة العلاقات الدولية بواسطة السفراء والمبعوثين وهي علم وفن الدبلوماسية "(٣).

وقد بعث النبي ﷺ البعوث ومعهم الرسائل مختومة منه ﷺ إلى ملوك الدول الآتية: الروم، وفارس، والحبشة، والإسكندرية، وعمان، واليمامة، والبحرين، والشام، وهذه قائمة بأسماء المبعوثين والملوك المبعث إليهم؛ فقد بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر المدعو: هرقل ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (دبلوم).

(٢) العلاقات الدولية النظرية والواقع، جمال زهران، الطبعة ١، دار الشروق، الصفحة ١١٢.

(٣) النظم الدبلوماسية، د. عزالدين فودة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١، الصفحة ٩.

ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام(١).

وعند متابعة المنهج النبوي في اختيار مبعوثيه وسفرائه نجد أن النبي ﷺ اختارهم بدقة وعناية، فهم من يلاقون الملوك وجهاً لوجه، وهم الوجه الخفي أو غير المباشر للدعوة.

ومجمل ذلك أن المبعوث يجب أن يتمتع بالصفات الدبلوماسية، والدبلوماسية بموجب تعبير معاوية بن أبي سفيان في مجال تحديد للعلاقات الدبلوماسية على أنها (لو أن بيني وبين الناس شعرة لما قطعتها إن أرخوها شددتها وإن شدوها أرخيتها) تتضمن هذه المقولة الشهيرة وصفا دقيقاً للعلاقات التي تقوم بين البشر ومشبها الدبلوماسية بالشعره حيث تتميز بالدقة والمرونة والحرص على استمرار هذه العلاقات وعدم انقطاعها حتى ولو كانت معلقة على شعره(٢).

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، مكتبة العلم بجدة، دار النصر للطباعة، دار الكتب الحديثة، دار الكتب الإسلامية، ١٤١٠-١٣٨٧ /١٩٦٧-١٩٩٠، الجزء ٧، الصفحة ٤٦٤.

(٢) الدبلوماسية، نشأتها وتطورها وقواعدها في الحصانات والامتيازات الدولية، محمد المجذوب، بيروت، ٢٠٠٧م، الصفحة ٣.

وعرفت على أنها " علم وفن وتنظيم العلاقات الدولية التي يمارسها المبعوثون والممثلون الدبلوماسيين من خلال المفاوضات"[١].

يقول الدكتور محمد الهزاط[٢]: "هذا ويعطي الإسلامُ أهميةً كبرى لمسألة التمثيل الدبلوماسي؛ لأنه يُمكِّن أولاً: من خدمة المقاصد الدينية الإسلامية لتعريف الشعوب بالدعوة الإسلامية، الدين الإسلامي، ويَدعَم ثانيًا: العلاقات السلمية بين مختلف الشعوب لتسهيل المنافع الاقتصادية، وتحقيق المقاصد الاجتماعية، وتأكيد التفاهم والتعاون، وانتفاع كلِّ أمة بما لدى الأمم الأخرى من مُنجَزات وثقافات تدفع عجلة الإنسانية نحو التقدم والازدهار"[٣].

تحتل العلاقات الدبلوماسية في الشريعة الإسلامية أهمية خاصة بسبب طبيعة الدعوة الإسلامية التي تتطلب الاتصال بالشعوب الأخرى بواسطة الرسل بهدف نشر السلام وتوثيق الروابط السياسية والاجتماعية والعلمية مع تلك الشعوب[٤].

---

(١) الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، فاضل زكي محمد، مطبعة شفيق، الطبعة ٣، بغداد، ١٩٩٩، الصفحة ٢٧.

(٢) الدكتور محمد الهزاط: استاذ واكاديمي ومفكر مغربي. ينظر: شبكة ضياء الموقع الاكاديمي المفتوح.

(٣) مدخل لدراسة القانون العام الإسلامي، للدكتور محمد الهزاط، الصفحة ٢٢١.

(٤) السفارات الإسلامية الى أوربا في العصور الوسطى، د. ابراهيم احمد العدوي، سلسلة اقرأ، العدد ١٧٩، القاهرة بالسنة نشر، الصفحة ١٣.

وإن مصطلح الرسول يحتل مكانة خاصة عند المسلمين نتيجة الاهتمام الذي أولته الشريعة الإسلامية بالرسل واطلقت هذا المصطلح على الأنبياء كما ورد في العديد من الآليات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء[١].

وانطلاقاً من المبادئ الأساسية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية في نشر الإسلام تنظر الشريعة الإسلامية الى رسلها نظرة تقدير واحترام بالنظر للمهمة الصعبة الموكلة إليهم وتعتبر الاعتداء عليهم اعتداء على كرامة الأمة التي أرسلتهم[٢].

فقد كان رسول الله ﷺ يتمتَّع بفراسة عظيمة في اختيار الرجال، ومعرفة كبيرة لذوي الكفاءات من أصحابه، فكان يختار لكلِّ مهمة مَن يُناسِبها، فيختار للقيادة مَن يجمع بين سَداد الرأي وحُسْن التصرف والشجاعة، ويختار للدعوة والتعليم مَن يجمع بين غزارة العلم ودَماثة الخُلُق، والمهارة في اجتذاب الناس ويختار للوِفادة على الملوك والأمراء مَن يجمع بين حُسْن المظهر وفصاحة اللسان وسُرعة البديهة، وفي الأعمال الفدائية يختار مَن يجمع بين الشجاعة الفائقة، وقوة القلب، والمقدرة على التحكم في المشاعر[٣].

---

(١) من ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ سورة الأعراف: الآية ١٥٨، وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ... ﴾ سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) تاريخ الإسلام د. حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، الجزء ٢، الصفحة ١٩٨.

(٣) التاريخ الإسلامي، عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، ٢٠١٣م، الجزء ٦، الصفحة ٢٨.

ولهذا ركز القادة المسلمون الى اختيار الرسل الممثلين الدبلوماسيين ممن تتوفر فيهم الخصائص التي جاءت وفق المنهج في اختياره لمبعوثيه إلى الملوك بداية الدعوة(١).

وللشريعة الإسلامية منحى خاص في نظرتها حيث انها استخدمت الرسل في وقتي السلم والحرب كون الفتح الإسلامي لا يتخذ الحرب المباغتة وسيلة للفتوحات بل يسبق ذلك إبلاغ الأعداء بالدعوة الإسلامية حتى عند الحد الذي يصل فيه الجيش الإسلامي حدود المدينة المراد فتحها حيث لا يجوز أن يقاتل الشخص الذي لم تبلغه الدعوة الى الاسلام ومن يرفض يطالب بدعوته لدفع الجزية(٢) قبل ان يقول السيف كلمته وهو ما جرى عليه منذ عهد النبي محمد ﷺ حيث كان رسل النبي ﷺ يحملون الرسائل الى الملوك والأمراء للتفاوض معهم وبيان موقفهم من الإسلام كون العرب لم يعرفوا الغدر والخداع . إذ إن الحرب عندهم شجاعة وإباء.

ولهذا اتسمت الدبلوماسية، التي كانت تقوم كما ذكرنا سابقا على عدم البدء بالحرب المسلحة وعدم اللجوء الى استخدام السلاح إلا في حالة الدفاع ضد الأعداء وحماية الضعفاء من الظلم وفي حالة التمرد وهذا ادى الى خروج الإسلام من جغرافيته العربية الى جغرافية العالم.

ورافق نشر الدعوة الإسلامية مبدأ الاعتراف الدولي الذي اعتمده الخلفاء الراشدون منذ البداية وكان هذا مبدأ ذا أهمية بالغة فهو يقوم على الاعتراف بالسيادة للخليفة مقابل الاعتراف بسيادة سلاطين الممالك الإسلامية وكان نمط المبايعة في الإسلام نوعا من الاعتراف بالسيادة للحاكم .

---

(١) الشريعة الإسلامية والقانون الدولي،، محمد كمال عبد العزيز، مجلة القانون والعلوم السياسية، بغداد، ١٩٧٢م، الجزء ١، الصفحة٣٦١

(٢) اصالة الحضارة العربية، ناجي معروف، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٦٩م، الصفحة ٢٩١.

وكذلك اتبع الخلفاء الراشدون سيرة النبي محمد ﷺ، في الاعتماد على الرسل بنشر الدعوة الإسلامية ولاسيما أنهم كانوا رسل النبي محمد ﷺ وسلم الى الأقوام الأخرى.

فقد جاءت هذه البعوث بعد التمكين والاستقرار لحال الإسلام والمسلمين، "فلما رجع الرسول من صُلْح الحديبية، ورأى سرعةَ إسلام الأفراد والقبائل، وجد أنه قد آن الوقت لتعميم الدعوة إلى الإسلام في خارج جزيرة العرب، فاختار لذلك الغرض رُسلَه من تجار المسلمين، الذين سبق أن رحلوا إلى البلاد التي يريد دعوةَ ملوكها إلى الإسلام ممن يَعرِفون عاداتهم"(١).

المطلب الثاني

صفات السفراء في المنهج النبوي

ومن المنهج النبوي في اختيار سفرائه، تمتعهم بعدد من الصفات:

١. الإيمان والرقابة:

العقيدة الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الرقابة الذاتية لان موضوعها التوحيد وذلك ان التوحيد هو حق لله على عباده ومن اجله بعث الله رسله وانزل كتبه يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴾(٢).

الدبلوماسية" بحاجة شديدة إلى رقيب نفسي تحاسب النفس به ذاتها قبل أن يحاسبها سواها سمي الضمير او القلب او الخلق او الدين فقط تختلف الاسماء

(١) محمد رسول الله ﷺ، الشيخ محمد رضا، سطور الجديدة، ١٩٩٢م، الصفحة ٢٦٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

باختلاف الاصطلاح والثقافة، ولكن المعنى سيظل واحدا وهو أنه يجب ان يكون للنفس منها عليها سلطان"[١].

فالمقصود بالضمير الحي في الأخلاق أن يشعر الإنسان في اعماقه بالقوة المعنوية التي تستطيع فضله عن القيام باي عمل قبيح فتحرضه على العمل الجيد وهذه القوة يعبر عنها في الدين الاسلامي بمحاسبه النفس او الخوف من الله او مراقبته[٢].

والإسلام يرى أن هنالك حاسة في طبيعة الإنسان تهديه إلى الفضيلة والخير فحاسة البصر وجدت ليرى الحقيقة وحاسة السمع ليسمع الاصوات وحاسة العقل حتى يميز الشر من الخير وحاسة الاخلاق ليميز بين الحق والباطل فهذه الحواس يجب ان تعمل على هداية الانسان في جميع المجالات[٣].

وتشكل هذه الرقابة وازعا دينيا لا يساوم المسلم عليه لأنه سيخسر اخرته فهو قد قام بتجاره او عقد ديني بينه وبين الخالق من خلال طاعته له والسمن سيكون فوزه في الجنة وفي الدنيا يرضى الله عنه[٤].

---

(١) الشرباصي، يسألونك في الدين والحياة، دار الجيل، بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٢م، الجزء ٤، الصفحة ٢٦٨.

(٢) احمد أمين، الاخلاق، الصفحات ١٥-١٦. ينظر: تعريف الضمير الحي، القاضي الباطن الذي يحكم على افعال الانسان فيستحن الحس ويستقبح القبيح.

(٣) سميرة معتوق بليلة، الأسرة المسلمة ومهمتها في تنمية الرقابة الذاتية لدى الطفل، الصفحة ٣١.

(٤) الدكتور سعود الضحيان، الصفحة ٦٢.

فالرقابة الذاتية تقوم سلوك الانسان وتجعله يخاف من الله تعالى وهي عباده[١] حث عليها الدين الاسلامي يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٢].

فمن الضروري الامتثال لأوامر الله والتقرب اليه لأنها عباده قلبيه سيؤجر عليها المسلم لذلك حرص الاسلام على تنميتها وعلى محاسبه النفس وأركز واكد هذا بقوله: ﴿ ...وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ... ﴾[٣].

ضمير الانسان هو الذي يستطيع ان يحدد الصواب من الخطا في اعماله وتصرفاته اي هو الذي يميز بين الحق والباطل ويؤدي الى شعور الانسان بالندم عندما تتعارض افعاله مع قيمه فيشعر بالنزاهة والاستقامة وهنا قد يختلف الامر نتيجة اختلاف نشأته وبيئته ومفاهمة الأخلاقية ولأهمية هذا الضمير فقد جعله الفلاسفة القدماء محورا لمؤلفاتهم فتطرقوا اليه وربطوه ربطا مباشرا بالأخلاق[٤].

وتحت هذا العنوان يندرج اتصاف المبعوثين بحفظ القرآن والسنة، حرص النبي ﷺ على أن يبعث من يمثله إلى الملوك والقبائل والجهات البعيدة من أصحابه الذين جمعوا بين الفقه في الدين وحفظ القرآن ومعرفة السنة، ليكونوا أهلًا لتحمل الرسالة وتبليغها بأمانة وبيان. فالمبعوث لم يكن مجرد حامل لكتاب، بل كان داعية

---

(١) ينظر: كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي، كتاب القصد في العبادات، الجزء ١، الصفحة ٤٥.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٣) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٤) منيفة بنت ظاهر محمد العنزي، الرقابة الذاتية وأثرها في تقويم سلوك الفرد والمجتمع في ضوء الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية، اشراف علي بن عتيق الحربي، ٢٠١٤م، الصفحة ٤٤.

ومفتيًا ومعلّمًا. وقد اختار النبي ﷺ من الصحابة من عُرفوا بحفظهم للقرآن، كمعاذ بن جبل الذي وصفه بأنه "أعلم أمتي بالحلال والحرام"(١)، ومنهم عبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت، فهؤلاء كانت لهم دراية دقيقة بالنصوص الشرعية، ما جعلهم مؤهلين لتمثيل الإسلام في البيئات الجديدة. وكان الحفظ والفهم شرطًا ضمنيًا يضمن حسن العرض للرسالة، وسلامة البيان، وتمكن الإجابة عن أسئلة الملوك أو أهل البلاد فيما يخص العقيدة والتشريع(٢).

كما أن النبي ﷺ علّم مبعوثيه منهجية في الاجتهاد والفتوى عند غياب النص، وهو ما يتجلّى بوضوح في حديثه مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فقال له: «بِمَ تَقْضِي؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ الله»(٣).

ويُعدّ هذا الحديث أصلًا في تأصيل فقه الاجتهاد، ويكشف عن ثقة النبي ﷺ بأصحابه من أهل العلم والفهم، وحرصه على تهيئتهم لمواقف الدعوة والتعليم التي لا تتوفر فيها دائمًا النصوص الصريحة، مما يجعل الاجتهاد ضرورة في ضوء أصول الشريعة ومقاصدها. وقد مثّل هذا التوجيه النبوي أساسًا لتقعيد منهج الفتوى والعمل في البيئات المختلفة، خصوصًا حين لا يكون النص حاضرًا أو لا يكون السائلون على علم به(٤).

---

(١) رواه الترمذي، ابواب المناقب عن الرسول ﷺ، باب مناقب معاذ ابن جبل، الجزء ٦، الصفحة ١٢٧، رقم الحديث ٣٧٩٠.

(٢) الدعوة الاسلامية اصولها ومنهجها، محمد عمارة، دار العلم، بيروت، الصفحات ٤٧-٥٠.

(٣) رواه أبو داود، باب اجتهاد الرأي في القضاء، الجزء ٤، الصفحة ١٥، رقم الحديث ٣٥٩٢.

(٤) ينظر: ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الاصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، الصفحة ٢٥٠.

٢. اتصافهم بالحكمة:

الحكمة في اللغة: المنع، والعلم، والإتقان، والعدل، والحلم، والنبوة والرسالة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، وطاعة الله، والفقه في الدين والعمل به، أو الخشية، أو الفهم، أو الورع، أو العقل، أو الإصابة في القول والعمل، أو التفكر في أمر الله واتّباعه. وكذلك القدر والمترلة[١].

والحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها: حَكِيمٌ[٢].

والحكمة في الاصطلاح. قيل: هي عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على معرفة الله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل[٣]، وقيل: الإصابة في القول والعمل[٤]. وقيل: الإصابة في معرفة الحق والعمل به، والدقة في وضع الأمور موضعها الصحيح[٥]، وقيل: الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه بأحكام وإتقان[٦].

---

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، باب الحاء، مادة (حكم)، الجزء ١، الصفحة ٣٤٣.

(٢) لسان العرب، ابن منضور، حرف الميم، فصل الحاء، مادة (حكم)، الجزء ١٢، الصفحة ١٤٠.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، محي الدين يحي بن شرف، النووي، الطبعة ١، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٤٧هـ، الجزء ٢، الصفحة ٣٣.

(٤) مدارج السالكين، بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيّم الجوزية، القاهرة دار الحديث، الجزء ٢، الصفحة ٤٩٨.

(٥) وسائل الدعوة، عبد الرحيم بن محمد، محمد المغذوي، الصفحة ٣١.

(٦) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن على القحطاني، الطبعة ٢، توزيع المؤسسة الجريسي، ١٤١٣ هـ، الصفحة ٣٠.

والتعريفان الأخيرتان أجودهما وأشملهما وإن كانت التعريفات السابقة تطرقت لموضوع الحكمة إلا أنها تعرضت لجزء من معانيها.

وما يدل على وجوب تمتع المبعوثين بالحكمة ما جاء في امتنان الله عز وجل على نبيه ﷺ وعلى أمته بما أتاهم من الحكمة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

وقال الله عزّ وجلّ:﴿ ... وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[2].

وقد أثنى الله جلّ شأنه على من اتصف بها، وحققها، فقال جل جلاله: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[3].

وجاء الأمر بها في الدعوة إلى الله تعالى، فقال تقدست أسماؤه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٥١.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها "(١).

الحكمة هبة من الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده، ومن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وقد أكَدَت على أهمية الحكمة آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث رسول الله ﷺ المتكاثرة، والتي تدل دلالة واضحة على عظم حاجة الناس إليها، والأخص الداعية ومدى ضرورة قيام دعوته على الحكمة " لأن طبيعة الدعوة تتطلب الحكمة، سواء في عرض موضوعها، أو أسلوبها ومنهجها، والمتمعن في كتاب الله تعالى ليدرك هذا الأمر تمام الإدراك، حيث أن الأمر بالحكمة في الدعوة واضح كل الوضوح، وكذا في سنة الرسول ﷺ ففيها الحكمة التامة في تبليغه الدعوة والقيام بأمر ها، وكذا نجد هذا الأمر واضحاً في سيرة سلف الأمة الصالح، حيث قاموا رحمهم الله تعالى ورضي عنهم بالدعوة إلى الله بالحكمة والاتسام بها، فأينعت وآتت أكلها "(٢).

فالتدرج في الدعوة مهمّ للغاية، ويحسن بالداعية أن يبدأ بالأهم فالمهم، وأول ما يبدأ به هو الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة لله تعالى.

حتى إنّ النبي ﷺ كان يبعث دعاته إلى الآفاق ويوصيهم بأهمية البدء بهذا الأصل العظيم، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ بعث معاذاً رضى الله عنه إلى اليمن فقال ﷺ: " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنّ الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة(٣).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، الجزء ١، الصفحة ٢٥، رقم الحديث ٧٣.

(٢) وسائل الدعوة، احمد عبدالعزيز الحمدان، الصفحة ٣٩.

(٣) الحديث متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: " إنك تقدم على قوم أهل الكتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات... الحديث "[1].

٣. الموعظة الحسنة:

الوعظ في اللغة: النصح، والتذكير بالعواقب[2]، وقيل: الوعظ: التخويف[3]، وقيل: هو تذكيرك للإنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب وعقاب[4].

وفي الاصطلاح: زجر مقترن بتخويف[5]، وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[6].

ومن العلماء من قسّم الموعظة أو العظة إلى قسمين: " عظة بالمسموع، وعظة بالمشهود؛ فالعظة بالمسموع: الانتفاع بما سمعه من الهدى والرشد والنصائح

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، الجزء ٢، الصفحة ١١٩، رقم الحديث ١٤٥٨.

(٢) الصحاح في اللغة، باب الظاء، فصل الواو، مادة (وعظ)، الجزء ٣، الصفحة ٤٣٥.

(٣) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، باب الواو والعين، مادة (وعظ)، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، الجزء ٦، الصفحة ١٢٦.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، حرف الظاء، فصل الواو، مادة (وعظ)، الجزء ٧، الصفحة ٤٦٦.

(٥) مفردات غريب القرآن، الحسين بن محمد، الطبعة ١، مكة المكرمة، مكتبة الباز، ١٤١٨هـ، الجزء ٢، الصفحة ٦٨٣.

(٦) التعريفات، على بن محمد، الجرجاني، بيروت، دار الكتاب العلمية، الطبعة ٢، ١٤٢٤ هـ، الصفحة ٢٤٨.

التي جاءت على يد الرسل وما أوحي إليهم وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا(١).

والعظة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر وأحكام القدر ومجازيه وما يشهده من آيات الله الدالة على صدق رسله "(٢).

قال الله جل ثنائه وتقدست أسماؤه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾(٣).

وجاء الأمر بها في الدعوة إلى الله تعالى، فقال تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ... ﴾(٤).

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: " **كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل** " وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك(٥).

---

(١) الاسلوب في القرآن الكريم، محمد قطب، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، الصفحات ٧٥-٨٠.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الجزء ١، الصفحة ٤٧٨.

(٣) سورة النساء: الآية: ٦٣.

(٤) سورة النحل: الآية: ١٢٥.

(٥) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، الجزء ٨، الصفحة ٨٩، رقم الحديث ٥٩٣٧.

وما ورد في سنة المصطفى ﷺ وسيرة صحابته رضوان الله عليهم يفوق الحصر من المواعظ والتذكير بأيام الله التي تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجة على الخلق، وسِمَتها الجمع بين الوعد والوعيد في أغلبها(١).

ومما يدل على أهمية الموعظة الحسنة اهتمام القرآن بها والحث عليها، بل أنّ القرآن الكريم هو نفسه هدى وموعظة وذكرى لمن أراد بالحق وابتغى الخير، يقو الله عزّ وجلّ: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣).

فقوله تعالى: (وموعظة) أي: وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله، وتبيّن لهم عبرة ممن كفر به وكذب رسله. وقوله: (وذكرى للمؤمنين) أي: وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله، كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم(٤).

وسيرة أنبياء الله ورسله عليهم السلام مع أقوامهم تزخر بالنصائح المؤثرة والمواعظ البليغة(٥)، فقد جاءت آيات القرآن الكريم ببيان منهجهم الدعوى، ومدى حرصهم عليه السلام على منفعة المدعوين وإيصال الخير إليهم، يقول الله تبارك

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، الجزء ٤، الصفحة ٤٩٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٨.

(٣) سورة هود: الآية ١٢٠.

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة ١، القاهرة، دار الهجرة، ١٤٢٢هـ، الجزء ١٥، الصفحة ٥٤٣.

(٥) ينظر: احياء علوم الدين للامام الغزالي، كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجزء ٢، الصفحة ٣٠٦.

وتعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1]، وقوله جلّ شأنه: ﴿...وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[2].

فهذا دليل على أهميتها وضرورة تطبيقها في الدعوة إلى الله تعالى، فالمواعظ والنصائح الحسنة فيهما خيراً الدنيا والآخرة، وهى زاد الداعية إلى الله لكسب قلوب المدعوين والتأثير فيهم، كلّما كانت النصيحة أو الموعظة صادرة من القلب بإخلاص وعلم وحكمة.

في مجرى واحد، وهي الدعوة إلى الإسلام والدخول فيه أفواجًا، ونبْذ ما سواه من الأنداد والطواغيت، ومن ذلك ما كتبه رسول الله ﷺ إلى المُقوقِس، عظيم القِبْط جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدِ الله ورسوله إلى المُقوقِس، عظيم القبط، سلام على مَن اتَّبَع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدِعاية الإسلام، أسلم تَسلَم يؤتِك الله أجرَك مرتين، فإن تولَّيتَ فعليك إثم كلِّ القبط[3]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4].

٤. القدرة على الإقناع والتأثير بالآخر:

ليست براعة مجرد القدرة على صياغة العبارات وانتقاء المفردات والكلمات فقط، وإنما شحن هذه الكلمات بطاقات إيحائية وشحنات عاطفية صادقة، لتؤثر في المشاعر وتترك أثراً في النفس، وبذلك تتحقق أهداف الرسالة في التأثير والإقناع وهذا يستلزم توظيف الحجاج ودعمه بالشعر أو القصة أو المثل. مع إثارة الصور والرموز

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٩.

(٣) ينظر: اصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، الوسائل والاساليب الدعوية، الصفحة ٣٢١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

في ذهن المتلقي، واستخدام البراهين والإشارة والتلميح. خاصة وأن الإقناع الهادف يعمل على مخاطبة عقل الجماهير لإقناعها بفائدة مضمون الاتصال وذلك لكسب تأييدها. وهذا ما يندرج تحت إطار ما يسمى بمبادئ الإقناع فمنها: الصياغة الواضحة للرسالة أي أن يكون وضوح الهدف من الإرسال ومراعاة قابلية المستمع للاستيعاب(١).

والتفاعل مع الآخرين: وهو ما يسميه (طه عبد الرحمن)(٢) بالاجتماعية وهي أن المحاور يتوجه إلى غيره مطالباً إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه وهذه المطالبة تزيد الحوارية بينهم وهذا ما يعطي البعد الاجتماعي رسوخاً، وذلك محاولة لتجاوز الخلافات في الرأي(٣).

أضف إلى ذلك الموضوعية: التي تتمثل في اتجاه المتلقي، بأن يبدي رأيه في تحيزه أو عدمه. والتخطيط الجيد لعملية الإقناع: فمن أبرز عناصر التخطيط هو الوقت المناسب للتفكير في إرسال الرسالة بحيث يكون الطرف الثاني جاهزاً لقبولها، فكل إنسان يستجيب بشكل إيجابي لأسلوب من نوع معين. وبعد الاطلاع من قبل الطرف الثاني لابد من إرجاع الأثر وردة الفعل. مما يؤدي إدراك العوامل النفسية لدى المتلقي، وفي ضوء ذلك يقول طارق سويدان في هذا الصدد فالقائد الفعال لديه القدرة على توقع ما يدور في النفوس، ومن ثم القدرة على التعامل مع كل شخص حسب ما

---

(١) الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة ٢، ٢٠٠٦م، الصفحة ١٨

(٢) طه عبدالرحمن: فيلسوف مغربي ولد سنة ١٩٤٤م.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، الطبعة ٢، الصفحة ٣٧.

يناسبه[١] وأما المهارة الإقناعية فتتمثل في المهارة الاتصالية للمخاطب، أي امتلاك القدرة والتمكن من التحدث أو الكتابة ليستطيع التأثير في الآخرين. ولذلك عرفه والاس (Wallace) على أنه تأثير المصدر في المستقبلين ومساعدة في تحقيق الأهداف المعينة[٢]، وعليه تكون عملية الإقناع هي إيصال للأفكار والمعلومات والقيم، عبر مراحل معينة فقد تكون إيحاءات أو إيماءات. فالإقناع إذاً يستهدف التأثير على الطرف الآخر على سلوكه أو على تفكيره باستخدام الحجج والبراهين.

ومما ينتج عن الإقناع الاقتناع أو الرفض، لكن يجب أن نميز بين مفهومي الاقتناع والإقناع فكما سبق وذكرنا أن الإقناع: عملية تواصلية تتم عن طريق المصدر يوجهه إلى المستقبل عن طريق وسيلة إقناعية وتقابل إما بالرفض أو القبول وتصدر النتيجة إما خطابياً أو كتابةً.

أما الاقتناع فيعد أثراً ناتجاً عن العملية الإقناعية فالاقتناع conviction هو الأثر الناجم عن عملية الإقناع لدى المتلقي حين توافر الظروف من عند المرسل فيحدث الانسجام بين الرغبة الذاتية[٣] والهدف المطلوب.

فحين الاقتناع بالشيء تحدث الرغبة به وهو إذعان نفسي وحالة طمأنينة تسكن فيها النفس، ويخضع لها العقل وهو مبني أيضاً على الأدلة العقلية في حين أن الإقناع يسمح باستعمال الخيال وإذا علمنا بأن معظم الناس لا يتأثرون إلا بالخيال، أدركنا ما للإقناع من أثر يحدثه في نفس الجماهير. في حين يرى عبد الله صولة أن مصطلح persuasion هو الحمل على الإقناع، والحمل على الإقناع يكون من قبل الغير أما الاقتناع يكون من تلقاء نفس المرء[٤].

---

(١) صناعة القائد، د. طارق السويدان، الصفحة ١٤٧.

(٢) الإقناع الاجتماعي، د. عامر مصباح، الصفحة ١٦.

(٣) الخطاب الإشهاري وواقعية الحجاجية، عبد الرحمن، الصفحة ١.

(٤) الحجاج في القرآن الكريم، الصفحة ٣١.

في حين ربط عامر مصباح مفهوم الإقناع بالتأثير إذ أوضح أن للإقناع مفهوم آخر هو التأثير وفي نظره هذان المفهومان متلازمان والتأثير يشير إلى الحالة الانفعالية التي يكون عليها الفرد بعد التعرض للإقناع واستقبال الرسائل والتفاعل معها[١] فنخلص إلى أن توافر الإقناع مهم في جميع جوانب الحياة للفرد أو المجتمع.

وقد عالج حازم القرطاجي موضوع الإقناع وتناوله بالتعريف بقوله (إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن طلبه واعتقاده وفعله).أما عن بلاغة الإقناع فقد دارت أكثر فصول كتاب الجاحظ في (كتابه البيان والتبيين) حول إبراز الجانب التأثيري والإقناعي، وكان مجمل ما تناوله عن تعريف الإقناع بأنه كاشف لقناع المعنى وكي يفضي السامع إلى حقيقة الأمر والغاية منها تكون الفهم والإفهام، فالحد الذي يبلغ فيه المرء الإفهام يكون ذلك هو البيان. . . فالبيان مفهوم عام لغوي هدفه تحقيق الفهم والإفهام والمعنى مع التركيز على الجانب التواصلي بين المتكلم والسامع، ويعد البيان من آليات البلاغة التي تستعملها لتحقيق الغاية الإفهامية، ولم يكتف الجاحظ بتعريف البيان فقط بل ان القول يفصل في الكلام والشروط التي تكون تتوجب متوفرة فيه حتى يصبح أكثر بلاغة، بأنه مجموعة أدوات قادرة على استجلاء غموض المعاني واستيعاب الفكرة التي يطرحها المتكلم أو المرسل لتحقيق الاستجابة المطلوبة وهذا ما يحقق البعد الاتصالي عبر الفهم والإفهام[٢].

ولم يقف الجاحظ عند قضية الفهم والإفهام بل تجاوزها إلى قضية أخرى أساسية وهامة وهي إبراز الوظيفة الإقناعية للبلاغة بوساطة استمالة القلوب. أمالا إذا نظر المتلقي إلى القائم بالاتصال باعتباره غير ملم بالمعلومات الكافية فسيرفض توقعاته وبالتالي تفشل الرسالة في إثارة ردود أفعال عاطفية، لأن التعرض السابق

(١) الإقناع الاجتماعي، عامر، الصفحات ١٧-١٨.

(٢) الجاحظ، البيان والتبين، الجزء ١، الصفحة ٧٥.

للمعلومات يؤدي إلى نوع من التحصين العاطفي مما يزيد من الإثارة العاطفية.

من الطبيعي ان تكون الاساسات أو المرتكزات التي تتحكم بنظام ما هي المسؤولة عن قيامه أو عن انهياره، وكلما كانت هذه الاساسات مبنية وفق اسس علمية كان البناء اكثر متانة'[١] ولا يتعلق هذا بالجانب المادي فقط وانما يشمل الجانب المعنوي أو ما يخص الخطط والافكار[٢].

وبذلك فإن المبعوثين يجب أن يكونوا على قدر عال من الإقناع والقدرة على التأثير في الملوك.

أعطى رسول الله ﷺ لرسله من خلال هذه الكتب مجموعةً من الحقوق لفائدة رُسُله المبعوثين إلى الملوك والأمراء عبر مختلف الأقطار والرُّبوع، وهي ما يَصطلِح عليها علماء القانون بالحصانة الشخصية، وهي "أكثر عالمية من حيث القَبُول، مُفادها حُرْمة شخص المُعتمِد وأشيائه وحقائبه السياسية ودار الاعتماد، وهي تقضي بتحريم كلِّ تَعرُّضٍ أو اعتداء على ذلك، وهذه الحصانة يُقِرها الإسلام بمقتضى الأمان".

ومن ذلك ما جاء في كتابه ﷺ إلى المُنذِر بن ساوَى التميمي قوله: ((أما بعد، فإني أُذكِّرك الله عز وجل فإنه مَن يَنصَح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يُطِع رسلي ويتَّبِع أمرَهم فقد أطاعني، ومَن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا))[٣].

فبُعوثه ﷺ إلى الآفاق، والداعية لملوك وأمراء الأرض إلى دين الله الواحد الأحد "تُعَد نقطة تحوُّل في سياسة دولة الرسول الخارجية، فعَظُم شأنها، وأصبحت لها

(١) ميشيلي لوغران، الاستعارة والحجاج، الصفحة ٨٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمد رسول الله، الشيخ محمد رضا، الصفحة ٢٧٦.

مكانة دينيَّة وسياسية بين الدول، وذلك قبل فتح مكة، كما أن هذه السياسة مهَّدت لتوحيد الرسول ﷺ لسائر أنحاء بلاد العرب في عام الوفود"[١].

وقد استطاعت هذه البعثات بدقة اختيار المبعوثين والكلام المرسل ادخال عدد كبير منهم في الإسلام بفضل الله. فقد قيل لرسول الله ﷺ، عندما أراد إرسالَ كتبه إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام: إنهم لا يقرؤون الكتابَ إلا إذا كان مختومًا، فاتخذ ﷺ خاتمًا من فضة، وكان نقْشه ثلاثة نقوش، سطر (محمد) سطر (رسول) سطر (الله)، والأسطر تُقرأ من أسفل إلى فوق، فـ"محمد" آخر الأسطر، و"رسول" في الوسط، و"الله" فوق، وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء إذا ختَم به، فكان ذلك الخاتم في يده ﷺ، ثم في يد أبي بكر، ثم في يد عمر، ثم في يد عثمان رضي الله عنهم، حتى وقع في بئر أريس في السَّنة التي قُتِل فيها عثمان رضي الله عنه[٢].

٥. التحلي بالأخلاق:

كانت الأخلاق مطلباً ضرورياً لكل ملة ونحلة، مكارم الأخلاق ضرورية اجتماعية لا يستغني عنها أحد؛ فإنها في الدين الإسلام أهمّ وأغلى، وقد أعطاها الإسلام أهمية عظمى، ومكانة عليا، بل ورتب عليها الثواب والعقاب، بقدر ما يكون من الالتزام بها قولاً وفعلاً.

الخلق في اللغة: السجيّةُ، والطبعُ، والمروءةُ، والدينُ[٣].

---

(١) السيرة النبوية؛ للدكتور محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة ٧، ١٤٢٩هـ، الصفحة ٤٤٤.

(٢) محمد رسول الله، الشيخ محمد رضا، الصفحة ٢٧٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، باب القاف، فصل الخاء، مادة (خلق)، الجزء ٣، الصفحة ٣١٠.

والاصطلاح: الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية[١]، وقيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى وكفّ الأذى وطلاقة الوجه[٢]. وقال الشيخ محمد الغزالي[٣] وعلى هذا الأساس نحصي ما يجب أن يتخلق به الدعاة من أوصاف وآداب:

أولاً- الصلة بالله: وتلك هي الدعامة الأولى في أخلاق " الدعاة"، وهذه الصلة تشمل في موكبها أوقي ما في الحياة، وأكفل أسباب النجاة.

ثانياً- إصلاح النفس: وهذا جهد لا ينفك عنه مسلم، وهو بالدعاة ألصق، ولعل أولى هدايا الصلة الحسنة بالله أن يعرف المرء نفسه، وأن تتكشف له نواحيها جميعاً؛ فلا يؤتي من ناحية يجهلها.

الأخلاق سجيّة للمرء، سواء كانت هذه الأخلاق فطرية أو مكتسبة، فالأخلاق بالنسبة لـ (الداعية) هي "آلة سلطانه، وأسّ إمرته، وليس يمكن صلاح جميعها بالتسليم إلى الطبيعة، إلا أن يرتاض لها بالتقويم والتهذيب، رياضة تهذيب، وتدريج وتأديب، فيستقيم له الجميع، بعضها خلق مطبوع، وبعضها خلق مصنوع"[٤].

---

(١) تهذيب الأخلاق، أحمد بن محمد بن مسكوبه، الطبعة ١، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤٠١هـ، الصفحة ٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، فهد بن ناصر السليمان، جمع وترتيب، الطبعة ٢، الرياض، دار الوطن، ١٤١٣هـ، الجزء ٧، الصفحة ٩ .

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، المكتبة الإسلامية، لصاحب الحاج رياض الشيخ، الصفحات ١٨٨-١٩٢ باختصار.

(٤) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في أخلاق المَلِك وسياسة المُلْك، المؤلف: أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، تحقيق: د. محي هلال السرحان (ت: ١٤٤٦هـ)، مراجعة وتقديم: د. حسن الساعاتي (ت: ١٤١٨ هـ)، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الصفحة ٨.

يقول (ستيفين كوفي): "يحظى الذين يتمتعون بمكارم الأخلاق بإحساس عالٍ يمكنهم من إدراك مسؤلياتهم تجاه كل ما يحيط بهم، فهم يدركون مسؤولياتهم تجاه وقتهم ومواهبهم و أموالهم وممتلكاتهم وعلاقاتهم وأسرهم وأبدائهم، كما أنهم يدركون حاجتهم إلى استغلال كافة مواردهم وقدراتهم لتحقيق أهدافهم الثابتة، ويعلمون أنهم مسؤولون ومطالبون ممن حولهم بتحقيق تلك الأهداف.

ويقابل الذين يتمتعون بالعظمة الأساسية تلك الإساءة بالإحسان، واللجاجة برحابة الصدر، ويغرسون السلوك القويم فيمن حولهم بالتزامهم بالعفو عمّن ظلمهم، وإعراضهم عن الجاهلين، وتسامحهم، وتغاضيهم عن الإساءة، واستعدادهم لبذل المزيد من الجهدن في سبيل أن يعمّ الحب بين الجميع، وبابتسامهم التي تصاحبهم دائماً في كل دروب الحياة، وإيمانهم بأن الجميع يحملون بين طيات صدورهم بذور الخير، وأن الصدق لا بدو أن ينتصر في النهاية "[1].

الرسول محمد ﷺ عندما دعا إلى الإسلام وأراد تثبيت الأسس الإسلامية والدعائم الإسلامية والدعوة إلى استقلالية المجتمع الإسلامي دعا إلى ذلك بطرق عقلاني أخلاقية إنسانية لأنه يدرك أن هذا هو الصواب و أن هذا هو الحل الأمثل لاستقلال الإسلام وهو الحل الأمثل لشمولية الإسلام إلى أكثر من منطقة في العالم، فالقيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير لأنها صالحة لكل زمان ومكان وإن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور وإن الحق سيظل هو الحق لا يتغير. ولذلك فإن أبرز قواعد الإسلام هو ثبات القي وبالتالي ثبات الأخلاق وإن الالتزام الخلقي هو قانون أساسي يمثل المحور الذي تدور حوله القيم الأخلاقية فإذا زالت فكرة

(١) القيادة المرتكزة على مبادئ، ستيفين كوفي، ترجمة : مكتبة جرير، مكتبة جرير، السعودية، ٢٠٠٥م، الطبعة ١، الصفحة ١٠٥.

الالتزام قضي على جوهر الهدف الأخلاقي، ذلك انه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه. والإسلام يحمل قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا ينبع من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين.

ولذلك فإن الرسول محمداً ﷺ أول ما جاء في دعوته، وقبل أي شيء وقبل أي كلمة أو تركيب أو دعوة تحدث عن النظم الأخلاقية بقوله ﷺ، ((إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1]، فالإنسان في طبعه يولد أخلاقياً لكن هناك عوامل تؤدي به إلى الخروج عن القانون والأخلاق، ولذلك الرسول قبل الدعوة للتوحيد والحديث في الجوانب الدينية وعبادة الله تعالى والجوانب الروحية دعا للأخلاق لأنه يدرك أن الإنسان قبل كل شيء ميزانه أخلاقه فإذا جرد من الأخلاق أصبح من دون روادع، ولذلك فإن هذا الحديث يتحدث عن كثير من الأمور التي تطول و تطول، جاء النبي محمد ﷺ ليكمل ويتمم ما بناه الأنبياء والرسل من قبله من أخلاق عظيمة. وجاء الإسلام ليزيح أي خُلق سيء كان في الجاهلية، ويبني مكانه خُلق حسن، ويحافظ على كل خُلق حسن كان عند العرب قبل الإسلام.

الأخلاق أمر عظيم عن المسلمين، وميزان يرفع المسلم إلى أعظم درجات الجنان، وينال بها رضى الله –تعالى.-من الأخلاق الحسنة عند العرب قديماً؛ الكرم والصدق والأمانة، وأيضاً العزة وإغاثة الملهوف ونصرته، وكره الظلم.ومن الأخلاق التي أبدلها الإسلام وهذبها؛ التفاخر بالأنساب، واحتقار الضعفاء والفقراء، ووأد البنات.حث الرسول ﷺ على الأخلاق الحميدة، وأكد على أنه جاء ليتمم هذا البناء العظيم من الأخلاق؛ سواءً الأخلاق التي حث عليها الأنبياء الذين سبقوه –عليهم الصلاة والسلام–، أو تلك التي بقي العرب مُحتفظين بآثارها متمسكين بها، ورافعين

(١) صحيح مسلم، الصفحة ٧٦٦.

قدر من التزم بها. والله سبحانه و تعالى كذلك في كتابه العزيز تحدث عن الأخلاق بشكل عام وعن أخلاق سيدنا محمد بشكل خاص بقوله عز و جل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

ومن اتصاف الداعية بالأخلاق دعوة أبي سفيان إلى هرقل: قريش: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أن أبا سفيان بْنَ حَرْبٍ، أَخْبَرَهُ: (أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ – وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ – فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سفيان وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ، وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْأَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سفيان: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا. فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ. ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أن قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا

(١) سورة القلم: الآية ٤.

اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ).[1]

أسئلة هرقل، كانت دقيقةً للغاية، فقد سأل عن نسَب الرسول؟ ومَن أعلَم بالأنساب مثل أبي سفيان! ولكن يشهد أبو سفيان أن دعوة الرسول تُنادي بتوحيد الله، ثم بالصلاة وحُسن الخُلق والعفَّة في القول والسلوك[2].

[لقد قدَّم أبو سفيان صُورة شاملة عن الرسول ﷺ، وهي صورةٌ صادقة، توضِّح أنَّ أبا سفيان وهو مشرك، كان يَعلم جيِّدًا طبيعة رسالة محمد، وما يدعو إليه مِن مكارم الأخلاق، وصدْقه وأمانته، وأنَّ الحرب السِّجال التي كانت بين كفار مكَّة والنبيِّ في المدينة هي حرب على غير أساس عقلي أو أخلاقي أو ديني، فقد سلَّم زعيم قريش بعِظَم رسالة محمد، وعِظَم نَسَبه، وأنَّ دعوته في ازدياد، وأنَّ مَن يؤمن بالإسلام لا يتخلَّى عنه مهما حدَث له، وهذا يعني فيما يعني: ثبات موقف الرسول الحركي، وثبات أتْباعه، وتكاثُرهم، وأنَّ دعوته تغزو القلوبَ بيُسر، فإذا غزَت القلوبَ لا تُغادرها، ورغم أن الإسلام يُنادي أن يترْك الناسُ دِيانة آبائهم، وهي الشِّرْك والكفر بالله تعالى، إلَّا أنَّ الإسلام يأمر بالصِّلة – على حدِّ قول أبي سفيان – أي: صِلة الرَّحم، وهذا دليل على أن القضية ليست مُقاطعة الآباء، وإنما اتِّخاذ موقف مِن

(١) راجع: زاد المعاد، زاد المعاد في هَدي خير العباد، المؤلف: شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١ هـ)، حقّق نصوصَه وخرّج أحاديثه وعَلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، ت ١٤٣٨ هـ، عبد القادر الأرنؤوط، ت ١٤٢٥ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦، الجزء ١، الصفحة ٢١، ويستشهد بموقف أبي سفيان مع هرقل المذكور أعلاه. وانظر أيضًا: نور اليقين في سيرة سيِّد المرسلين، الصفحة ٩، والسيرة النبوية لابن هشام، باب النَّسَب الزَّكيِّ للرسول.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت ١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة ٢، ١٤٢٥هـ، الصفحة ٢٥٨.

العقائد التي كانوا يؤمنون بها، وهو موقف يُريد الصلاح للناس، وليس قطيعة الرحم. وهكذا فإن أبى سفيان كان نعم الداعية والسفير إلى هرقل][1].

قال أبو سفيان: وايم الله لولا مخافة أن يؤثر عليَّ الكذب لكذبت) يقسم بالله أبو سفيان لولا أنه يؤثر عليه الكذب –أي: يتناقل العرب أن أبا سفيان كذب في يوم من الأيام مع شركه وكفره وعبادته للأصنام؛ فكان يستقبح الكذب إما بشرع من قبلنا وإما بالعرف والعادة، وما كان عليه بعض العرب من مكارم الأخلاق، وأن الكذب كان عندهم مستهجن ومستقبح؛ ولذلك تمنى أبو سفيان أن يكذب في هذا الموطن؛ لأن رأس مال أبي سفيان محاربة هذا النبي، ولذلك حينما سأله هرقل: هل يكذب هذا النبي؟ قال: لا[2].

فالداعية والمبعوث يجب أن يتمتع بالصدق الذي يترافق مع الشجاعة هنا القدرة على استخدام القوة في الحق، والإعداد الصحيح لها، وإظهار القوة للغير؛ لأجل المهابة، وحفظ الهيبة مهم جداً في ميزان القوى، ولا مانع من ركوب الشدة مع المعاند واستعمال القوة في إرهاب من يصد عن الدعوة، أو لحماية الدعوة من الأخطار المحيطة بها[3].

ولكن هذه الشجاعة يجب أن تمتزج بها هي التواضع، لأنه من أنبل السمات التي تجعل الداعية منصلاً مع الناس، وهذا الطبع يجعل الداعية طيب لين، وتخوله

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) شرح صحيح مسلم. المؤلف: أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الجزء ٤، الصفحة ٩٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، الجزء ٢، الصفحة ٢٦٤١.

إلى ان يتملك قلوب الناس طواعية[١]، وهذه الصفة موجودة بكثرة في القرآن ، مثل قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٢].

وهكذا، فإن الداعية في الإسلام وفق المنهج النبوي لاختيار السفراء يجب أن يتمتع بصفات كثيرة أبرزها، حسن الأخلاق من صدق وشجاعة، وتواضع القدرة على الإقناع، واستعمال الموعظة الحسنة، وما إلى ذلك.

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي، الصفحة ٢٤٦.

(٢) سورة طه: الآية ٤٤ .

المبحث الثالث

التوقيت النبوي في إرسال الرسائل والمبعوثين

المطلب الأول

الوقت النبوي لإرسال المبعوثين

حرص النبي ﷺ على اختيار صلح الحديبية إيذانًا ببداية المد الإسلامي، فقد انساح هذا المد إلى أطراف الجزيرة العربية بل تجاوزها إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية فمنذ (أن عقد الرسول ﷺ صلح الحديبية مع قريش وما تلا ذلك من إخضاع يهود شمال الحجاز في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك إلى سيادة الإسلام، فإن الرسول لم يأل جهدا لنشر الإسلام خارج حدود الحجاز، وكذلك خارج حدود الجزيرة العربية، وقد عبر – عليه الصلاة والسلام – عن هذا المنهج قولاً وعملاً من خلال إرساله عددًا من الرسل والمبعوثين إلى أمراء الجزيرة العربية وإلى ملوك العالم المعاصر خارج الجزيرة العربية.

وتعد هذه الخطوة نقطة تحول هامة في تاريخ العرب والإسلام ليس لأن الرسول سوف يوحد عرب الجزيرة العربية تحت راية الإسلام فحسب، ولكن لأن هؤلاء العرب بعد أن اعتنقوا الإسلام وتمثلوا رسالة السماء أنيط بهم حمل الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة)[1].

ويشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الأمراء والشعوب، اختار الرسول ﷺ أسلوبًا جديدًا من أساليب الدعوة وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى

---

(١) ينظر: السفارات النبوية : الى ملوك العالم وامراء أطراف الجزيرة العربية، محمد أرشيد العقيلي. الناشر، بيروت، دار احياء العلوم، تاريخ الإصدار، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، الصفحة ١٥.

الملوك والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية ودولتها في المدينة[٥] وبذلك حققت هذه الرسائل نتائج كثيرة، واستطاعت الدولة الإسلامية من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الرسائل أن تنتهج نهجًا سياسيًّا وعسكريًّا واضحًا ومتميزًا[١].

من المعروف أن الإسلام منحَ العرب دينًا جديدًا يقوم على التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمّدًا ﷺ رسول اللّه، فلم تعد هناك آلهةٌ بالعشرات تُعبَد، ولذلك عندما دخل الرّسول مكّة المكرّمة فاتحاً لها كان أوّل أمرٍ له هو تحطيم جميع الأصنام المحيطة بالكعبة، ومنح أهل مكّة العفو عمّا ارتكبوه بحقّه وحق المسلمين من أذى، ومنحهم الوحدة؛ فهذا المجتمع العربي المفكّك أصبح بفضل اعتناقهم الدّين الإسلامي يشكّل نظامًا اجتماعيًّا واحدًا يقوم على الإيمان المستمدّ من كتاب واحد هو القرآن الكريم، والّذي أصبح دستور هذه الأمّة والهادي لها، وأصبح العرب بفضله أصحاب فكر وعلم ومعرفة، وسيقدّر لهم أن يكتسحوا العالم أمامهم بفضل إيمانهم بالدعوة الجديدة ومنحهم القوّة[٢].

فقد أصبح العرب بفضل الإسلام قوّة لا يستهان بها، ولو عدنا إلى بدايات الدعوة الإسلاميّة لرأينا حالة الضّعف التي كان عليها المسلمون الأوائل وما تعرضوا له من اضطّهاد وتعذيب وقتل من أهل مكّة وغيرهم من العرب، ولكن صبر المسلمين على الأذى كان عن إيمان بأن اللّه سينصرهم على أعدائهم، ومن علامات القوّة عند

---

(١) العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، د. سعيد المهجر، الصفحة ١١٢.

(٢) ينظر: العرب تاريخ موجز: فيليب حتّي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ٦، ١٩٩١م، الصفحة ٤١.

المسلمين أنَّ هذه الفئة المستضعفة سيقدّر لها في السّنة الثّانية للهجرة أن يحقّقوا أوّل نصر لهم على المشركين بالرّغم من عددهم القليل آنذاك(١).

"فقد كانوا لا يزيدون عن ثلاثمائة مقاتل مقابل أكثر من ألف من أهل مكّة، وهزمت الفئةُ القليلةُ من فاقها عددًا وعدّة، وستبرز هذه القوّة بشكلٍ واضح عندما نجد أن عدد المسلمين الّذين شاركوا بفتح مكّة كانوا أكثر من عشرة آلاف مسلم"(٢). وعندما نتحدّث عن عدد المسلمين الّذين شاركوا بالفتوحات الإسلاميّة بعد بضع سنوات من فتح مكّة فإنّهم سيصلون إلى عشرات الآلاف من المسلمين، حيث "لم تقم مطلقًا أيّة ديانة بمثل ما أحدثه الإسلام في صورة سريعة ومباشرة من تغيّرات كان لها تأثير في أنحاء العالم، كذلك لم يحدث البتّة أن صار رسول أيّة ديانة جديدة سيّد زمانه وأهله مثلما أصبح عليه"(٣).

ما الذي أسهم في تحول العرب، ذوي العصبية القبلية والولاء الضيق المنتشرون في أعماق الصحراء، في فترة زمنية قصيرة من هجرة الرسول محمد ﷺ إلى المدينة المنورة لإنشاء نواة الدولة الإسلامية، وحتى وفاته في السنة الحادية عشرة للهجرة، أي خلال أحد عشر عامًا فقط، من قوى ضعيفة ومشتتة إلى أبرز قوة على مستوى العالم القديم؟ يكمن الجواب في آراء ابن خلدون(٤) الذي أعد أن للدين دورًا

---

(١) ينظر: فجر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصريّة، الطبعة ١١، القاهرة، ١٩٧٥م، الصفحة ٦٩.

(٢) الحضارة العربيّة: ترجمة إبراهيم احمد العدوي، مكتبة الأنجلو المصريّة، الألف كتاب، القاهرة، ١٩٥٦م، الصفحة ١٩.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ٢١.

(٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن؛ عالمٌ من علماء العرب والإسلام برع في علم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتخطيط العمراني والتاريخ، وأوّل من طبق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية. ينظر: تاريخ ابن خلدون=ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن

مهمًا في تأسيس الدولة، حيث أشار إلى أن "العرب لا ينالون الملك إلا بصبغة دينية، سواء من خلال نبوة أو ولاية أو تأثير عظيم من الدين عمومًا"[١] يعمل الدين على توحيد القلوب وجمعها، وذلك بفضل مساعدة الله في تعزيز دينه قال تعالى: "لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم"، مما يبرز أن القلوب إذا مالَت إلى أهواء الباطل والتعلق بالدنيا، يحدث تنافس وتفشي للخلاف أما إذا توجهت القلوب نحو الحق وتخلت عن الدنيا والباطل، وابتغت رضا الله، فإنها تتوحد في هدفها، مما يقلل من التنافس والخلاف، ويعزز التعاون والتآزر، وبالتالي يتوسع نطاق الكلمة ويعظم شأن الدولة[٢].

وهذا ما يؤكّد عليه أحمد أمين بقوله " كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب، فارتفعت قيمةُ أشياءٍ وانخفضت قيمةُ أخرى، وأصبحت مقوّمات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس"[٣].

وعن جرير البجلي قال: ((وَلَمَّا قَدِمَ جَرِيرٌ الْيَمَنَ، كَانَ بِهَا رَجُلٌ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَاهُنَا، فَإِنْ قَدَرَ عَلَيْكَ ضَرَبَ عُنُقَكَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ يَضْرِبُ بِهَا إِذْ وَقَفَ عَلَيْهِ جَرِيرٌ، فَقَالَ: لَتَكْسِرَنَّهَا وَلْتَشْهَدَا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ؟ قَالَ: فَكَسَرَهَا وَشَهِدَ))[٤].

محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الصفحة ٢.

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، الصفحة ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ١٧٤.

(٣) فجر الإسلام، أحمد أمين، الصفحة ٧.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، الجزء ٤، الصفحة ١٥٨٣، رقم الحديث ٤٠٩٩.

ووجه الدلالة أنه "فلم يأمره بقول لا إله إلا الله قبل أن يكسر ما معه من أدوات الشرك التي يعمل بها، ثم أمره بعد كسرها بالشهادة حتى تكون دالة على التزام الإسلام وابتعاده عن الشرك، والقاعدة تقول لا عبرة بأقوال كذبتها الأفعال"(١).

وعن سالم عن أبيه قال: ((بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كلّ رجلٍ منا أسيره فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيرهُ حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه فرفع النبي ﷺ يده فقال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ" مَرَّتَيْنِ))(٢).

ووجه الدلالة إنما نقَمُ رسول الله ﷺ من فعل خالدٍ يدلُّ على عدم الرضى عن فعله وأنه قتل من لا يجوز قتله مع أن القوم لم ينطقوا حتى بالشهادة صريحةً، ولكن قالوا صبأنا وهو كلام يحتمل أن يكون معناه خرجنا من ديننا إلى دين آخر غير الإسلام من يهودية أو غيرهما من الأديان والنحل، فلما لم يكن هذا القول صريحًا في الانتقال إلى دين الإسلام نفذ خالد الأمر الأوّل في قتالهم، إذ لم يوجد شريطة حقنِ الدم بصريح الاسم، فدل هذا على وجوب الكف عمن نطق بما يحتمل معه دخوله في الإسلام(٣).

---

(١) في ظلال الإسلام: ابو احمد عبد الرحمن المصري، الإسلام الحكمي، أوّلاً: ثبوت عصمة الدم والمال بالإسلام، العصمة، أسباب الحكم بالإسلام، الحكم بالإسلام بطريق النص، الصفحة ٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، الجزء ٤، الصفحة ١٥٧٧، رقم الحديث ٤٠٨٤.

(٣) ينظر: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن لا سعود، جامعة أم القرى، الطبعة ١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة، الجزء ٣، الصفحات ١٧٦٤ - ١٧٦٥.

يقول ابن القيم[1] رحمه الله تعالى في قصة وفد نجران: " إن إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله ﷺ بأنه نبي لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته فإذا تمسك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكون ردة منه ونظير هذا قول الحبرين له وقد سألاه عن ثلاث مسائل فلما أجابهما قالا: نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما من اتباعي؟ قالا: نخاف أن تقتلنا اليهود ولم يلزمهما بذلك الإسلام. ونظير ذلك شهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق وأن دينه من خير أديان البرية دينا ولم تدخله هذه الشهادة في الإسلام.

ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام علم أن الإسلام أمر وراء ذلك وأنه ليس هو المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا"[2].

المطلب الثاني

خصائص التوقيت الدعوي

والدعوة الإسلامية كانت ذات أبعاد زمانية ومكانية ، ولذلك فكان من الضروري العمل على استقلال المجتمع الإسلامي، وفي ظل وجود الكفار والمعادين،

---

(١) الامام ابن القيم هو محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي ابو عبد الله، شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة ٦٩١هـ، وتربى في بيت علم وفضل وتقلى مبادى العلوم عن ابيه واخذ العلم عن كثير من علماء عصره، توفي سنة ٧٥١هـ، مختصر زاد المعاد: محمد بن عبد الوهاب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الصفحة ٥.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، فصل في قدوم وفد نجران عليه ﷺ، فصل في فقه هذه القصة، الجزء ٣، الصفحة ٥٥٨.

ولذلك وجب التخلص منهم، فالإسلام يجب أن يصل إلى كل بي وعقيدته وأفكاره الإيمانية والتوحيدية واجب على كل شخص أن يعرفها و يأخذ بها و يطبقها، فالإسلام دين علم وعمل وليس علماً فقط، ولذلك وفي سبيل هذا الفكر قال تعالى عن الكافرين: ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1] والمقصود بالأبعاد الزمانية الفترة التي كانت فيها نشر الدعوة الغِلامية في كل الأماكن سواء في الوطن العربي أو كل أنحاء العالم، والمكانية الأماكن التي نشرت فيها الدعوة و جرى فيها قتال ومعارك بين المسلمين والكفار، وأمرنا الله تعالى بقتال الكفار بكل ما أوتينا من اقة حتى يتم سحقهم وإزالتهم من طريق هداية الناس جميعاً نحو الدعوة الإسلامية، ونحو الخير والصواب بتعاليم الإسلام التي بعثها الله سبحانه وتعالى وجاء بها سيدنا محمد ﷺ[2].

أمر الله تعالى كل مؤمن ومسلم بالجهاد في سبيله وذلك عن طريق الجهاد في المعارك وقتال الكفار والمشركين على أكثر من جبهة وعلى أكثر من مستوى، أي قتالهم في ساحات المعارك وذلك منعهم من نشر أفكارهم بين المسلمين لأن تضر الناس جميعاً فهي أقرب للجاهلية بينما الدعوة الإسلامية التي أمر بها الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أن يحاربها و يلغيها لأنها لا تناسب الإنسانية ففيها الكثير من الظلم والطيش والعدوان على كل صنوف البشر وكل مستوياتهم وعروقهم.

وفي سبيل الدعوة الإسلامية واستقلال المجتمع الإسلامي وتثبيت أطره وقواعده يأمر الله تعالى المسلمين أن ينشروا الكفار حتى يزيلوا كعقدة من طريق مبادئ إرساء الأسس الإسلامية، فيدعو للتخلص منهم وعدم الاستسلام لهم وعدم الركون

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩١

(٢) ينظر: اصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، الصفحات ٣٠٧-٣٠٩.

إليهم[١]، قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

والله سبحانه وتعالى دائماً يقف لجانب الحق، أي لجانب الملمين في قتالهم ضد أعداء الله وأعداء الإسلام، ولذلك قال جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[٣] فإن الله تعالى هنا يطلب من المؤمنين الذين يريدون إعلان شأن الإسلام ومساعدة سيدنا محمد ﷺ ألا يحزنوا بل عليهم أن يفتخروا بذلك القتال وهذا العطاء لأنهم ينفذون كلام الله تعالى وأوامره العظيمة في بناء الدولة[٤].

وهذا ما طبقه الرسول ﷺ فطلب من الداعية أن يتحلى بالصبر والشجاعة ورباطة الجأش في كل عمل أو كل خطوة يقوم بها في سبيل إعلان كلمة الإسلام، وليعتبر الإنسان نفسه في أسرته الصغيرة، لأن يقم بالمستحيل من أجل هذه الأسرة فما بالنا إذا كان هذا الموضع هو كلام الله تعالى وإرساله للنبي محمد ﷺ لنا، فهنا العمل الشخصي للإنسان يجب أن يكون مضاعفاً في كل المستويات وكل الأصعدة والمجالات لأن الإنسان الذي يهتم بشؤون دينه هو إنسان ناجح حتماً لأنه من الداخل يكون مطمئناً مرتاح البال في أنه يقوم بأفعال وأمور نحو وجه الله تعالى سواء سياسية أم اقتصادية أم قتال المشركين وغير ذلك من هذه الأمور وخاصة إذا كان هذا الشخص يقوم بكل هذه الأمور على أكمل الوجوه، والمقصود بعبارة أكمل الوجوه هنا

---

(١) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي، الصفحات ١٦٤-١٦٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

(٤) ينظر: الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، الصفحات ٢٣٦-٢٣٨.

أن يقوم بهذه الأفعال بصدق ويقين وقلب شجاع و أخلاق نبيلة في سبيل بناء المجتمع الإسلامي على المستوى السياسي أو على أي مستوى آخر[١].

وقد شجع الرسول بعد نشر الدعوة في مكة إلى جعل الرسالة عالمية ((اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا تمثلوا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال و فادعهم للإسلام والتحول إلى دار المهاجرين وأن يجاهدوا مع المسلمين فإن أبوا فاسألهم الجزية، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"[٢].

أمر رسول الله ﷺ رجاله بالدعوة وذلك في مجال الإسلام ونشر دعوته في كل مكان فكان غزو الكفار وأخذ مكانهم أمراً مفيداً للإسلام و ذلك في أثناء الفتوحات الإسلامية وكان الرسول يطلب من الناس الإسلام لأنه الحل الأمثل وهو الطريق نحو الحياة الإنسانية القويمة والإسلام جزء من الدعوة الإلهية كما كان الأنبياء قبل رسول الله ﷺ يفعلون بدءاً من سيدنا آدم عليه السلام وصولاً لسيد المرسلين وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ فكان الدعوة لله تعالى و محاربة الكفار أحد أهم الأمور.

وضع الرسول منهجاً لبناء دولة الاسلام مفهوم خاص بالاستقلال ويكون ذلك في جميع نواحي الحياة وهذا يعد من التأكيد على أن الأمة المستقلة هي أمة تتمتع بعزتها ومناعتها ويكون لها نصادر ومناهج مخصصة، ولا بد من الإشارة إلى أن الأمة التي لا يمكنها إدراك هذا المفهوم بصفته مصداق وقابل للتطبيق ما هي إلا أمة ينتابها الذل تكثر فيها المساوئ والتناقض والخطأ[٣].

---

(١) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، د. مصطفى السباعي، الصفحات ٢٨١-٢٨٣.

(٢) ينظر: فقه الجهاد، د. يوسف القرضاوي، الجزء ١، الصفحات ٦٥-٧٠.

(٣) ينظر: السنة النبوية ومنهجها في بناء المجتمع، د. عبدالكريم زيدان، الصفحات ٢١٤-٢١٦.

كما أن مفهوم الاستقلال في الاصطلاح نشأ من الاستقرار وولد من التطور والسبب يكمن في الانتقال من أمر غير طبيعي إلى أمر طبيعي بل وفطري أيضا، وذلك لأن الإسلام هو شريعة دينية بالفطرة[١].

وهناك العديد من الأمثلة التي تشير إلى توضيح الإسلام لمفهوم الاستقلال، ولاسيما ذاك الاستقلال التابع للشخصية الإسلامية، نذكر من هذه الأمثلة[٢]:

عمل على تكوين ارتباط المسلمين بالله وحده الذي لا شريك له، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾[٣].

ومن أمثلة توضيح الإسلام لمصطلح الاستقلال نجد إبدال قبلة المسلمين في الصلاة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام الكعبة المشرفة، فكان ذلك أبرز الأمثلة التي أعطت للإسلام الاستقلال المخصص له.

وقد كان أتباع الدين اليهودي يقولون: " انظروا إلى نبي الله محمد، إنه يتوجه إلى قبلتنا في الصلاة _ المسجد الأقصى _ ويعتنق دين مختلف عن ديننا." وكان رسول الله محمد ﷺ وآله وسلم ينظر إلى السماء وفي نظرته شوق لاستقلال الأمة الإسلامية ولاسيما في قبلتها للصلاة. فجاءه الرد من الله سبحانه وتعالى في قوله[٤]:

---

(١) ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، الصفحات ٧١-٧٤.

(٢) ينظر: المجتمع الإسلامي معالم قوته وأسباب ضعفه ووسائل نهوضه، بني عايش، محمد سعيد أحمد محمود بني عايش، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٥، العدد ٤، الملحق ٢، ٢٠١٨م، الصفحة ١٧٥

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٨

(٤) ينظر: ابو الاعلى المدودي، نظرية الاسلام السياسية، الصفحات ٨٧-٩٠.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[1].

وكان الرسول الكريم الصادق الأمين محمد ﷺ وآله وسلم يؤكد مفهوم استقلال المسلمين والأمة الإسلامية، حيث كان ينظر في كل ما يحيط به ويغير كل الأشياء وجميع الأمور التي تؤثر بشكل سلبي على استقلال الأمة الإسلامية والمسلمين ودين الإسلام، والشخصية الإسلامية، فوصلت المسألة إلى المدى الذي جعل النبي يسمح بالكلام أثناء الطعام وهذا يخالف ما اعتمده أتباع الدين اليهودي بالتزام الصمت أثناء تناول الطعام[2].

ولم تقتصر أمثلة توضيح الإسلام لفكرة الاستقلال، فهي مسألة في غاية الأهمية لكن حتى هذه اللحظة لم يدرك المسلمون تلك الأهمية بمداها الكبير، فالرسول الكريم محمد ﷺ وآله وسلم كان أكثر الحريصين على جعل الأمة الإسلامية أمة مستقلة يتبعونها ولا تتبعهم، على خلاف أحداث اليوم التي جعلت بعض افراد الأمة الإسلامية يلبون رغبات شرقية أو غربية، ويعيشون حياة غريبة دون الاكتراث لاستقلال الأمة والمسلم[3].

وجاء في القرآن الكريم أن الإنسان عليه أن يلتزم الاستقلال في هدفه ورسالته ووظيفته، فقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٢) ينظر: تفسير القران العظيم، سورة البقرة، آية ١٤٢، الجزء ١، الصفحات ١٨١-١٨٢.

(٣) ينظر: المجتمع الإسلامي ودعائمه وآدابه في القرآن الكريم، أبو عجوة،محمد نجيب أحمد، الطبعة الأولى، الجزء ١، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، مصر، ١٩٩٨م، الصفحة ١٧.

ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾[1]. ويرى القرآن الكريم أن الإنسان يجب أن يعتمد الاستقلال في الطاعة والحب والمأكل والمشرب والعلاقات[2].

فماذا يعني أن تقول: ﴿ ...وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] إن معنى هذه الجملة أن يفَزع القلب –على المستويات الفردية والجماعية– إلى التعلق المتلهف بالرب –جل في علاه – إنه يا أخاه –أيدك الله– يعني الاستعانة الحقيقية بمن له ملك السموات الأرض بالسوء، وذلك يعني التحرر عن أن تذل ذاتك للنفس الأمارة بالسوء إن ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ تعني تحقيق الاستقلال الحقيقي عن الاستعانة بأي صلة أو مخلوق دون الله هذا انظر – وفقك الله وأيدك– كيف يفصل الله هذا المعنى الجليل إنه تفصيلَ يستوعب الكثير والقليل، إلا أن ذلك يتم من خلال كلمتين فقط ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، بل تأمل كيف يجمع حصر الاستعانة إلى معنى آخر نبت من كل زوجٍ بهيج هو تعظيم ما يتعلق به سبحانه؛ إذ تقدم الضمير ﴿وَإِيَّاكَ ﴾ الذي يرجع إلى الله تعالى على فعل العباد﴿ نَعْبُدُ ﴾ ، وهذا التقديم ليس للحصر فقط بل للتعظيم.. تعظيم ﴿الله ﴾ –جل في علاه– عند الكلام عنه أو الخطاب ببعض ما يتعلق به، والتعظيم للملك الكبير له أثره النفسي والفعلي على العبد، كما أن له وُد العباد على تقديم ما يتعلق به؛ وِجماله عند التلذذ بالترديد له، فكأن الله تعالى لتطمئن به النفوس، وتنفرج به أحوال اليوم العبوس[4].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٢) ينظر: أبو بكر الكاتب، ما هو المعنى الحقيقي للاستقلال، الموقع الرسمي لجريدة المحجة، العدد ٢٨٧، ٢٠٠٧م، الصفحة ٣.

(٣) سورة الفاتحة: آية ٥.

(٤) ينظر: الامام الطبري، جامع البيان عن تأويل القران، الجزء ١، الصفحة ١٤٦.

وهنا قد تتساءل عن هذا التركيب ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فكلمة ﴿نَسْتَعِينُ﴾ تتعدى بـ(على).. فلماذا حذفها هنا؟ إنه الإعجاز البياني التربوي، فقد حذفها ليبين الشعور بعموم الاستعانة مع الله على كل شيء(١).

فنحن نستعين بالله ابتداء من كل شيء، فنحن نستعين به على كل شيءً إلى الاعمال والتنفيذ في الكليات والجزئيات.. نستعين به –جلّ مجده– في العلوم والوسائل والأهداف والغايات، وفي العموم والتفاصيل.. نستعين به –جل مجده– في النيات والافعال والاقاويل، فأطلق الاستعانة ولم يقيدها بشيء(٢).

المعنى: نستعين بك في كل شيء على كل شيء، فالاستعانة تصور أجمل مظاهر العبادة؛ فهي إظهار العبد الضعيف افتقاره لرحمة الملك العظيم الخبير اللطيف، وقد قال علماء التربية القلبية: إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والحاجة لديك ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾(٣).

فالعبادة تقرب للخالق تعالى، فهي أجدر للتقديم في المناجاة، أما الاستعانة فهي لنفع المخلوقات للتيسير عليه ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدل لا على: استعانةٌ قلبية بطلب إعانة والمساعدة منه. واستعانةٌ تشريعية بالرجوع إلى شرعه في حياتنا.

واستعانةً شعورية بأن تكون الاستعانة باللسان موافقة لعواطف الإنسان ونبضاتَ الجنان. ﴿إياك نستعين﴾ تعني التبرؤ من الاستعانة في المجالات

(١) ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، تفسير سورة الفاتحة، الجزء ١، الصفحة ١٨١.

(٢) ينظر: مدارج المساكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، الجزء ١، الصفحة ٧٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٠.

الاقتصادية من الشركات الاستثمارية عابرة القارات التي تمتص دماء الشعوب وتشفط الثروات[١].

ولكن منهج النبي كان الاستقلال في الاعتقاد فدين الإسلام لا يطلب من المسلم إعطاء غيره أحقية تولي أموره أو جعله تابعًا لغيره، فيكون منقادا نحو ما يريده الآخرون، وإنما يطلب منه أن يتميز باستقلاليته ويتمسك بأفكاره، لا ينطق إلا بكل ما يجد فيه الصحة والمصداقية، كما أنه لا يفكر إلا بالأمر الذي يجد فيه الصواب، وقد وردت آيات قرآنية ترفض التقاليد وترفض الالتزام بها، كما أنها تفرض إشغال العقل والذهن والفكر، وتدعو إلى الإيمان بكل أمر يوافق الدين، فتصل في الختام إلى فكرة مفادها أن الإنسان الذي يتمتع بالاستقلال يكون قد اعتمد على فكره وعقله، وذاك الرأي ينبع من صميمه وضميره[٢].

كما أكد الإسلام على استقلال الشخصية في اعتقادها من خلال الحرية والاستقلالية في العقيدة، فقال تعالى في ضوء ذلك: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ... ﴾[٣].

وهذا يعني أن العقيدة الإسلامية النابعة من العقل الصحيح الذي اقتنع بها والضمير القويم الذي ارتاح لها وشعر بالطمأنينة تجاهها هي عقيدة ذات أثر في سلوك هذه الشخصية وخلقها وتصرفاتها وحياتها يشمل عام.

---

(١) سيد قطب، في ضلال القران، الجزء ١، الصفحة ٢١٦.

(٢) ينظر: محمد سعيد أحمد محمودبني عايش، المجتمع الإسلامي معالم قوته وأسباب ضعفه ووسائل نهوضه، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٥، العدد٤، الملحق٢، ٢٠١٨م، الصفحة ١٨٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

وكان الدين الإسلامي أكثر حرصا على جعل المسلم يتمتع باستقلاله التام ولاسيما في عبادته مع الله تعالى، دون اعتماده على التقليد، ونخص بالذكر ذاك التقليد الذي يحوم حول أهل الكتاب وكذلك المشركين، سواء أكان ذاك التقليد في أداء الصلاة أو القيام بعبادة الصوم أو أداء فريضة الحج، وقد تم ذكر عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة الصادرة عن النبي الكريم الصادق الكريم محمد ﷺ، وكانت قد حملت غاية رشاد المسلمين وهدايتهم إلى طريق مخالفة غير المسلمين في أداء تلك العبادات، فيضمن ذلك لهم تكوين الشخصية المتميزة بالاستقلال والبعد عن الامتثال بالآخرين والتشبه بهم، وإن كان هذا التقليد خارج عن إطار القصد، فقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ... ﴾[1].

إذن العبادة هي ليست معرفة يستعلي صاحبها عن الإقرار بها، أو يرفض أن ينصاغ لحكمها، بل هي عقيدة رضي بها قلب صاحبها، وأعلن عنها بلسانه، وارتضى المنهج الذي صاغه الله متصلا بها.

ثم يقول: "وأهل الكتابين مجمعون على أن نبيًا يخرج في آخر الزمان وهم ينتظرونه ولا يشكُّ علماؤهم في أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وإنما يمنعهم من الدخول في الإسلام رئاستهم على قومهم وخضوعهم لهم وما ينالونه منهم من المال والجاه"[2] ومن هنا كان هذا الإخبار لا يدل على التزام الإسلام كذلك من قال لا إله إلا الله مع بقائه على الشرك.

---

(١) سورة البقرة: الاية ١٩٩.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، الجزء ٣، الصفحة ٥٥٨.

وهكذا، فإن رسائل النبي ﷺ إلى أمراء العرب والملوك المجاورين لبلاده تعتبر نقطة تحول في سياسة دولة الرسول الخارجية، فعظم شأنها، وأصبحت لها مكانة دينية وسياسية بين الدول، وذلك قبل فتح مكة، كما أن هذه السياسة مهدت لتوحيد الرسول ﷺ لسائر أنحاء بلاد العرب في عام الوفود(١).

وهكذا استطاع المنهج النبوي الكريم أن يبين للناس للوقت المناسب لنشر الدعوة، وذلك بين لهم المنهج القويم لبناء دولة إسلامية مستقلة في القوة والاعتقاد والأخلاق.

(١) التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة، الصفحة٣٥١.

المبحث الرابع

الدروس الدعوية المعاصرة من الرسائل النبوية إلى الزعامات

تمثل الرسائل النبوية التي وجهها النبي محمد ﷺ إلى ملوك وزعماء العالم آنذاك، أساسًا متينًا لما يمكن أن يُصطلح عليه اليوم بـ"الدبلوماسية الدعوية". وقد عكست هذه الرسائل القدرة النبوية الفائقة على الجمع بين المبدأ والمصلحة، وبين الثبات والمرونة، وبين الرسالية والواقعية السياسية. وهذا كله مما يجعلها مصدر إلهام للدعوة الإسلامية المعاصرة في محيطها الدولي.

المطلب الأول

الدبلوماسية الدعوية النبوية وأثرها المعاصر

اعتمد النبي ﷺ في رسائله إلى الملوك (قيصر، كسرى، النجاشي، المقوقس...) على خطاب دعوي متين، تميز بالآتي: بنية رسالية موحَّدة تبدأ بالبسملة، وتثبيت الرسالة المحمدية، والدعوة إلى التوحيد، مع تذييل بالتحذير الشرعي أو عرض للآثار المترتبة على الرد أو القبول. إرسال رسل حُكماء وأمناء، كما في إرسال دحية الكلبي إلى هرقل، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر، وكلهم كانوا ممن يحفظ القرآن ويفقه السنة[١]. مراعاة عادات الملوك وبروتوكولاتهم، فقد أمر النبي ﷺ بختم الرسائل، وكتبت بلغة المرسل إليه[٢].

---

(١) ينظر: ابن حجر العسقلاني، كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الجزء ٨، الصفحة ١٢٧.

(٢) ينظر: محمد بن يونس الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، الجزء ٥، الصفحة ٣٣٩.

وهذا يدل على أن الداعية في العصر الحديث بحاجة إلى دراية سياسية وثقافية بالواقع الدولي، وأن تبليغ الدين يحتاج إلى وسائط بشرية مؤهلة في اللغة، والإتيكيت الدبلوماسي، والوعي الشرعي.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "لا بد من تأهيل دعاة يمتلكون مهارات الحوار العالمي، والقدرة على نقل قيم الإسلام إلى الآخر بلغة يفهمها ويقدرها"(١).

المطلب الثاني

الإعلام الدعوي العالمي في ضوء الرسائل النبوية

تمثل هذه الرسائل نموذجًا إعلاميًا رائدًا في مخاطبة الرأي العام عبر رموزه. فالملوك آنذاك كانوا مراكز التأثير في الأمم، ومخاطبتهم كانت بمثابة خطاب مباشر لأتباعهم وشعوبهم. ومن أبرز سمات هذا الإعلام النبوي:

الرسائل القصيرة المحورية التي تركز على "الهدى، التوحيد، الخلاص، تحمل التبعات". الخطاب العقلاني الهادئ الذي يتجنب الإكراه أو الإهانة، ويعتمد على الإقناع، مثل قوله لقيصر: "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين"(٢).

تتفق الدراسات الحديثة على أهمية الاستفادة من هذا الأسلوب في صناعة خطاب إعلامي إسلامي معاصر موجّه للغرب والشرق على حد سواء، يقوم على: التركيز على القيم المشتركة مثل السلام، والرحمة، والتسامح.

---

(١) ينظر: تجديد الوعي، عبد الكريم بكار، تجديد الوعي، بيروت: دار السلام، الطبعة ١، ٢٠١٥م، الصفحة ١٤١.

(٢) ينظر: الاسلام والعقل، د. محمد عمارة، دار الشروق، الصفحة ٤١.

استثمار المنصات العالمية، مثل الأمم المتحدة، ومجالس حقوق الإنسان، لتقديم الإسلام كرسالة عالمية لا كتيار سياسي أو حزبي.

وقد دعا الدكتور طارق السويدان[١] إلى بناء "شبكة دعاة دوليين محترفين، يتحدثون بلغات الشعوب، ويجيدون تقديم الإسلام إعلاميًا وسياسيًا"[٢].

من خلال تحليل الرسائل النبوية، يمكن تقديم توصيات عملية لمؤسسات الدعوة المعاصرة العاملة على المستوى الدولي:

١. بناء جهاز دعوي خارجي مؤسسي على غرار وزارات الخارجية، يتولى إدارة ملف الدعوة إلى الزعامات والنخب الفكرية.

٢. تأهيل المبعوثين الدعويين دوليًا على المستويات الشرعية واللغوية والبروتوكولية والإعلامية.

٣. اعتماد خطاب محوري موحّد يُعبر عن جوهر الإسلام، يركّز على القيم الكبرى لا على التفصيلات الخلافية.

٤. استخدام الإعلام الرقمي والمنصات العالمية لتوجيه رسائل مرئية ومترجمة إلى قادة الفكر وصناع القرار.

يقول د. محمد عمارة: "على المسلمين أن يقتبسوا من حكمة النبي ﷺ كيف يوجه رسالة عالمية تبدأ من الوحي وتنتهي بباب القصر الإمبراطوري"[٣].

---

(١) د. طارق السويدان: ولد سنة ١٩٥٣م، هو باحث وكاتب وداعية اسلامي أسس ودار اكثر من شركة ومنظمة وأسس قناة الرسالة الفضائية، له اكثر من ١٢٥ كتاب. ينظر: الموقع الرسمي للدكتور طارق السويدان على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ينظر: فن التأثير، طارق السويدان، الكويت: الإبداع الخليجي، الطبعة ٢، ٢٠١٢م، الصفحة ٢٥٥.

(٣) الإسلام والغرب: صدام أم حوار؟، محمد عمارة القاهرة: دار الشروق، الطبعة ١، ٢٠٠٦م، الصفحة ٨٨.

خلاصة الفصل:

حاول الفصل الحالي أن يبين منهج الرسول الكريم في نشر الدعوة الإسلامية من حيث أن أبرز المضامين الاستيعابية في رسائل النبي ﷺ تتجلى في الدعوة إلى دين الإسلام، وقد تميزت هذه الرسائل أنها متناسبة مع مقام المرسل إليه من خلال الألفاظ والتراكيب.

كما امتازت هذه الرسائل العظيمة بورود اقتباسات من القرآن الكريم بما يتناسب مع معتقدات المدعو، فإذا كان من النصارى أكثر من ذكر الآيات التي تذكر سيدنا عيسى وتبين حقيقته.

فإن المنهج النبوي في هذه الرسائل هو منهج الاختيار الدقيق للكلمة ووضعها بموضعها الدقيق، والبدء والترغيب، ثم الانتقال إلى الترهيب، وقد بين الرسول ﷺ أن الإسلام سيحميهم، ويحمي ممتلكاتهم، وبذلك فإن رسائل النبي الموجزة ابلغ مثال عن المنهج السليم لنشر دين الإسلام.

كما أن الداعية في الإسلام وفق المنهج النبوي لاختيار السفراء يجب أن يتمتع بصفات كثيرة أبرزها، حسن الأخلاق من صدق وشجاعة، وتواضع القدرة على الإقناع، واستعمال الموعظة الحسنة، وما إلى ذلك.

استطاع المنهج النبوي الكريم أن يبين للناس للوقت المناسب لنشر الدعوة، وذلك بين لهم المنهج القويم لبناء دولة إسلامية مستقلة في القوة والاعتقاد والأخلاق. وليس على الناس اليوم سوى اتباع المنهج القويم.

الخاتمة

الخاتمة

حاولت الدراسة إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الاسلامي، وهو منهج الرسول في التعامل مع المُخالف، إنّ المنهج النبوي هو الطريق الواضح البيّن المستقيم الذي سلكه النبي ﷺ بتوجيه من ربّه جلّ جلاله لفهم النصوص الشرعية، وتصحيح العقيدة وتعليم التشريع الإسلامي للناس كافّة. كما أنّ المنهج النبوي أنه منهج يقود إلى السعادة في الدارين وهو منهج أصيل يسعد الإنسان في دنياه وآخرته.

وليس من الغريب أن يقود منهج النبي محمد ﷺ إلى السعادة؛ فلقد أظهر القرآن الكريم تفضيل النبي محمد ﷺ على غيره بخمس خصال، حيث أوتي جوامع الكلام، وجاء للعالمين أجمع، وجاء ليتمم مكارم الأخلاق. وبعد البحث في منهج النبي في التعامل مع المشركين والمنافقين، ومع اليهود والنصارى، ومع ملوك الأمم تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- الحوار أحد أبرز الوسائل التي جاءت في منهج النبي ﷺ عند تعامله مع المشركين والمنافقين.
- الحوار العاطفي والحسي مع المشركين هو حوار بالكلمة الطّيّبة، وهو يقوم على النية الحسنة بأن الحوار يراد به وجه الله حتى يوفق جل جلاله، كما انّ المحاور لا يستهزئ بالمقابل او ينتقص منه بل يحترمه فيكون الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.
- خاطب النبي عليه الصلاة والسلام المشركين والمنافقين بالحوار العقلاني والحجج القوية وذلك ليردهم إلى الصواب والرشاد والهدى، وكلّ ذلك ليحق الحق، ويبطل الباطل، فيذعنوا منقادين للإسلام.
- إنّ لإقامة الحجج على المخاطبين لها آثار وفوائد متعددة، منها: الاحتكام والرجوع إلى الدليل، والبعد عن التمسك بالمواقف من غير حجة ولا دليل، بإقامة

الحجج يتحقق معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ثم إظهار الحق والكشف عن الباطل والرجوع إلى الحق والانقياد والاذعان له، لنصل إلى كف عدوان المبطلين، وتثبيت المؤمنين على الحق.

- إن التسامح مع الآخر يتطلب الاحترام، إذ إن التسامح منطلق تهذيب للنفس اولا بكونه ذا أخلاق حميدة، وبقانون إلهي متكامل ليُحفظ المجتمع من مختلف الأزمات التي غالباً ما تكون بسبب الفروق الدينية وعدم تقبل الآخر.
- استوعب المنهج النبوي طبيعة الحياة التي كانت قبل الإسلام، وأدرك أنّ التغيير لا يأتي فجأة، إنما هو عبارة عن تطور تدريجي في الفكر والثقافة، وقد تسامح النبي الكريم في كثير من الأحيان مع أذى الكفّار، ومحاولاتهم الاعتداء عليه وأذيته بالكلام وبالقول.
- لقد كان المشركون والمنافقون يؤذون النبي ﷺ بالكلام والأفعال وكان يصبر عليهم، بحيث كان لهم الحرية في تعاملهم معه، فقد أذوه وصبر عليهم، فكان يدعو لهم بالهداية.
- لقد شجّع النهج المحمدي على العفو مع المشركين والمنافقين في كثير من الأحيان، ويكون العفو بالتسامح معهم، وتيسير الأمور واللين فيها، ويتمثل العفو بالتجاوز عن الذنب وترك العقاب.
- مهمة الرسول ﷺ في خطابه هي مهمة بلاغ وإعلام، تقوم على الحوار والإقناع وتعتمد على الكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى.
- أعطى النبي ﷺ مثلاً أعلى لمعاملة أهل الكتاب، فقد كان من خطابه لهم أنه يعود مرضاهم، ويزورهم، ويكرمهم، وكان يقترض منهم.. وفعله هذا تعليم وإرشاد لأمته.
- النبي ﷺ حرص كل الحرص على احترام أهل الكتاب والحفاظ على حقوقهم.

- تعددت مهارات الاتصال التي مارسها النبي ﷺ في خطابه أهل الكتاب من كتابة ومخاطبة وحوار وإقناع وفعل.
- إن الناظر في الأسلوب النبوي، يلاحظ تنوع الاسلوب الخطابي الموجه لأهل الكتاب، وهذا ما يدل على عمق وتنوع الخطاب النبوي وأنه خطاب عالمي.
- لقد استطاع النبي أن يكسب احترام أهل الكتاب واستطاع إقناعهم بأن الإسلام دين الحق البين وما إنكارهم لذلك سوى لأنهم تمسكوا بالخطأ عن دراية.
- أبرز المضامين الاستيعابية في رسائل النبي ﷺ تتجلى في الدعوة إلى دين الإسلام، وقد تميزت هذه الرسائل أنها متناسبة مع مقام المرسل إليه من خلال الألفاظ والتراكيب.
- امتازت الرسائل العظيمة بورود اقتباسات من القرآن الكريم بما يتناسب مع معتقدات المدعو، فإذا كان من النصارى أكثر من ذكر الآيات التي تذكر سيدنا عيسى وتبين حقيقته.
- فإن المنهج النبوي في هذه الرسائل هو منهج الاختيار الدقيق للكلمة ووضعها بموضعها الدقيق، والبدء والترغيب، ثم الانتقال إلى الترهيب، وقد بين الرسول ﷺ أن الإسلام سيحميهم، ويحمي ممتلكاتهم ، وبذلك فإن رسائل النبي الموجزة ابلغ مثال عن المنهج السليم لنشر دين الإسلام.
- الداعية في الإسلام وفق المنهج النبوي لاختيار السفراء يجب أن يتمتع بصفات كثيرة أبرزها، حسن الأخلاق من صدق وشجاعة، وتواضع القدرة على الإقناع، واستعمال الموعظة الحسنة، وما إلى ذلك.
- استطاع المنهج النبوي الكريم أن يبين للناس للوقت المناسب لنشر الدعوة، وذلك بين لهم المنهج القويم لبناء دولة إسلامية مستقلة في القوة والاعتقاد والأخلاق.

التوصيات:

- ضرورة البحث في السيرة النبوية في حياتية مختلفة، وذلك لمعرفة طريقة التعامل في المواقف المتنوعة.
- ضرورة الانتباه على التفاصيل التي جاءت في السيرة النبوية لأن كل كلمة وكل حرف منهج متكامل.
- ضرورة اعتماد المنهج النبوي في استيعاب المخالف بوصفه اصلا دعوياً.
- العناية بالبعد العقلي في الخطاب الدعوي النبوي.
- التفريق المنهجي بين اصناف المخالفين من حيث الموقف العقدي أو الفكري او السلوكي.
- اعادة بناء الخطاب الدعوي المعاصر على قاعدة الاستيعاب المقاصدي.
- التحذير من الفهم الانتقائي للمنهج النبوي.
- تشجيع الدراسات المقارنة بين المنهج النبوي في استيعاب المخالف والنظريات المعاصرة في الحوار.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً: الكتب:

١. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢. ابو الاعلى المدودي، نظرية الاسلام السياسية، دار الفكر.

٣. الأحكام السلطانية للماوردي، دار الحديث.

٤. احكام اهل الذمة، ابن القيم الجوزية تحقيق: احمد بكري وشاكر توفيق العارودي، دار رمادى للنشر، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الظاهري، تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

٦. إحياء علوم الدين، الغزالي الطوسي: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧. الأخلاق في الإسلام – النظرية والتطبيق، د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد.

٨. اداب الاختلاف في الاسلام، طه جابر العلواني، المهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٩. ادب الدنيا والدين، ابو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة.

١٠. الأدب المفرد، البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩.

١١. ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الاصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: احمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٢. أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٣. الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة.

١٤. الإسلام والآخر، أحمد الجهيني و محمد مصطفى، مكتبة الأسرة، تركيا، ١٩٧١م.

١٥. الإسلام والقومية العلمانية، عبد السلام ياسين، دار لبنان للطباعة والنشر، ٢٠١٢.

١٦. اسلوب الحوار في الحديث النبوي الشريف، د. خليل محمد ايوب، دار النور، الطبعة الأولى.

١٧. الاسلوب في القرآن الكريم، محمد قطب، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية.

١٨. الاشباه والنظائر، الامام السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

١٩. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ

٢٠. أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٦٩.

٢١. أصول الجدل وآداب المحاجة في القرآن الكريم، محمد علي قوجيل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ٢٠٠١م ١٤٢٢هـ.

٢٢. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ابن حميد، صالح بن عبد الله، دار المنارة للنشر والتوزيع– جدة ، الطبعة الاولى ١٩٩٤.

٢٣. اصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١.

٢٤. الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢م.

٢٥. الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، عامر مصباح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦.

٢٦. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .

٢٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، شرح صحيح مسلم، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون البستي، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، مصر، ١٩٩٨.

٢٨. الإنسان الكامل في الفكر الصّوفي، لطف الله خوخة، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩.

٢٩. أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس،عالم الكتب، مصر، د.ت.

٣٠. بغية الطَّلب في تاريخ حلب، ابن أبي جرادة، كمال الدِّين عمر بن أحمد، تحقيق: سهيل زكار، لبنان: دار الفكر، الطبعة الاولى، ١٩٨٨م.

٣١. بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الاولى، ١٤٣٦ هـ،

٣٢. بناء الشخصية من خلال التربية، خالد محمد محرم، ظار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦ م.

٣٣. البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٣٤. تاريخ الإسلام د. حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.

٣٥. التاريخ الإسلامي، عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، ٢٠١٣م.

٣٦. تاريخ الديانة اليهودية، محمد حسن ، دار قباء للطباعة، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩٨.

٣٧. تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣٨. تاريخ العرب، فيليب حتي، وآخرون، تح: جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٣٩. تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن، دار الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٤٠. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ت.

٤١. التداولية والحجاج (مداخل ونصوص)، صابر الحباشة، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

٤٢. الترجيح المصلحي من خلال القرآن الكريم، عبد العالي ملوك، دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٣.

٤٣. تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في أخلاق المَلِك وسياسة المُلْك، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد الماوردي [ت ٤٥٠ هـ، تحقيق: د. محي هلال السرحان [ت ١٤٤٦ هـ]، مراجعة وتقديم: د. حسن الساعاتي [ت ١٤١٨ هـ]، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١

٤٤. التعريفات، الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (المتوفى: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٥. تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، تحقيق : احمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٧٤م

٤٦. تفسير البغوي، البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ط ٤.

٤٧. تفسير الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

٤٨. تفسير القرآن العظيم ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٩. التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، مصر، دار الفكر العربي، الطبعة الاولى، ١٩٧٠.

٥٠. تفسير النور، الشيخ محسن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠١٤،

٥١. تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، محمَّد حسين فضل الله، لبنان، دار الملاك للطِّباعة والنَّشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م،

٥٢. تهذيب الأخلاق، أحمد بن محمد بن مسكوبه، الطبعة الاولى، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤٠١هـ.

٥٣. تهذيب اللغة، محمد بن الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط بدون القاهرة، دار المصرية.

٥٤. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٠م.

٥٥. الجانب العاطفي من الإسلام، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦ هـ)، دار نهضة مصر.

٥٦. الجزيرة العرب قبيل الإسلام، برهان الدين دلو، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.
٥٧. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثّعالبي، عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف، الطبعة الاولى، ١٩٩٧، دار الألمعيّ للمطبوعات، لبنان.
٥٨. حاشية رد المحتار على الدر المختار، حاشية ابن عابدين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.
٥٩. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، عالم الكتب الحديث، الاردن، الطبعة الثانية، ٢٠١١.
٦٠. الحضارة الإسلامية، برهان زريق، دار كنعان للنشر، دمشق، ٢٠٠٧.
٦١. الحضارة العربيّة: ترجمة إبراهيم احمد العدوي، مكتبة الأنجلو المصريّة، الألف كتاب، ٨٨، القاهرة، ١٩٥٦م.
٦٢. الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى.
٦٣. الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن على القحطاني، الطبعة الثانية، (توزيع المؤسسة الجريسي، ١٤١٣ هـ).
٦٤. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، زمزمي، يحيى بن محمد حسن بن أحمد، دار التربية والتراث – مكة المكرمة –١٤١٣هـ
٦٥. الحوار في السيرة النبوية، السيد علي خضر ،مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ٢٠٠٩م.
٦٦. الحوار مع الاخر اخلاقياته ونماذجه في ضوء السنة النبوية، عزة محمد مطاوع الشاوي.
٦٧. خاتم النبيين، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، مصر، ١٤٢٥هـ.
٦٨. خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

٦٩. الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، فاضل زكي محمد، مطبعة شفيق، الطبعة الثالثة، بغداد.

٧٠. الدبلوماسية، نشأتها وتطورها وقواعدها في الحصانات والامتيازات الدولية، محمد المجذوب، بيروت،٢٠٠٧م.

٧١. دراسات في أصول التربية الإسلامية، أحمد الدغيشي، مردركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٧م.

٧٢. دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، محمود عكاشة،دار المناهل، الأردن، ٢٠١٣م.

٧٣. الدرر المنثور، الامام جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٧٤. الدعوة الاسلامية اصولها ومنهجها، محمد عمارة، دار العلم، بيروت.

٧٥. الدعوة الإسلامية وحياة البداوة منذ البعثة وحتى حروب الردة، عبد الله، شهلة برهن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٧٦. الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، دار بن الجوزي، الطبعة الأولى.

٧٧. دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد رواس قلعة جي، عبد البر عباس، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٧٨. دور الإقناع في تفعيل الاتصال الداخلي دراسة ميدانية في مؤسسة الضمان الاجتماعي، سارة زايدي، جامعة أم البواقي، ٢٠١٥م.

٧٩. الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر، القاهرة ، مجمع البحوث الإسالمية، ١٩٨٨م.

٨٠. رسائل الجاحظ، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. تحقيق: عبد السَّلام هارون، لبنان: دار الجيل، ١٩٩١م.

٨١. رسائل النبي محمد ﷺ الى الملوك والامراء، جهاد محمد حجاج، دار شريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٨٢. الرسول المبلغ، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م.
٨٣. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، مكتبة العلم بجدة، دار النصر للطباعة، دار الكتب الحديثة، دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٧-١٤١٠ /١٩٦٧-١٩٩٠.
٨٤. الرؤية العربية لليهودية، مهنا حداد، منشورات ذات السلاسل، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٩م.
٨٥. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، فصل في قدوم وفد نجران عليه ﷺ، فصل في فقه هذه القصة .
٨٦. السفارات الإسلامية الى أوربا في العصور الوسطى، د. ابراهيم احمد العدوي، سلسلة اقرأ، العدد ١٧٩، القاهرة بالسنة نشر.
٨٧. السفارات النبوية : الى ملوك العالم وامراء أطراف الجزيرة العربية، محمد أرشيد العقيلي ، دار احياء العلوم، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٨٨. السنة النبوية ومنهجها في بناء المجتمع، د. عبدالكريم زيدان.
٨٩. السنة مصدر للمعرفة والحضارة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق للطباعة والنشر.
٩٠. سنن ابن ماجة في سننه، ابن ماجة ابو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء الكتب العربية، ١٣٨٨هـ.
٩١. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وابراهيم عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

٩٢. السنن الكبرى للبيهقي، الامام البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٩٣. سير أعلام النُّبلاء، الذَّهبيُّ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، لبنان، دار الرِّسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.
٩٤. السيرة النبوية أبي الحسن الندوي، أبو الحسن علي الحسني الندوي (١٣٣٣ – ١٤٢٠ هـ)، تحقيق وتعليق: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، (دمشق – بيروت)، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٩٥. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ، محمد بن حمد الصوباني، مكتبة العبيكان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤م.
٩٦. السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت، ١٤١١هـ.
٩٧. السيرة النبوية، راغب الحنفي راغب السرجاني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
٩٨. السيرة النبوية، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فحر الدين الندوي أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٥هـ.
٩٩. السيرة النبوية؛ محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان؛ الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ.
١٠٠. شرح السير الكبير، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م.
١٠١. شرح المصابيح، ابن مالك، تحقيق: لجنة متخصصة باشراف نور الدين طالب، ادارة الثقافة الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
١٠٢. شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٣. شرح شذور الذَّهب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف تحقيق: عبد الغنيِّ الدِّقر، سوريا، الشَّركة المتَّحدة للتَّوزيع، الطبعة الاولى، ١٩٩٤م.

١٠٤. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨هـ]، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.

١٠٥. الصحاح في اللغة، الجوهري، إسماعيل بن حماد، الطبعة الاولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ.

١٠٦. صفوة التفاسير المجلد الأول دار القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، الطبعة الاولى، بيروت.

١٠٧. الصورة والاقناع، محمود شمال حسن، دار الافاق العربية، بغداد، ٢٠٠٥م.

١٠٨. طبقات علماء الحديث، الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤ هـ). تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.

١٠٩. العرب تاريخ موجز: فيليب حتّي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩١.

١١٠. العرب في العصور القديمة، لطفي عبد الوهاب يحيى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.

١١١. العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، طبعة المكتب العربي للإعلان والنشر، دمشق، الطبعة السابعة، ١٩٩٠م.

١١٢. العلاقات الدولية النظرية والواقع، جمال زهران، الطبعة الاولى، دار الشروق.

١١٣. العلاقات الدولية في الاسلام، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي.

١١٤. علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣.

١١٥. عمدة القارئ، بدر الدين ابو محمد العيني، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنيرية.

١١٦. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.

١١٧. غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، د. يوسف القرضاوي، الطبعة الاولى، مكتبة وهبة.

١١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، رقم كتبه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف عليه : محب الدين الخطيب، تعليقات العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١١٩. فجر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصريّة، الطبعة الحادية عشر، القاهرة، ١٩٧٥،

١٢٠. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.

١٢١. فقه الاولويات، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الاولى.

١٢٢. فقه الجهاد، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الاولى.

١٢٣. فقه الدعوة، الدكتور بشام العموش، دار النفائس النشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م..

١٢٤. فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق.

١٢٥. فن التعامل مع الناس، رضا العلوي، دار الأوجام، بيروت، ١٩٩٠.

١٢٦. الفوائد السنية على الحفيدة السنوسية، نزار حمادي، دار الامام ابن عرفة، تونس، د.ت.

١٢٧. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

١٢٨. في ضلال القرآن، سيد قطب ابراهيم حسين، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

١٢٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، مصر، دار الشُّروق، الطبعة الحادية عشر، ١٩٩٥م.

١٣٠. قاموس الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٣١. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب : مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

١٣٢. قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، عبد العزيز محمد سرحان ،، مطبعة عين شمس، القاهرة ، ١٩٧٤.

١٣٣. القيادة المرتكزة على مبادئ، ستيفين كوفي، ترجمة: مكتبة جرير، مكتبة جرير، السعودية، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م.

١٣٤. كتاب الأربعين في أصول الدين، الغزالي، أبو حامد (حجّة الإسلام)، دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣.

١٣٥. كتاب الأموال، ابن سلام الإمام الحافظ أبي عبيد القاسم، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٣٦. كتاب الواجب، محمد الهلالي عزيز لزرق، دار تبقال، الطبعة الأولى.

١٣٧. الكفر والمكفرات، أحمد البيانوني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٩٩٠م.

١٣٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣٩. كيف تكسب أخاً في الله، محمد بن فهد الودعان، دار العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩.

١٤٠. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، الطبعة الاولى، دار صادر، بيروت.

١٤١. اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى، ١٩٩٨.

١٤٢. اللَّطائف والطَّرائف، الثَّعالبيُّ، أبو منصور عبد الملك محمَّد بن إسماعيل، لبنان، دار المناهل، ١٩٩٤م.

١٤٣. ما هو المعنى الحقيقي للاستقلال، أبو بكر الكاتب، الموقع الرسمي لجريدة المحجة، العدد ٢٨٧، ٢٠٠٧م.

١٤٤. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققه ومزيدة.

١٤٥. المجتمع الإسلامي معالم قوته وأسباب ضعفه ووسائل نهوضه، بني عايش، محمد سعيد أحمد محمود بني عايش، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٥، العدد ٤، ملحق ٢، ٢٠١٨م.

١٤٦. المجتمع الإسلامي ودعائمه وآدابه في القرآن الكريم، أبو عجوة محمد نجيب أحمد، الطبعة الأولى، الجزء الأول، مكتبة مدبولي الصغير، مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٤٧. المجتمع الانساني في ظل الاسلام، محمد ابو زهرة، دار السعودية للنشر، ١٤٠١هـ.

١٤٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي،نور الدين علي بن ابي بكر(ت٨٠٧هـ)، كتاب الادب، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ.

١٤٩. مجموع الفتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، فهد بن ناصر السليمان، جمع وترتيب، الطبعة الثانية، الرياض، دار الوطن، ١٤١٣ هـ.

١٥٠. مجموع الوثائق السياسية في العهد النبوي، محمد حميد، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧ هـ محمد رسول الله ﷺ؛ للشيخ محمد رضا، سطور الجديدة، ١٩٩٢م،

١٥١. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور، دار الفكر، دمشق، الطبعة الاولى، ١٩٨٤.

١٥٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٥٣. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الثالثة.

١٥٤. مدخل الى الشريعة الاسلامية، د. عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

١٥٥. المدخل في علم الدعوة، محمد ابو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٥٦. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار، دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى، ١٩٩٠م.

١٥٧. مدخل لمعرفة الاسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الاولى.

١٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى ، ٢٠٠١.

١٥٩. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الارنووط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م،

١٦٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، كتب الخاء، مادة خلف، المكتبة العصرية.

١٦١. مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، المكتبة الإسلامية، لصاحب الحاج رياض الشيخ.

١٦٢. المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، سعدون الساموك، دار وائل، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م.

١٦٣. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: دعبد المنعم حنفي، الطبعة الثالثة، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٦٤. المعجم الكبير، الامام الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ

١٦٥. المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، تحقيق: مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الدعوة.

١٦٦. المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: طه الزيني ومحمود عبدالوهاب فايد، مكتبة القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ.

١٦٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الدار الشامية، دمشق، دار العلم، بيروت.

١٦٨. مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (١٩٨٢م)، دار الرشيد للنشر والتوزيع، العراق، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م.

١٦٩. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الشيخ الفقيه الإمام العالم أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبيحققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

١٧٠. مقاصد الشريعة الاسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، قطر، ١٤٢٥هـ.

١٧١. مقام العقل في الاسلام، د. محمد عمارة، دار النهضة، مصر.

١٧٢. الملكية الخاصة في الشريعة الإسلامية، المصلح، د. عبدالله، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.

١٧٣. الملكية في الشريعة الإسلامية، يونس، عبد الله مختار، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

١٧٤. الملكية وضوابطها في الإسلام، البعلي، د. عبدالحميد محمود، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٧٥. من هدى القرآن، المدرسي، السيد محمد، دار القارئ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.

١٧٦. مناهج البحث العلمي، علي عبدالواحد وافي، دار النهضة، القاهرة، مصر.

١٧٧. مناهج النقد الأدبي، عبد الله خضر حمد، دار القلم، لبنان، ٢٠١٧م

١٧٨. المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي، تحقيق، عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي.

١٧٩. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، عثمان علي حسن، دار إشبيليا، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ.

١٨٠. المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٩٠.

١٨١. الميسر في شرح مصابيح السنة ، فضل الله بن حسن التوربشيني، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ٢٠٠٨م.

١٨٢. النصرانية نشأتها التاريخية و اصول عقائدها، عرفان فتاح (٢٠٠٧)، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٠م.

١٨٣. نظريات الاتصال، بشير العلاق، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

١٨٤. نظرية التملك في الإسلام، ا د. حمد العبدالرحمن،، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

١٨٥. النظم الدبلوماسية، د. عزالدين فودة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١،

١٨٦. نفحات من القرآن والسنة في منبر الجمعة، السبعاوي، سعد عبد المجيد سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧.

١٨٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ١٩٧٩م، تحقيق "زاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي"، المكتبة العلمية، بيروت.

١٨٨. النهج المحمديّ، عبد العزيز المسند، دار العمير للثقافة والنشر، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

١٨٩. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، المؤلف: محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت ١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

١٩٠. نيل الاوطار وكتاب الجهاد والسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، الطبعة الاولى، مصر، ١٤١٣هـ.
١٩١. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٩٢. الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميدالله، دار نفائس، بيروت.
١٩٣. اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، د.ت.

ثانياً: المجلات:

١. الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، محمد كمال عبد العزيز، مجلة القانون والعلوم السياسية، بغداد، ١٩٧٢.
٢. من معالم المنهج النبوي في الجدل مع غير المسلمين، د. سهل بن عبيد بن عبد الله الحربي، مجلة أبحاث، كلية التربية جامعة الحديدة، ، العدد الاول، ٢٠٢٣م.
٣. أثر النهج النبوي في صناعة المواقف، مجلة كلية العلوم الإسلامية، يحي حسين أحمد، المجلد السابع، عدد ١٣، ٢٠١٢م.

ثالثاً: البحوث والرسائل:

١. أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد شلبي، دار الأمل ، إربد، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م .
٢. مجالات استخدام الحوار في التربية وتنمية الوعي الفكري، د. ايمان ابراهيم، المجلة الدولية للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ٦٦، السنة ٢٠٢٥.
٣. مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية ٢٠٢٥.
٤. منهج الدعوة الإسلامية من القرآن والسنة النبوية، الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ، مجلة الأزهر، جمادى الأولى، ١٤١٩.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

١. الفصل بعنوان بيان اضطراب بيان النصارى وتفرقهم في باب طبيعة المسيح، الموقع على الشبكة العنكبوتية، اسلام ديب.